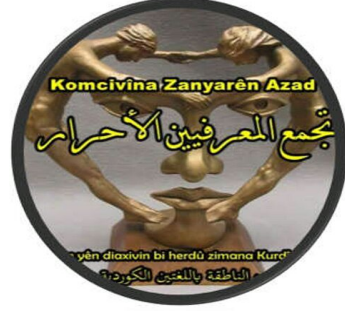


رقم
التسلسل
30

الأعمال
الأدبية
الكاملة
للكاتبة
الأردنية
رولا
حسينات

دار تجمع المعرفيين الأحرار الإلكتروني



- اسم العمل: "الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة الأردنية رولا حسينات"
 - اسم المؤلف : رولا حسينات
 - نوع العمل : أعمال أدبية كاملة
 - رقم التسلسل : 30
 - الطبعة: الطبعة الإلكترونية الأولى-12-أيلول- 2017م
 - تصميم الغلاف: ريبير هبون
 - الناشر : دار تجمع المعرفيين الأحرار الإلكتروني
- جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة**
- حقوق نشر- الكتاب محفوظة للمؤلفةوالذسخة الإلكترونية ملك لدار تجمع المعرفيين الأحرارالإلكتروني

[/https://reberhebun.wordpress.com](https://reberhebun.wordpress.com)

لنشر أعمالكم يرجى الاتصال ب:

reber.hebun@gmail.com

الكاتبة في سطور:

رولا عبد الرؤوف حسينات

ميلاد 1976-9-27

كاتبة أردنية أردنية، بكالوريوس إدارة أعمال
جامعة اليرموك- التقدير جيد جدا

مشاركات

مجموعة قصصية بعنوان (هناك دوما فسحة

للأمل) لمسابقة الشارقة 2013-2014

قصة قصيرة بعنوان (السبات الليلي) لجائزة

كيبوري 2013-2014

قصة قصيرة بعنوان (صداقة جدرانها من ورق)

لمسابقة حروف منثورة 2013-2014

رواية بعنوان (صعلكة على أبواب الشرفاء) لدار

الكتب

قصة بعنوان (جداريات) لمسابقة أسبوط

قصة بعنوان (قاهرة الصمت) لمسابقة أحمد

بوزفور دورته الحادية عشرة تونس 2014

قصيدة بعنوان (طيبك زايد) لمسابقة الشعر في المغفور له بإذن الله

- الشيخ زايد 2013-2014
مجموعة فنية لمسابقة الشباب 2013-2014 وزارة الثقافة الأردنية
مسابقة الدلتا مصر "بلا عزاء" 2014
مسابقة ناجي نعمان الدولية رواية للطفل (صندوق الكنز) 2013
مسابقة عماد قطري (مجموعة قصصية بعنوان: لحظة همس)
2013-2014
مسابقة الدولة لأدب الطفل قطر مجموعة قصصية بعنوان (بالحب
نصنع المستحيل) 2013-2014
مسابقة أدباء الدلتا قصة قصيرة جدا (لحظة انكسار)- 2013-2014
مسابقة مبادرة أدب دورة ديسمبر خاطرة (أسطوانة غاز) 2013-
2014
جائزة عبد الحميد شومان الرواية لليافعين (رواية شهرزاد لكن من
نوع آخر) 2014-2015
مسابقة صلاح هلال 2014 قصة
مسابقة مدونة كتب للقصة القصيرة مجموعة قصصية جاهين
2014
مشاركة في القصة القصيرة في مسابقة التكية بعنوان (حيث تميل
الشمس) رشحت للتصفيات النهائية.
مسابقة نازك الملائكة 2015 قصة قصيرة
رابطة الكتاب الأردنيين مجموعة قصصية (أرزاق.يا دنيا)
مسابقة الطيب صالح الأدبية قصة قصيرة 2014-2015
مركز مينا الثقافي الهند نيودلهي 2014
مسابقة أسيوط 2014-2015....

- مسابقة العودة إلى فلسطين بيت الشعر الفلسطيني قصيدة شعرية.
مسابقة ناجي نعمان مجموعة قصصية 2015
مسابقة عبير سمكري الأدبية قصة قصيرة 2014-2015
مسابقة القصة القصيرة متحف الكلمة 2014-2015 قصتان
قصيرتان..
مسابقة الشارقة للإبداع الشبابي مجموعة قصصية. 2015
مسابقة كتارا.رواية بعنوان **أفنان متساقطة** 2014
مسابقة زحمة كتاب مجموعة قصصية 2014
مسابقة الجامعيين للاتحاد العالمي للمبدعين والشعراء العرب
مجموعة قصصية 2015
مسابقة الدكتور شريف عابدين لققج المغرب مجموعة قصصية
قصيرة جدا.. 2015
جائزة مصطفى زعرور لأدب الطفل.. 2015
مسابقة دار حقد للقصة الومضة 2015 والشعر.
مسابقة النجعاوية لمجموعة قصصية 2015
مسابقة عبد الحميد شومان القصة لها دون السادسة " **مذكرات ماما**
سها. " 2015
مسابقة ض قصة قصيرة 2015
مسابقة الراصد للنشر والتوزيع. مسابقة الرونق الإبداعية قصة
مسابقة صلاح هلال 2015..
مسابقة حروف منثورة الإلكترونية.. 2015 قصة قصيرة
جائزة ناجي نعمان في مجال أدب الطفل 2015-12-10 جائزة ناجي
نعمان فروع الجائزة ماري لوبز لأدب الطفل الأخلاقي 2015-2016

مسابقة صلاح هلال 2016 في القصة القصيرة

مسابقة عمون 2016 في القصة القصيرة

جائزة الدولة لادب الطفل قطر..

مسابقة تازة للقصة القصيرة

المسابقات باللغات الأخرى

THE BRITISH INTERNATIONAL COMPETITION
FOR LITERACY ASHORT STORY(THE GREEN
LAND DREAM)2014 Edward Prize For literacy a
novel(THE VIRGIN BIRTH)2014

قصة بالإنجليزية لويب الحياة _ (The valuable treasure)

قصة بالإنجليزية لمهرجان القصة المصورة الايطالي (The bad

wish)

مقال لمجلة الابداع عن أزمة المهاجرين

مشاركة في كتاب عن الأزمة التكنولوجية وتسريب المعلومات في

امريكا

مسابقات في الترجمة:

مسابقة الصين الدولية للترجمة من الصينية إلى العربية 2013-

2014

(乔叶) بحيرة الهلال)

وطلبت مني مسابقة الصين الدولية للترجمة ترجمة نص آخر

فترجمت قصة العاشق " لو هامينغ".

2nd Nami Island International competition for comics
story for children 2015 in a short story

مشاركة في مقالة لويب الحياة بعنوان "The 2014 leader ship"
"style

الجوائز:

مسابقة القصة الومضة العالمية للعام الأول مجموعة قصصية قصيرة
جدا (عبرة) 2014 تأهلت للمرحلة الأولى فازت بجائزة التميز
مسابقة شعراء من أجل التغيير مسابقة القصة للتغيير المناخي في
اللغة الانجليزية.. 2014-2015 وقد رشحت للنشر.

قصة بعنوان (المهاجر) لمسابقة مدونة صبري رضوان وقد فازت
بالمركز الأول المستوى الأول وتم توزيع الجوائز في قصر ثقافة
الفيوم يوم 6 / 2014 / 2

مسابقة التكية 2015 مجموعة قصص قصيرة جدا رشحت للتصفية
النهائية

مسابقة زحمة كتاب الدولية بمجموعة قصصية للأطفال 2015-
2016 فزت بالمركز الرابع في أدب الطفل

مسابقة الأورومتوسطية للنساء فقط قصة ذكريات صامتة
2014..رُدت بالبريد الأردني فقدمتها لموقع زحمة كتب فنالت
المركز الأول في القصة القصيرة

مسابقة باكثير للقصة القصيرة 2015 وقد فازت قصة مدينة الأشباه
بالمركز الرابع.

عضوة في تجمع ناشرون تجمع أدبي عربي..وقد فزت بلقب فارسة
الموقع

وفزت مسابقة أوتار في الإلقاء دون مؤثرات صوتية 2015
مسابقة دار حقد لأفضل مقال عربي 2015..المركز الثالث
فرت بمسابقات دار حقد للنشر الإلكتروني في مجالي القصة القصيرة
جدا والشعر الفصيح.2015 والمقالة العربية-04-18
مسابقة ألف قصة وصحوة للكتاب العرب قصة قصيرة نشرت
باللغات الانجليزية والعربية والاسبانية 2015Arabian stories
جائزة البتانة للقصة القصيرة رشحت قصتي منعرجات النسيان من
المجلس الأعلى للثقافة المصري 2016
فزت بجائزة النشر مع مركز إنسان 2015 golden pen بالمركز
الثاني
مسابقة حروف منثورة بمقال الرأي وقصة قصيرة 2015-12-10 وقد
فزت بالمقال على مستوى الوطن العربي..
مسابقة واحة الأدب برعاية رابطة الأدباء الكويتيين...المركز الثالث
في القصة القصيرة على مستوى الوطن العربي دورة يونيو 2016
مسابقة زحمة كتاب للقصة القصيرة 2016
مسابقة جولدن بن 2016 المركز الثاني
جائزة جريدة صدى مصر الإخبارية في مسابقتها الأدبية في المقال
2016 ونلت المركز الثالث.
جائزة أفضل نقد أدبي لرواية في قلبي أنثى عبرية 2016
المركز الثالث في دورة فؤاد نصر الدين للقصة القصيرة مركز لوتس
للدراسات 2016
فائزة في مسابقة صالون نجيب الثقافي في القصة القصيرة المنفردة
لها فوق 30 سنة

فائزة في القصة القصيرة جدا مع وكالة خبر الإعلامية 2017
فائزة في القصة القصيرة المركز الأول في ترانيم للإبداع الأدبي
مشاركات أخرى

في التصوير الفوتغرافي (الكنايس والمساجد)
عمان 2014. ومشاركة في 2015 صور أبيض وأسود وصور ملونة..
مشاركة في الرواية

رواية بعنوان (بين يدي المدينة الفاضلة) لدار الرواية 2014
رواية بوليسية لنادي الجسرة الثقافي 2014-2015
مشاركات مسرحية

مشاركة مسرحية شعرية بعنوان (يوم مات الصديق) لمجمع اللغة
العربية القاهرة.

مسرحية أعطيني فرصة لأعيش بالعامية الأردنية كمبادرة للعمل
الشبابي مع فرقة أوتار. المسرحية ستعرض قريبا
مسرحية مغامرة النحلة الصغيرة في مسابقة المسرح في الكويت

تأليف أغاني وخواطر ورسم:

أغنيتان لمسابقة هيك أحلى مشاركة للجهد الإنساني إحداهما باللغة
العربية والأخرى باللغة الإنجليزية

مسابقات الرسم والشعر والمشاريع الصغيرة، منظمة السلام
والصداقة الدولية 2014 قصيدة

مسابقة طاهر أبو زيد للأغنية الوطنية قصيدة بعنوان (من أجلك
مصر) 2014 أعادها البريد الأردني فنشرت على زحمة كتاب وكلمات
من بلور

مسابقة كتاب بلا أقنعة في الرسم آب 2016

مشاركات أخرى

مشاركة في مسابقة مبادرة أدب في خاطرة لدورة آب 2014
مشاركة في مسابقة الإلقاء لناشرون.. آب 2014 وقد فزت في دورتها.
مسابقة تامر عبد الرؤوف للأدب الدورة الأولى قصيدة من أجلك تامر

مسابقة أحمد بوزفو في القصة القصيرة..2015

مسابقة مبادرة أدب في الشعر..اليوم.تحررت..لدورة آب 2014

مسابقة الرابطة الإسلامية فرع الأردن في الشعر 2014-2015

مسابقة الدولة لأدب الطفل 2014-2015...مجموعة قصصية

مسابقة الضاد.كتارا لأفضل نص بالعربية للأطفال 2015-2016

مسابقة الكويت الدولية للأطفال 2015-2016

مسابقة الإبداع.وزارة الثقافة الأردنية مجموعة قصصية للأطفال

2015-2016

مسابقة الطيب صالح مجموعة قصصية للأطفال

مسابقة غسان كنفاني للكتابة الإبداعية 2015 قصة قصيرة

مشاركة في الرواية لدار سيبار لأفضل نص لذوي الاحتياجات

الخاصة..وهي رواية خيال علمي 2015

مسابقة معجم الأدباء العرب

مسابقة السلطان قابوس في مجال أدب الطفل مجموعة قصصية من

الخيال العلمي 2015

مشاركة بمسرحية في جائزة الشارقة للإبداع.العربي 2015

مسابقة الطيب صالح مجموعة قصصية 2016-2017

جائزة الإبداع.وزارة الثقافة الأردنية..2016-2017

مسابقة الخيال العلمي..مركز زويل للابحاث والدراسات 2016

مسابقة صالون نجيب الثقافي 2016-2017

عضوة في:

وكالة المرأة العربية

عضوة في زحمة كتاب ورشة أدبية...

شبكة المدونون العرب

دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني

دار حقد للنشر الإلكتروني

دار زحمة كتاب للنشر الورقي

تجمع ناشرون وBlogg

فريق ماذا تقرأ هذه الأيام

مجموعة عرار الشاعرات العربيات..

عضوة في ديوان العرب...

عضوة في الاتحاد العالمي للمبدعين والشعراء العرب القاهرة.

أعمال منشورة على موسوعة جوجل وكلمات من بلور ورابطة الأدباء

والمبدعين العرب..

مقالتين لزحمة كتاب الرقص والعيب والتحرش غير منشورة.

مقالة كتاب أوصلنا إلى قطاف مثمرة..في نقد كتاب الإرتقاء.في

معاني القرآن الكريم للكاتب السوري عبد الباقي يوسف..مجلة حوار

أربيل كردستان...2014-2015 وقد اختير للنشر بملف يحمل اسم

الكتاب في مطلع يناير وقد نشر على جريدة العراق تايمز وعلى مجلة

الغرباء الإلكترونية

لقاء صحفي مع جريدة الوطن الجزائرية تم نشره بوكالة أخبار المرأة
أدباء الشام..مجلة الفكر وغيرها

الكتب والمقالات المنشورة إلكترونياً

لدي كتابين قد نشرتهما دار حفد نشر إلكترونيا الأول بعنوان
مسألة وقت والآخر مقدم للأطفال بعنوان **الرغيف الاسمر** يتضمن
قصص بالعربية والانجليزية.2015

مجموعة قصصية بعنوان **قارورة الزمن** دار حروف منشورة للنشر
الإلكتروني 2015

مجموعة قصصية **على سرير الحياة يسقط الموت** لدار حروف منشورة
للنشر الإلكتروني 2016

رواية قصيرة منشورة بعنوان **الدفين** نشر إلكترونيا لدار حفد وهي
رواية للأطفال 2105

قراءات نقدية بلمسة سياسية.. دار حروف منشورة للنشر الإلكتروني
2016

مقالة بعنوان **خطوط متقاطعة** على موقع مجلة الحوار العراقية
..2015

ذائقة الموت..الاختلاف في الرأي لا يعني خنجرا في قلب الوطن
..أيمن العتوم عشق من وراء القضبان.2016

قصص في مجلة زيزفون الإلكترونية
مدونة طوسون

مدونة صبري رضوان

مدون حي بن يقظان للأطفال

كتاب بلا أقنعة

الأزمة التعليمية

ظاهرة العنف في الأدب الروائي

قراءة في رواية كلمة الله للكاتب الأردني أيمن العتوم

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة

رسالة إلى الحكيم من المرأة التلميذة

بلاي ستيشن أم داعش دوت كوم

بالعربي

مجرد فكرة... وغيرها.

مواضيع منشورة على جوجل بلاس ووكالة المرأة العربية.. الكويت

تلغراف.. أنا يميني.. والمدونون العرب..

كاتبة في الحوار المتمدن

كاتبة في الجزيرة مدونة الجزيرة

حاصلة على شهادة فخرية من متحف الكلمة كسفيرة للكلمة

بين يدي مجموعة قصصية ورواية للفتيان الناجي الوحيد لمشاركتها.

في كتارا.

البريد الإلكتروني: rulahessinat@gmail.com

العنوان: المملكة الأردنية الهاشمية-اربد-



رواية

الدّفين

رواية عبد الرؤوف حمينا

2015

دار حفيد للنشر الإلكتروني



© حقوق النشر محفوظة لدى دار حفيد للنشر الإلكتروني اللاورقي،

7afad.blogspot.com

© حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتبة:

□ رولا عبدالرؤوف حسينات

© نشرت النسخة الإلكترونية الأولى في:

أبريل، 2015

© رقم النسخة المسجل:

دح / 2015 / 1 - 7

يمنع النشر والنسخ والتعديل لأي من محتويات المادة المنشورة دون إذن مسبق من إدارة موقع دار حفيد للنشر الإلكتروني اللاورقي.

كما تنوه الدار بأن محتويات هذه المادة، تعبر فحسب عن رأي كاتبها، ولا تسقط ضمن رأي الدار بما خط فيها.

قراءة ممتعة ~

الدفين ...

في أحد الأزقة في القدس القديمة، جلس إياد ابن الخامسة عشر، وصابر ابن الثامنة ذلك الطفل، راكبين ظهرهما للبيت المهجور وريح أهله وكأنها تحاور الجدران، يخفف عنهما لسعة رغيف الخبز الساخن، الذي اشترياه توهما من المخبز القريب، أخذ إياد يقلبه على ركبتيه، أرجع رأسه لينظر زرقة سماء القدس، بعد أن هاجر إليها وأهله بعد نهب اليهود لأرضهم بالقوة في قرية (بيت أم الميس)، كأبي قرية من قرى فلسطين لقد كان ما حدث معه مغيرا لتاريخ حياته إلى الأبد ما بدأه عام 1929، نهايته مفتوحة أمام ناظره لم يكن صابر حينها قد ولد بعد .

كنا نعمل في زراعة الأرض منذ ساعات الفجر الأولى. ننكش تحت شجر الزيتون، ونسمد ترابها، وتعمل أيدينا في قلع الحشائش الضارة، وأنا أداعب الحجارة وأرصف بها السنا سل وقتوات المياه.

كم مرة ناداني أبي وهو يضرب بمعوله التراب:

- تعال يا إياد، وانظر ماذا تحب الأراضى الكنعانية؟

وأمضي أناظر ما تحمله يمين أبي، تمثال حجري من إرث الكنعانيين لثرى فلسطين، وما يلبث يستدرك:

- امض معي زارعا الأرض لتغدق عليك بعطائها .

وأمسكت بالفأس تلتذذ يداي الناعمتين بجشوته، أحفر التراب لنسمع صوتا معدنيا شق سيمفونية
زقزقة العصافير.

نحيت الفأس جانبا، وجثيت أنبش في التراب حتى أخرجت صندوقا فولاذيا مقفلا بإحكام، كسر أبي
القفل بضربة من الفأس، ليكشف الصندوق عن كنز من الدراهم الذهبية والتماثيل.

طار قلبي من الفرح وصرخت بفرح طفولي حري بابن السابعة:

- كنز من الذهب.

نهربي أبي غاضبا:

- كف عن التباهات، ليتك يا ولدي تدرك أهمية ما وجدت يداك.

أخذت أنفوس وجهه، وقد لمست يده بعض الدراهم ورفع واحدة، ليسقط عليها شعاع الشمس.
وقال:

- أنظر إلى ما بيدي، وتمعن به ليست هذه قطعة ذهبية، وحسب بل وثيقة تاريخية، تحفظ حقك
في أرضك فهذا كنز مستقبلك، وأجيال من أبناء أرضك.

أغلق الكنز بإحكام، ووضع بين يدي وشد على ذراعي وقال مجزم:

- إنها أمانة بين يديك، فلا تحذل وطنك ولا تفرط به مهما اشتد عليك الزمان. اذهب وأجعله
بين حاجياتنا وأحفظه سرا في صدرك.

وجاءت أمي تمشي الخطى مقاربات متاقلة، تحمل جنينا في أحشائها وابتسامتها لا تفارق وجهها
الوضاء بجنطة القمح.

تحمل زوادة من خير الأرض، نمد البساط ونجلس ننتشي ريح التراب وعبق خيرها، وتفوح ريح الزيتون
والزيت والزعتر والبندورة والخيار واللبننة، التي صنعتها أمي من حليب البقرة.

أخذ أبي يداعب أمي ببضع كلمات:

- يسلموا هذي الأنامل أتعرفين يا أم أياد، إنك مثل هذي الأرض بعطائها.

تبسمت أمي وبدأت تغني والابتسامة لا تغادر محياها:

يا طير إلي طائر سلم لي عالجاب

وحبيبي بين الأصايل يستقيني بالأطاب

ما أجملها تلك الأيام ونحن تتطير! والضحكات ترنو عنان السماء، نأكل من شهد الأرض، وعبق ترابها
في كل لقمة.

ما أجملها الحياة المعشقة بالبساطة، نغدو في النهار، ونعود إلى الدار عند الغروب، تتوسد التراب فراشا
وثيرا.

وفي صباح ما صحونا، وقد تلبدت السماء بالأدخنة وأعتمت أنظارنا من الظلام، تلاحقت أنفاس أمي
من الغبار المشبع بندى الفجر. لم ندر حينها ماذا كان ينتظرنا؟

حملتنا أقدامنا إلى حيث ما عهدنا، أرضا تشتعل فيها النيران، ورساصات تشق صمت المكان، نقتل
من تلمس يده التراب، ليطنفئ نيران أشجار الزيتون الباكية.

ما فرقت الرصاصات الهوجاء بين كبير وصغير وسقط إخوان لنا، وأعمام، شهداء خضبت دماهم
الأرض.

أخذ المستوطنون يقتحمون البيوت، وينهبون ما فيها لم يبق لنا في الديار بيت، فقد هدمت جميعها و
أحرق الشجر والثمر وسلب ما لدينا من دواب.

لقد استبدل حينها أبي الفأس والمعول بالبارودة. لقد تمسكنا بأرضنا المحترقة وبيتنا المتهدم حتى الرمق
الأخير.

وفي ليلة ظلماء، اجتاحت العصابات الصهيونية المسلحة، ليطردوا آخر رمق لنا في النجاة، اقتحموا
بيتنا، وأخذوا برأس أمي التي كانت تعجن العجين، وبدأوا يركونها على بطنها، وهي تصيح وتستصرخ
الأم، أستنطق أبي بارودته، تطلق الرصاصات تنهب أجسادهم فتمزقها أشلاء، وأخذت ألقى برؤوس
البصل قنابل تدمي رؤوسهم، سقطوا الواحد تلو الواحد جثثا، ألقيناهم وأهل القرية للضباع.

كانت أمي تنزف. صرخ أبي:

- أذهب يا أياد وأحضر الداية أم أحمد.

لقد كان الظلام حالكا، إلا أن القرية المنكوبة أمامي بلا سياج ولا حدود فقط حطام، وطوال الطريق
أصرخ:

- داية أم أحمد! .

حتى سمعت صوتها والنسوة الباقيات في القرية، خرجن معها لمساعدة أمي فمخاضها عسير.

كانت ساعات طويلة مؤلمة، فلم تكن تلك أيام الولادة أخذت النسوة تسخن الماء، على كومة القش
المشعلة يرتجئن النجاة لأمي سلمى، بقيت وأبي وبعض رجال القرية في الخارج، وأرتفع القمر إلى وسط
السماء، وبدأت لسعة برد صيف تموز تنخر العظام، خرجت النسوة يزغردن وبياركن:

- مبارك يا أبا إياد لقد رزقتم بأخ لأياد.

أخذ الرجال يباركون:

- مبارك! يا عابد لك عزوة كبيرة.

حينها رفع أبي يديه إلى السماء وقال:

- الحمد لله. ثم التفت وبه أم وخوف، وسلمى كيف حالها؟

حينها خرجت الداية أم أحمد، وقالت:

- لا تقلق يا أبا أياد، سلمى امرأة صلبة وقوية، والحمد لله على سلامتها.

وذهبوا كل إلى حاله، يللم ما تبقى له في الديار وبدأ الفجر بالبزوغ، وصابر الوليد قطعة من اللحم شاهد بطفولته على حقد العصابات الصهيونية.

قطع هدوء المكان صوت رصاصات كثيف، اخترقت فجر ذلك اليوم، لقد كانت فرقة مسلحة من اليهود، تحرق رفات الأرض وأثار البيوت، لقد قتلوا في طريقهم أهالي القرية النازحين إلى القدس من الجهة الشرقية. خرج أبي بارودته. وقال بصوته القوي:

- جهاز حاجيات أمك وصابر، ولا تنسى صندوق الكنز، هيا أسرع يا أباد فلا وقت لدينا .

خرج مجاهدا بنفسه، أخذ وبسالة يرميهم بالرصاص ولم نعد نسمع سوى الرصاص مطرا، يملئ أجواء قريننا (الميس) كما أعشق تدليلها .

دخل أبي بعد نصف ساعة مذعورا . وقال:

- لقد ولوا مدبرين، إلا أنهم سيعودون قبيل الفجر من جديد . . . المؤسف أنه لم يبق لدي مزيد من الرصاصات، ولقد قتل الكثير من خيرة شباب القرية .

نظقت أمني بضعف:

- ماذا علينا أن نفعل؟

صمت أبي وطأطأ رأسه، ثم قال وهو ينظر بعمق إلى النافذة المهلهلة:

- أخشى أن أقول: أنه ينبغي علينا الرحيل إلى القدس وهي على مسافة قرابة العشرة كيلومترات .

قامت أمي من فورها كادت أن تسقط، أمسكها أبي برفق وقال:

- أخاف عليك يا سلمى، هل تقوين على الرحيل؟ .

شدت على يده وابتسمت ثم قالت:

- لا تخف علي أنا أخت رجال.

حملت صابر ولفته بأحكام، وحملت قبعة الملابس على ظهرها، وحملت صندوقي برفق ولففته بأحكام، أما أبي فقد احتفظ ببارودته والزوادة، ومضيئا نسارع الخطى نتواري عن أشعة الشمس الحارقة إلي البساتين .

لم نأبه بوعورة الأرض، ولا بتشابك أغصانها تلك الأشجار بل نغبطها لتكاتفها معا من أجل وحدتها وقوتها ومنعتها متشبثة بالأرض لا يجتثها ظلم الإنسان و لا سوء الزمان نستقي منها الصبر والأمل والعطاء تضرب بالعصا ولا تضنى بالعطاء من حلو ومر تجود تشفي العليل ونظل الضعيف. آه لو كنا بصمودك أيتها الأشجار! .

اقتربنا من أبواب القدس، وبدأت أفكر حينها بصندوق الكنز وأتذكر حديث والدي، عندما أخذنا قسطا من الراحة، عند التينة القديمة:

- لم يعد المعول سلاحنا يا إباد، بل البارودة فهي سلاحك أمام المعتدين، لقد هجرنا من أرضنا من بيوتنا حرمانا من هويتنا، من ملح أرضنا بل من شردنا في كل مكان وأي حضن أحسن من حضن الأرض؟ فهي الأم بعطاء ها نور الكون وضياءه أثير المتناجين .

ثم صمت وتمعن بي وأكمل:

- إن هذا الصندوق شاهد على ماضينا، وهو هويتك في المستقبل، إياك ولدي والتفريط به .

سهمت أفكر بكل ما قاله أبي، تحت التينة وينبوع الماء الشاهدين، على أم مصابنا ذهبت لأتسلق الأشجار مستطلعاً الطريق، لقد قاربت الشمس على الغروب، كنت حينها قد وجدت حماراً يحوم طليقاً بين الأعشاب، فأخذته لأبي عساه يعين أمي على قطع المسافة المتبقية، قلت:

- أبي لقد وجدت حماراً طليقاً لعله يعين أمي على المسير.

ركبت أمي الحمار، وقد أنهكها التعب وهي تحمل صابر وأبي يساندها في ركبتهما، وأنا أمسك برسنه مضينا الهوينى، حتى وصلنا أعتاب القدس، عند الساعات الأولى من الفجر.

نظرنا إلى الطريق فوجدناها، قد غصت بعصابات يهودية مؤججة بالسلاح تحملهم سيارات الجيش الإنجليزي، متوجهة لقريتنا (أم الميسر) لقد أعطوا حق الأرض واستباحوا العرض واستحيوا نساءنا وأطفالنا بالقتل والتعذيب ضجت السجون بأمثالنا بشبابنا ضرجت حريتنا بسيل الدماء.

ودخلنا المدينة القديمة بلا مقدرات، بادئين صفحة جديدة من المقاومة، وسكننا الحي القديم مع المئات من النازحين، بحالة من الفقر يرثى لها، وقد صودرت الأرض والضرع، ونهب كل أثر في التراب ما عادت مقدرات البلاد لأهلها بل للغرباء محتلين مستعمرين الثروات وحتى موجات الكهرومغناطيسية.

حينها عشنا أياماً من عيشة الكفاف، فلا متليك ولا جنينه فتقاسمنا رغيف الخبز، وتلحفنا الجوع والعطش وضائق علينا الأرض بما رحبت حتى طرق بابنا ذات يوم طارق أدخلنا في مرحلة جديدة.

كان أبي قد ضاق ذرعاً ببعوده بلا عمل، وتجالس هو رجال البلدة القديمة من الفقراء والنازحين يتدارسون سوء أوضاعهم، لم نكن نعرف وقتها أحداً في مدينة القدس، فقد كانت ضخمة وكبيرة وممتدة، مليئة بشوارعها الحجرية كأقدم لوحة تجارية في التاريخ تحمل بين طياتها المسجد الأقصى وكنيسة المهد.

يلتقي المسيحي والمسلم معا في كل زمان ومكان بكل مناسبة دينية ولقاء روحي لأديان السماء في مهدها إبراهيم وعيسى في بيت لحم على أنغام قيثارة العذراء وأجراس الكنائس والتكبير وصوت الأذان كله يصدر تحت سماء القدس حيث يلتئم الصليب والحلال بقدسية مجمدة. والآلاف الناس يوجون كموج البحر يسعون للرزق تتألف فيها المشاهد بكل أبعادها كانت قرية (الميس) نقطة في مجراها .

وفي ذات يوم طرق بابنا شيخ كبير، وعليه سمات الاحترام .

عرف نفسه لأبي أنه الشيخ عبد الهادي أحد أعضاء البلدية، وطلب مني أبي وقتها جمع رجال البلدة القديمة من النازحين، والاجتماع معه في احد الأزقة، على عجل سهم الريح، ونشرت الخبر العاجل في أنحاء البلدة القديمة، كان كل واحد منا يحمل الأمل في طياته فقد جزعت أنفسنا وغابت في غياهب اليأس .

وعندما اجتمعوا جميعهم، جلست على مقربة من الشيخ المهاب أناظره أتبعثر بين شعرات لحية البيضاء الكثيفة، كل ملامحه تعني الكثير من صفحات الشقاء وتحكي قصة من قصص تحمل المسؤولية وقد ناء لأجلها ظهره من العناء . وتطقست بين تراويل كلماته بين جنبات آهاته لاكتشف الأمر، لقد بدأ حديثه بصوته الضعيف، ين تحت وطأة حكمته . فأضطر الجميع للصمت حتى يتيقنوا الخبر . قال:

- السلام عليكم أيها الباسلون، لقد تعرضتم للويل كما تعرضنا، شردتم من أرضكم بل كثير منكم ضحى بعزير على قلبه طفل قلبه ونور حياته ولا نرى إلا آثار الأذى قد أصابكم ولو أخفته الحلقة البالية وأجبرتم على التحلي عن مواشيكم، ملح أرضكم عرقكم ونسمات الهواء . ونحن هنا حالنا كحالكم وأن اختلف الأمرين، فلما استوحش اليهود واحرقوا أراضيكم، ونهبوها وقتلوا وشردوا المئات منكم، تسابقوا هنا بالسيطرة على منافذ البلاد من موانئ، وطرق وجميع

وسائل الاتصالات. ناهيك عن فرض الضرائب والتفنن بطرق رفعها ومحاربتنا بلقمة عيشنا

سرقوا منا كل وميض للحياة.

صمت وطأطأ رأسه وقال:

- نحن نفقد بلادنا.

قالها وقد غاصت عيناه في لحيته الكثيفة، تاركة القوم من حولي وهم يتصايحون، وبسخط هددوا وتوعدوا، تنحج وخرج من صمته قائلاً: ليست أصواتنا ما ستوقفهم إنما وحدة صفنا، وتمسكنا بأرضنا، وفخرنا بصناعاتنا. لذا عليكم أن تجهزوا أنفسكم للعمل، منذ صبيحة الغد عمالاً في مصانع الغزل والنسيج، وهناك تستلمون ملابس جديدة، وبذلك تؤمنون قوت يومكم وتحافظون على بلدكم.

اعترف أنه أستطاع أن يوقف الجميع إلى صفه بحكمته. لقد بدأ أبي والجميع العمل، وقد ارتدوا ملابس غير التي تعودنا عليها من: القمباز والشورة والعقال، واشترى لي أبي بعد أول يوم عمل: البنطلون والقميص وصندلاً جديداً، بدلاً من الشبشب الذي تقطع أثناء نزوحنا.

في شهر آب بدأنا تتلقى تعليما مجانيا في إحدى مدارس البلدة القديمة، كان أحب أستاذ لنا المعلم أمين، وحصّة التاريخ وهي حصّة شرسة في الحوار، كثيرا ما يخرج فيها عن نصّ الدرس، ليرينا بؤس حالنا، الذي نحن عليه في فلسطين، ومحدثنا عن أخبار الثوار في نابلس، وعن حقد الإنجليز تجاه إخواننا بالمواجهات القذرة من التقتيل والسجن والتشريد والمصادرة للأراضي.

دخل الصف يوما نائرا، وضرب يديه الطاولة غاضبا وقال: لقد دمر اليهود ما تبقى من هيكل سليمان وتأمروا بوقاحتهم على النص التاريخي فما كان هيكل لينقبوا عنه فقد دخل عمر المدينة وأمن المسيحيين، فما وجد غير أحجار أزاح عنها تراكم الأزمان كانت تلك قبة الصخرة، وما فتؤا يستقزون المقدسين، وها هي ثورة البراق تدور رحاها عند حائط المبكى، ولن يوقفنا اليوم شيء. . . والآن اذهبوا إلى بيوتكم أسرعوا.

مضينا حينها مسرعين وقد امتلأت الطرقات بالطلاب والعمال والأحرار غاضبين، وشاهدناهم ونحن نختبئ في الأزقة، يهاجمون الحي اليهودي، ويحرقون محالهم التجارية واشتعلت القدس، وفررنا إمام الجنزرات البريطانية التي دخلت طرقاتها، وقد حاولت بلا جدوى فرض قوتها.

لقد توقفنا عن الفرار إمام تصميم وشجاعة الأحرار، فقد تأجج الوضع وازداد الأمر سوء، ونحن نتلصص هكذا أمسكتي يد من الزحام، لقد كنت اعرف جيدا هذه القبضة، لقد كانت قبضة أبي

الذي صرخ وسط أصوات الثوار المتعالية، ولم أكد اسمع سوى أمك والبيت هذا يعني الذهاب فوراً عند أمي وصابر.

بالكاد وصلت ورفاقي إلى بيوتنا، وجدت أمي حينها واقفة أمام الباب تناظر الذاهين من الأحرار، فقد أدركت أن الأمر جلل، وعندما رأيتي انهالت علي بالتوبيخ، وبدأ صابر بالبكاء، فارتأت تركي وإرضاع صابر.

حينها انزويت عند المذبح القديم، الذي اشتراه أبي وأخذت أولف المحطات حتى سمعت صوتاً يقول: لقد ازداد الوضع سوءاً في القدس، وبخاصة بعد ظهور عصابات عربية قامت بالكثير من الأعمال التخريبية في الممتلكات اليهودية والإنجليزية، وأعلنت مسؤوليتها تحت اسم (عصابة الكف الأخضر) وامتدت المواجهات في يافا وحيفا ونابلس والمدن والقرى الفلسطينية الأخرى.

لقد دخل العديد من العرب من سوريا الكبرى، للوقوف إلى جانب إخوتهم الفلسطينيين، وبدأ التشويش فلم نعد نفهم شيئاً فأثرت إغلاقه، وجلست أمارس هوايتي في عمل المسدسات من المنشورات التي تتطير والرياح، وادقق في صنع المسدس، واتقن في صنع الطلقات. طلقات تمضي في صدورهم غزاة نهابين يجرعون الظلم وينتشون التعذيب ما تكفيهم طلقة أو اثنتين بل المئات المئات من الرصاصات والمسدسات والذخيرة لتصيبهم تمحو أثرهم لتعيد لنا إرثنا كل مقدراتنا حتى أحلامنا المنهوبة.

لقد أمضينا أسبوعين في الدار، ولم يعد أبي بعد ونمت صداقة غريبة بيني وبين صابر فلم أراه الطفل الرضيع فقد تمكنت بعينيه، وأنا أحادثه فوجدته يفهم كل شيء، ولا يقاطعني بل أخاله يقول: كل ما نقوله صحيح. فقد حدثته يوماً:

- أتعلم يا صابر أنه بإمكاننا أن نكون عصابة كالصيفيين، ونقاتل اليهود والإنجليز. وهل ترى هذا المسدس الورقي؟ إنه أقوى سلاح رأيته فقد صممه بأن تكون طلقاته قاتلة. عجل وأكبر

أنا بحاجة لك بل أرضك بجاجتك فقد قتل الكثيرون وما عدت أستطيع الوقوف وحيدا
طفولتك هي من يمدني بالقوة.

استمرت الاضطرابات في القدس وباقي المناطق، وازداد الوضع تازما، فكثيرا ما كنت أجد أبي في
الدار، وقد عاد مبكرا من عمله، لم يكن دوام مدرستنا كاملا فقد كان علينا العودة إلى بيوتنا مبكرين،
من كثرة الحركات السياسية، كما كان يجبرنا المعلم أمين.

فقد حدثنا يوما:

- لقد تغلغت المؤتمرات والمحادثات كحركات سياسية، أجهضت العمل الثوري، وما يؤسفني هو
سحق عصاة الكف الأخضر لأنها تفتقر للتنظيم السياسي.

واذكر أنني سألته عما تعنيه كلمة التنظيم السياسي؟

وقال ببساطة:

- أن تكون وزملائك مجموعة في ذهن كل منكم هدف، تتفقون عليه وتسعون لتحقيقه، بمجموعة
من الطرق، وتجعلون عليكم زعيما فيه مجموعة من الصفات التي تؤهله لتولي هذا المنصب.

قاطعه سائلا:

- وما هي هذه الصفات؟.

أجاب:

- كالشجاعة والجرأة والقدرة على ضبط المجموعة لتحقيق الهدف. وأهم شيء يضمن نجاح
التنظيمات الدعم السياسي والشعبي. ولا بد أن تعرفوا أن جميع بلاد العالم من حولكم ناضلت

وتألمت ولم ترضخ للظلم بل فدت بلادها بشبابها دماء شريفة ثمن الحرية فلا استعباد للأحرار
ليس بعد اليوم.

ويومها عندما عدت للبيت، وجدت أبي جالسا وهو يلعب صابر. قلت:
- مرحبا.

وجلست بالقرب منهم وأخذت اسرد لأبي عن التنظيمات السياسية.

قال أبي:

- لم يعد الأمر مطمئنا فقد ازدادت الإضرابات وارتفعت الضرائب، وزاد العنف وأخذ الخوف
والرعب يدب في قلوبنا فلم يعد اليهود لوحدهم بل يساندهم الإنجليز وإخواننا العرب ينوءون
تحت الاستعمار فلن يستطيع أحد مساعدتنا كما نريد ولا بد من تنظيم قوي يساندنا في هذه
الظروف.

تأوه، وصمت.

حاولت جاهدا إصلاح محطة البث وإذ بها تنطق وبها قليل من التشويش:

- لقد تمكن تنظيم عز الدين القسام أن يجمع الأحرار من الطلاب والفلاحين والعمال في جميع أنحاء
البلاد، ومن الجدير بالذكر أن مرجعيته الإسلام والقومية العربية.

حينها انفجرت أسارير أبي. وصاح:

- الله محي الأبطال.

واجلس أبي صابر وريت على رأسه بلطف، حينها قال وهو خارج:

- يجب علينا أن نترك بصمتنا في هذه الحياة.

لقد خرج أبي مودعا لنا بنظرة المفارق، لم نكن نعلم أن هذه آخر مرة نراه فيها، لقد تطورت المشاهد الثورية وازدادت التحرشات الصهيونية وفرق الهاغانا تفننت في التقتيل ومضى على نزوحنا إلى القدس ثماني سنوات، وأصبح صابر في الثامنة، وأصبحت في الخامسة عشر. اليوم أدركت الحقيقة كاملة واللعبة السياسية، فقد ضجت الطرقات بثوارها وتفاقم الأمر، فقد قطعت وسائل الاتصالات والطرق والموانئ، أخذت على عاتقي تعليم صابر صنع المسدسات، فأبدع في التصويب و قسي قلبه فعدوه أمامه ينهب أرضه.

طال غياب أبي، ولم يعد بالدار أي قطعة للخبز، فطلبت أمي إلينا الذهاب إلى المخبز، لشراء بضعة أرغفة تكفينا عدة أيام، مضينا في الطريق وقد ضجت بالمارقين، وأنا أحادث صابر:

- لم تكن أمي لتطلب رغيف الخبز، لو قدر لها الحصول على حفنة من القمح. آه يا صابر، ما أجمل ريجه، وهو يخرج من الطابون في قريتنا (الميس)!.
لقد انتشرت المنشورات التي علقت على الجدران، توجج مشاعر المارقين:

- إخواننا الفلسطينيين أصحاب الأرض لم تعد لنا القدرة على تحمل المزيد من الذل، ونحن أصحاب الأرض، أنها أرضنا وعرضنا تغصب أمام ناظرينا كل يوم، أوليس فينا نخوة العربي والغيرة على شرفه؟! قوموا من سباتكم ولا تغرکم المؤتمرات السياسية الكاذبة، فهي أفيون الشعوب لقتل الروح الثورية، إنها اللحظة الحاسمة لإعلان ثورة، 1936 فقد تأزم العالم بالحرب العالمية الثانية، واستشرت الفاشية في أوروبا، وتزايدت أعداد اليهود في فلسطين، فماذا تنتظرون؟

سألني صابر:

- وما هي الفاشية؟ .

حينها تذكرت حديث الأستاذ أمين عن هتلر و موسوليني . فقلت:

- يا صابر هناك بلاد كثيرة في العالم، منها دولتين قد استشرى بهما الحقد، مثل: ألمانيا و إيطاليا
وجعلت من سكانها الأفضل في العالم كله ولا أحد يستحق الحياة غيرهم، وخولت لنفسها غزو
العالم للسيطرة عليه .

وها هي الحرب العالمية أي التي تشمل كل البلاد في العالم قد بدأت بالفعل .

وصلنا إلى المخبز، وقد تراحم الناس عليه ليؤمنوا بيوتهم بالخبز، ويبدو أن هناك أمرا جلالا سيحدث
وبعد طول وقوف حصلنا على ثلاثة أرغفة، وأشفت على صابر الذي تعبت قدماه، من الوقوف
فانزونا بنفسينا عند البيت المهجور، لناخذ قسطا من الراحة .

هناك فاجأني صابر بسؤال:

- ماذا تعني الثورة؟

أجبتة حائرا:

- انظر إلى هذه الحجارة الصغيرة التي تملئ الطريق، وانظر إلى هذه البيوت على جانبيه، هذه
البيوت نحن أصحاب الأرض والحق، وتلك الحجارة تتناثر هنا وهناك بلا جذور، شرذمة
تمكنت من الأمر كله تسير حسب أهوائها، وكثير منها ما يزيد العيار بالظلم، كأن يسلب منك
حبة الحلوى من فمك ويكبر كرشه حتى يستهوي أخذ بيتك، قد تتحمل وتسكت أول مرة

والثانية. لكن ليس إلى الأبد فتثور وتغضب، وتعلم يا صابر أن تخليك عن حقدك أول مرة يطمع فيك أصحاب النفوس المريضة.

صمت صابر وقال

- هنا لم أدر ماذا أجيبه: وأفرض أننا خسرنا الثورة فماذا بعد؟

صمتت وأرجعت رأسيا وقد مر شريط الذكريات أمامي بالقهر والظلم والقتل والتشريد.

قلت:

- لا دعنا تتفاعل فلا تكن من المتشائمين، فصاحب الحق مهما طال الزمن، لا بد أن يأخذ حقه

ولو بين فكي الأسد.

وقفت على قدمي وقلت:

- هيا يا صابر، لقد أطلنا المكوث فقد تعلق أمني علينا، وأخشى عليها الوحدة.

عندما وصلنا الدار كانت مليئة بالنسوة، لم يعجبنا هذا المنظر، فركضت وصابر الذي سبقني، وأخترق النسوة وما لبثت أن سمعته، وقد أجهش بالبكاء .

لقد وقع قلبي وما دريت أمشي الهويني أم أسارع الخطى ؟؟

أمسكتني إحدى الجارات وقالت:

- شد حيلك يا إباد، فأنت اليوم زلماة الدار وأبوك شهيد الوطن .

لم أكن لأصرخ ولا لأبكي البطل الشهيد، وآلاف الشهداء تسقط دفاعا عن الوطن، فكل فلسطيني فينا مشروع شهيد . ولن أضنى بروحي عن أمي الأرض . تخللت الصفوف والنسوة يفسحن الطريق لي للمرور، رأيت أمي جالسة صامتا، جبلا ما اهتز لها جفن، وما ذرفت الدمع والقلب يتفق حزنا على الفقيد الشهيد . قبلت يدها وجثوت عند قدميها، وطأطأت الرأس رفعة بيدها برفق .

وقالت:

- لا تظاطئي رأسك يوما ولا تتنعك المنايا، فلا يلبس رداء البطولة إلا الأبطال، ولا ينتعل أحذية

الرخاء إلا الجبناء، فسر على خطى أبك بطلا مغوارا فاتحا صدرك للموت والشهادة .

صمت حينها صابر واخذ يجفف دموعه بطرفي كفه وقال وبه حشرجة: وأنا بطل لا أخشى الموت مثل أبي وإياد. ربت أمي على ظهره وقالت: نعم هكذا هم أبناء فلسطين. لقد عشنا أياما حزينة، وكنا لا نضيع الوقت بالجلوس والدنيا تحترق من حولنا، تم صنع المسدسات الورقية الآن بتصميم أكبر وبمهارة وإتقان على التصويب في المقتل.

أريت صابر الكنز، وحفرت حفرة في أرض الغرفة الإسمنتية وواريت الكنز الثرى فهو أرث لمن بعدنا لن يأخذه المغتصب عنوة، ولو على جثتنا. خرجت وصابر والأصوات تتعالى، والأدخنة تزكم الأنوف حينها لم تكن البلدة القديمة إلا وهجا من نار.

والرصاص يخز الصدى، كانت الجثث تتراعى هنا وهناك تذكرت قريتنا الميس. كنت طفلا حينها لم أقوى على شيء، لكنني اليوم قادر على الذود عن حمى الوطن، وعن عرضي وشرفي. صرخت:

- لبيك فلسطين، لبيك.

وعزمت حينها توزيع الأسلحة على قتيان الحي، وأطفاله وأمرت صابر أن يعود إلى البيت، وأن لا يدع أمي لوحدها. ألا أنه صرخ وقال: لست من توزع الأدوار، فمن حقي أن العب دور البطولة، فأين سأكون بطالا إذا فني الوطن؟ توقفت والنار من حوي وقلت:

- إذا أيها البطل لا تدعهم ينالوا منك.

ومضينا وقتيان الحي كل معه مسدس وطلقات، وفي قلب كل منهم ابتهاج إلى الله بدحر الصهانية الأوغاد، لقد جهزوا أنفسهم اليوم بأسلحة متطورة وبالآيات ومجنزرات فقد طاب لهم القتل والتشريد وحوشا لا يؤمنون إلا بالاغتصاب. صررخنا جميعا ونحن الأشاوس واقفين أمام الظلم، وأمام القاتل ولكل منا ثأر فلن تضيع دماء الشهداء هدرًا. أخذوا يضحكون من أسلحتنا الورقية، ويستهنئون حينها قلنا:

- اصمدوا أمام طلقائنا إن كنتم صامدين .

وقفوا وهم مستهزئون . هنا أطلقت شارة البداية في الإطلاق، صفوفًا متعاقبات وأخذت الرصاصات تصيب المقتل، وأخذوا يسقطون قتلى . فزعوا من هول ما رأوا، وكأنهم يقولون:

- أَيْقَلْنَا مَسْدَسَ مِنْ وَرَقٍ؟!!

أخذوا يطلقون نيرانهم بجن وخوف، وإن قتلوا أحدنا فتراه ينهض من موته مصوبًا لمقتلهم، فزعوا أخذوا يتراجعون أمام تقدمنا . بدأت التعزيزات تساندتهم بالقنابل، والمدفعية التي مزقت الكثيرين، حينها سقط صابر قتيلاً . لكنه قام يجمع أشلائه، كما قام الفتيان يلملون أشلائهم، فما عادت القنبلة تهزنا . وما عادت الرصاصات لتقتلنا، وأن قتلتمونا مرة، فألف إياد وألف صابر سيقومون ويسددون طلقائهم من مسدس الورق .

النهاية

حقوق النسخ والنشر محفوظة لدى دار حقد للنشر الإلكتروني اللاورقي



دار حقد للنشر الإلكتروني اللاورقي

حقد،، حيث تستمتع مستلذاً بذاتك الأدبية !

نبذة

أخذوا يضحكون من أسلحتنا الورقية، ويستهزئون حينها قلنا: اصمدوا أمام طلقاتنا إن كنتم صامدين. وقفوا وهم مستهزئون... هنا أطلقت شارة البداية في الإطلاق، صفوفًا متعاقبات وأخذت الرصاصات تصيب المقتل، وأخذوا يسقطون قتلى. فزعوا من هول ما رأوا، وكأنهم يقولون: أيقتلنا مسدس من ورق!!

أخذوا يطلقون نيرانهم بجبن وخوف، وإن قتلوا أحدنا فتراه ينهض من موته مصوبًا لمقتلهم، فزعوا أخذوا يتراجعون أمام تقدمنا.

بدأت التعزيزات تساندهم بالقنابل، والمدفعية التي مزقت الكثيرين، حينها سقط صابر قتيلا. لكنه قام يجمع أشلائه، كما قام الضياع يلممون أشلائهم، فما عادت القنبلة تهزنا.

وما عادت الرصاصات لتقتلنا، وأن قتلتمونا مرة، فألف إياد وألف صابر سيقومون ويسددون طلقاتهم من مسدس الورق.

رواه عبد الرؤوف



دار حفيد للنشر الإلكتروني والدورقي

النسخة الإلكترونية الأولى

2015

قراءات نقدية

بلمسة سياسية

مقالات

دولا حسينات



دار
الرواق
للشركاء

نوع العمل: كتابات أدبية

اسم العمل: قراءات نقدية بلمسة سياسية

اسم المؤلف: رولا حسينات

الناشر: حروف منثورة للنشر الإلكتروني

الطبعة: الأولى نوفمبر 2016

تصميم الغلاف: مروان محمد

تدقيق لغوي: رولا حسينات

تفضلوا بزيارة موقعنا حروف منثورة للنشر الإلكتروني من خلال
الضغط على الرابط التالي:

<http://herufmansoura2011.wix.com/ebook>

كما يمكنكم متابعتنا من خلال صفحتنا الرسمية على الفيس بوك من
خلال الضغط على الرابط التالي:

<http://facebook.com/herufmansoura>

كما يمكنكم مراسلاتنا بأعمالكم و مقترحاتكم على الإيميل التالي:

Herufmansoura2011@gmail.com

دار حروف منشورة هي دار نشر إلكترونية لخدمات النشر
الإلكتروني ولا تتحمل أي مسؤولية تجاه المحتوى الذي يتحمل
مسئولته الكاتب وحده فقط وله حق استغلاله كيفما يشاء

كُتَابَات أَدْبِيَّة

قَرَاءَات نَقْدِيَّة بِلْمَسَة سِيَّاسِيَّة

مَقَالَات

رَوَّلَا حَسِينَات

الفهرس

- ذائقة الموت..الاختلاف في الرأي لا يعني خنجرا في قلب الوطن.. 6
- خطوط متقاطعة 58
- بلاي ستيشن أم داعش دوت كوم..... 69
- قراءة في كتاب ظاهرة العنف في الخطاب الروائي العربي 78
- قراءة في رواية كلمة الله 83
- قراءة في رواية منافي الربّ 103
- رسالة إلى الحكيم من المرأة التليمة 110
- بلادي وإن جارت عليّ عزيزة 121
- نفر من الجن ...خروج عن المؤلف ..واستقراء إلى ما بعد
المستقبل 134
- مجرد فكرة..... 174

ذائقة الموت..الاختلاف في الرأي لا يعني خنجرا في قلب الوطن..

أيمن العتوم ..رؤية عاشقة من وراء القضبان...



عبرت قناديل الليل
برعشات العويل
والغربان تنفق على
الأدواح العارية وقد
هجرتها البلابل وتغشى
الليل الأرض المحترقة
بظلمته، ودويّ القنابل
قد أجج سعير البيوت
العتيقة وقد تهادر

ركامها لتسوى مع أناسي الأمكنة المنسية، حينها لملم السكون
المطبق أذياله فما تبقى أي من أعشاش البلابل.وبقي إرث الحب
مضمدا للجراح ومعزيا للتائهيين..

إلا يعرفونه؟؟ إلا يمتثلون لسلطانهم؟؟ يعرفون بقرارة أنفسهم أنهم يكابرون.. يقولون عنده نقيصة، إذا كان الحب إحداها فلا أعدم

وجوده...وي كأنه دين

السماء الذي اختص الله

فيه نفسه بالرحمة!

أوليست الرحمة طابعا

للحب؟؟ فلما عساها تمتد غرائبية البشر وشرورهم لتطال ذاتي..

صفحتي المخبئة تحت نواقيس الهديان؟؟! وأنا المحتضر بين أوراق

النسيان..فليدعوني والنزر الأخير المتبقي لي لأمضي به ..

ذائقة الموت في بنيوية فكرية للإنسان وداخليته.. في قسمها الأول

وفي ملحمة الثورية في البحث عن صناعة الحقيقة في قسمها

الثاني.. ويبقى الحب سيد المشهد وعرابه ونفيسته التي تقدر

بمشيئتها حدود اللامعقول..

كانت صياغة واثق وصناعة المستقبل المسيطرة على بنية العتوم

لذائقة الموت، الذي حاول فيها بتميز أن يوجد الصورة السلبية

(النيجاتيف) للإنسان في صراعه مع عبثية الواقع، أن يعيش عالما

يخاطب فيه نفسه، ثم ليسوقها في نسق تطوري إلى نص حوارى بين شخصيات تتصارع في نفسه قد خلقها وشكل بها منظومته الفكرية والسلوكية. لم يكن واثق كأي منا قادرا على التعايش مع محيطه سابحا في نهر يقصيه ساكنوه عنوة ليكون عكس التيار، ولم يكن مالكا لواقع ملموس بقدر ما كان مسهبا في عالمه الخيالي و لم يعد مع الوقت قادرا على الفصل بينهما، فكان هو هو من بقي بين الضفتين لا يقوى على الولوج لأي منهما.. لقد امتدت رغبة واثق ابن أم الكروم في البحث عن تشكيلة ما تعينه في بنيوية شخصيته التي تتميز بعدم وضوح رؤيتها المستقبلية والتي استمرت حتى خط النهاية، تلك النهاية التي ابتدأها في حلمه ونازعته نفسه على تحقيقها لتحقيق به الشقاء من كل صوب..

في ذائقة الموت والتي جاء فيها العشق لونا آخر من ألوان اكتشافه لما حرّمته منه قوانين الطبيعة لتهدب الشراسة المحرومة فيه، والوصول إلى أقاصي الصدق ودقائقه وإضفاء لون من الثورة المحبة لطريقه الغارق بالمآسي.. في البدء كانت الرؤيا وكان الحلم الذي بني عليه الخط الطولي للرواية الذي نجده قد تشعب ليرصد أكثر من قضية، لكن الحقيقة المطلقة التي أبدع العتوم في صياغتها عالقة بين

الوهم والحقيقة، شعرة واحدة تفصلهما في إطار زمني
مجنون.. "الموت.. الحياة طرفا الدائرة دائرة الكون، الكون الذي لا
يكف عن الدوران.."

اختبر العتوم في بناء شخصية واثق علم التساؤل والبحث الدائرة
رحاه على أرض جميع شخوصها من ذوي القامات العالية والأنفس
الموصدة أبوابها.. العقل الذي لم يدر كنه الأشياء وماهيتها بل كان
رافضا للحقائق على علاتها، لا بد من سبب لا بد من محرك لموازيين

الطبيعة و كذلك

الشخوص، ويمكن أن
نصيغ الأبعاد التي أثرت
في شخصيته..بسمية.."

اختبر العتوم في بناء شخصية واثق علم
التساؤل والبحث الدائرة رحاه على أرض
جميع شخوصها من ذوي القامات العالية
والأنفس الموصدة أبوابها.

أنت مخطئ فجميعتي بسمية لا يمكن أن تنتهي.. " "وسمية هي أصل
الحكاية.. " الرسالة -375 77 وليلة الذئب.. " ليلة الذئب السبب
.. "245.. " وذكرته بليلة الذئب.. " 282236 "أنا ذلك الإنسان الذي
سموه واثق لأنهم علموا بعد ليلة الذئب في المنطقة المحرمة لن
يعود واثقا حتى من وجوده على سطح الأرض أصبح يشك حتى فيما

يراه.. " 137 وعشقه منى.. " وإن العشق ربيب الموت وخذنه
الطائع.. " 262 " ما حدث لم ابرأ منه إلى اليوم.. " 264 ..

ليكون فن التساؤل من القاعدة العامة للقانون الكوني لتضييق فيما
بعد إلى عنق الزجاجاة.. " ترى على أي جنب سوف يختبر الميت
صدق المقولة؟؟!" أهذه صورة القبور أم هذه هي الحياة؟؟!" 21
"وحدها النهايات تتصالح مع الموت وتمسك بيده كرفيق درب!!" 22
"...ماذا يفعل الموت بنا؟ يوقظنا أم نوقفه ليصبحنا إلى مرابع
الحقيقة.. هل من سبيل إلى الحوار معه أين أنت أيها الموت؟" 18
"فلتأت أيها الحالم الوسيم، أيها الفاتك الجميل الذي ينتظرون قدومك
قليلون كن على يقين أنني من هذا القليل.. "سجال بينه وبين
الموت.. " كان يقترب منه قليلا يقهقه في وجهه ثم يعود إلى مقعده
الأحمر.. " ليتغير نمط الأسئلة ويتخذ منحى أكثر دقة، بعيدا عن
قوانين الطبيعة إلى قوانين البشر، ليبقى واثق الشخصية التي تفردت
بعدم وضوح رؤيتها.. بعدم وضوح المنظومة المستقبلية التي عاشها
بأحداثها ليكون له مستقبلا مجهولا.. ليعبر عن نفسه الضائعة بقضايا
قد لا تعنيه أو قد لا تشكل ذلك التأثير عليه.. وهو يعتقد أنه مناضل

"أتساءل هل كان بيدي أن أتلافى السجن؟؟!! .. "هل كان الأمر يستحق أن نخرج في المظاهرات والاعتصامات...؟؟!!"397" في حياته قاوم كل ضعف وهوان حتى آخر نفس فيه إنه السعي نحو المجهول وخوض الصراع.. "ماذا لو عكس الأدوار فصار هو الجمهور وصار الموتى الممثلين ماذا سيقولون حينها؟!!"11 "لم يعد مهما أن يكون حلما

حياته قاوم كل ضعف وهوان حتى آخر نفس فيه إنه السعي نحو المجهول وخوض الصراع

أم حقيقة.. "406" خيل إليه أنه مشاها من قبل.. "

"أرعبه المشهد فتأرجح في مكانه.. فسقط.. "فأنارت تلك الصلاة ما بين السماء والأرض.. كان هو.. هو" 407 شخصية واثق المسحوقة و التي لم تتل نصيبها من الاهتمام منذ صغره لتصيغ الشخصية الخارجية صاحبة القرار المتردد.... "لا بد أن الولد جائع.. لا تتحدث أنت باسمه دعه يتحدث هو.."" وهو منذ البداية قد طرح جسده في الهواء مثل منذنة تتأرجح"11 "وتساءلت في سري.. "76" ولماذا تنهياً لي وحدي إذا كان ما تقولينه صحيحا.. "80.. "وجعلتني أحاور نفسي وأجادلها" 311

تلك العجينة التي وهبتها السماء ماء طيبا فكانت الجدة في رمزية
للعطاء.. للوطن.. للأرض لأي من مفاهيم الثقة والنبيل.. " لم أكن
أدرك لماذا تنبت الأزهار من تحت قدميها كلما سارت في الحقول
الفسيحة المفتوحة على الفضاء المطلق " 26 وهي ذاتها الحارس
والمنبئ بالأمل "جدتي لا تحتاج إلى الديكة لكي تصحو.." 30
"تتوضأ في البرد الذي يحدث أن يجمد حتى ماء الوضوء النازل من
الإبريق " 30 وهي التي أنارت دربه المعتمدة بقتديل.. "مشت هذه
السيدة العظيمة التي علمتني نصف الحياة وانسحبت خلفها منصاعا
في البداية" 30 "وهي تشير إلي أن أتجنب الطين ما استطعت" 31
.. "لجدتي سحر في قلبي يعادل سحر الشمس.." 33 والتركيز على
آلية فهمها وتعاملها.. حجة الصغير وإدراك الجدة وسعة صدرها..
يصيبني بعض الملل فأطلب من جدتي .. أريد أن أذهب إلى الحمام..
تريد أن تلعب قليلا زهقت؟ " 34 "كيف عرفت جدتي ذلك؟ جدتي
تملاً جيوبها بالأسرار حيث تحتاج إلى كشف إحداها.. ما عليها إلا أن
تمد يدها إلى أحد جيوبها التي تملاً شرشتها.." 34..

من أبرز المنحنيات التي أثرت في واثق ثقة جدته به لقد مارست
الجدّة أصول الإبداع في بناء حلمه.. " رغبته في التحرر من القيد
بأي وسيلة كانت ليصنع لنفسه تابوت قد نقش على سطحه
الأملس: عاش بطلا ومات بطلا... ولقد وضع واثق السبب الرئيس
لسعيه على غير هدى في سيرته المستقبلية في اعترافاته بمدى
معاناته من إهمال وتهميش وقسوة.. " ما الذي يستهويني يومها؟

لست أدري بيد أن جدتي

كانت حضا دافئا يحميني

من الإهمال ويسقيني

زلال من ماء الاهتمام،

وبين يديها وجدت مهربا من الحياة القاسية الصارمة التي وجدناها

مفروضة علينا.. " 51. "وبؤت أنا بالإهمال.. " وتبقى لهفتها عليه

.. "أين ذهبت يا واثق؟؟ أيفعل بي ذلك؟.. " 39..

عندما ولدت أم الكروم أبطال ذائقة الموت، ولدت في الحقيقة التاريخ

والعادات والتقاليد وهي شاهدة على أمانى العاشقين ومدافن البائسين

وملاحم الوطن.. فكان عميق الوصف لدى العتوم .. " الشرشة

من أبرز المنحنيات التي أثرت في واثق ثقة
جدته به لقد مارست الجدة أصول الإبداع في
بناء حلمه

السوداء التي تلبسها إلا حين تخرج إلى هذه المزارع" 33 ..إنها واقعية الحياة المليئة بالجلادة والتعاون..والمساواة الفعلية بين الرجل والمرأة "مباركتان هاتان اليدان.." 33..فكانت أم الكروم بالمشهد الطبيعي الذي برع العتوم في إبرازه و الحياة الريفية، وزهداها في جل الرواية بكافة تفاصيلها خادمة للقضية من أوسع أبوابها " أصوات قرقة التنكات الفارغة التي لعبت فيها الريح وطوحتها من مكان لآخر، وكانت أصوات المزاريب وهي تشخب بالماء المتدفق من أسطح المنازل" 27 من منا لم يعيشها ولم يتغنى بشتائها وصيفها واغتسل من غدرانها؟؟ "كانت الريح تصفر بألحان متعددة وكأنها نائحة بائسة خرجت من القبر للتو، كي تروي للموتى أمثالنا ما يجري في العالم السفلي من أهوال"27.."وجرقت هذه السيول في طريقها كل شيء حملت حتى بعض الماعز التي انفلتت في عقله من أصحابها بعد أن فتحت الريح أبواب الصيرة " ..ولقد رسم بريشة الفنان "مزارع الزيتون عشرات الدونمات تمتد لا تكاد ترى لها نهاية" 32

ولم يسقط ذلك العيد الوطني من الأرواح المتعلقة به، والذي يفترض أن يكون أحد العناوين البارزة للدول العربية وعطلة رسمية فيها لكنه يعامل على النقيض من ذلك بالإهمال في السياسات العامة للدولة والزراعية خاصة.. ورغما عن كل شيء مازال محتفظا بطقوسه عند الفلاحين...."مدت بساطا واسعا من أكياس النايلون ..حتى شكلت معها مفرشا .. وراحت تمد يديها إلى حبات الزيتون وتفطره بعناية

فائقة "3 32 وكما كنت

ولم يسقط ذلك العيد الوطني من الأرواح المتعلقة به، والذي يفترض أن يكون أحد العناوين البارزة للدول العربية

مهمة الأطفال.. " في

إحضار أكياس الخيش

خمسة أكياس " " حين

يهاجم جدتي تجلس على الأرض وتبدأ بملء تناثر على المفرش من

حبات الزيتون.. تملأ دلوها صغيرا من البلاستيك بهذه الحبات ثم تلقي

بها في بطن الكيس " 33 ..وتلك الملاحم التي شهدها الوطن على

أرضه منذ غابر الزمان "التي استخدمت كذخيرة تملأ فوهات

المنجنوقات فقد قيل أن حربا دارت عند هذا الوادي بين رشاد باشا

وجماعة هادي باشا واستمرت أشهر.. حدث ذلك منذ ثلاثمئة سنة

قال جدي " 71

وكان سعيه ليكون شجاعا الذي انسحب على عقله الباطن.. "كيف يمكن أن أكون شجاعا مثلك؟؟ لا تفكر في الأشياء إذا أردت أن تقدم عليها.. " وهذا ما جعله يخوض في معركته الثورية فيما بعد. لكنه عند خط النهاية لم يجد مبررا لتلك الشجاعة "وجعلتني العزلة أنا لست أدري لما اشتركت في كل هذه المسيرات وتلك المظاهرات.. "303 وعزلته فرضت عليه عدم استقرار "ما دامت قضيتي عادلة فأنى لجيوش الظلام أن تهزمني .. هناك فجوة بين العقل والجسد وحده الصبر قادر على أن يجسرهما.. "312

على النقيض من ذلك الأم التي لم تتعدى الغشاوة والمترائية صورتها عند الأبواب مجرد خيال.. وفي البعيد كانت حيث أنها لم تستطع أن تضيء نورا على حياته في أي مرحلة، رغم أن الأم بالمطلق نوع أصيل للعطاء، لكنها في مذكرات واثق لم تشغل سوى مساحة ضيقة غير متوازنة الفسحة الضيقة التي كانت معنونة بالالتزام وفرض القرارات والموازين غير العادلة "ظلت أمني تحثني على النوم باكرا كي يمتص النوم مخاوفي .. "27 لم تبحث حتى في مخاوفه بأي شكل لتخترق الخط الفاصل بين الحلم والحقيقة، وأبقت لوائح صورتها

وهي تتلمس الطريق الذي اختارت أن تطفئ عينيها لأجله فجيعتها
بسمية، وقد أسقطت من تلاها بوجود سمية وحتى بعد فقدانها.. دون
أن تُضمن واثق في إطار الصورة .. فيعترف .. أنها مجرد سنة التي

كانت أشبه بقرون

"..كانت أمي صارمة

معي غير أن صرامتها

كانت تؤتي ثمارها مع

أختي وتصبح عجفاء معي، كم تورمت أذناي لطول ما شدتهما أمي

وهي تؤنبي على فعل ما.. " 50 .." وكانت تهوى أن تضربني بقعر

شبهبها المليء بالأتربة والحصى على قفاي.. " 50 هي الأمل

المفجوع الذي لم يؤذن له ليكون حتى أملا مشروعاً. "وصاح في

الظلمات أماه" 173.. "لم يشعر بوجود أمه معه في الغرفة تعرف

من هاتين العينين أنه هنا وليس هنا " 194.

وقد تكون جزء من الرعب الذي بنى عليه حياته.. " ..استيقظت

مرعوباً هل تهيأ لي جراء قصص أمي التي تقصها علي قبل النوم

طفئ عينيها لأجله فجيعتها بسمية، وقد
أسقطت من تلاها بوجود سمية وحتى بعد
فقدانها.

..40 لكنها تبقى العظيمة في حياته"رحلت هذه العظيمة التي
ولدتني في الربيع"367

وما كان للجد إلا قداسة في مشهد حياته.. "وتحيله إلى راهب يتبتل
في المحراب" 41..منتقضا من شخصيته مهمشا لكيونوته "وهل
رافقك هذا الولد إلى هناك؟ كانت كلمة جدي طعنة في القلب" 89..
رغم أنه لم يتصدر المشهد إلا بلمحات خاطفة، لكنها كانت كفيلة
لتبرز الشخصية القيادية له والتي تؤمن بالعمل الجاد الدؤوب، وكما
تؤمن بالشخصية القوية فقط القادرة على العمل وإسقاط ما دونها
كما فعل بواثق..ومع ذلك فقد كان الجد المسؤول عن العيش بكل ما
تحمله الكلمة من معنى، وضمان سلامة التخطيط والانجاز "كان جدي
حريصا على معازره." 27..ومعتقا لجمالية الإرث.. "أوقد جدي النار
جدي النار، ووضع عليها إبريقا مطليا باللون الأزرق فانقشر طلاؤه،
وصار اللون الأسود الفاحم هو طلاؤه الجديد، إنها ذكريات الطفولة
لكل منا"69..

.. وتبقى سمية السر الدفين الذي كان العقدة بحد ذاتها التي جعلت
واثق عالقا بين الوهم والحقيقة..بين الضعف والانهمازية والقوة

والبطولة.. كما كانت سببا رئيسا في الحرمان لكل من حولها في حياتها الواثقة.. لقد كانت الحقيقة المسقطه أن سمية هي أيضا ضحية الطبيعة القاسية التي لا تؤمن إلا بالقوي والقادر على استيعاب أنموذج التفاعل الايجابي مع الواقع.. فقد حرمت واثق من حلم الطفولة ببراءتها وبعد مماتها حرمته طعم الحياة نفسها، كما حرمت أمها نعمة النظر، ونقشت

أحادية الفكر لدى واثق لمنطقية الموت "وكننت أحس أنني تلميذ بين

لقد كانت الحقيقة المسقطه أن سمية هي أيضا ضحية الطبيعة القاسية التي لا تؤمن إلا بالقوي والقادر على استيعاب أنموذج التفاعل الايجابي مع الواقع

يديها بالرغم من أنها تكبرني إلا بعام.. أختي التي تمنيت أن أجدها رفيقا لي من أجل أن نلعب قليلا وأن نستمتع بطفولتنا قبل أن تهاجمنا سهام الزمان "50 لقد وقعت شخصية واثق في الفجوة الزمنية بين ما منحته إياه جدته وبين ما حرمته إياه أخته" لم أكن أعرف هل أحسد أختي أم أحزن عليها... "51.. "شخصية أختي كانت طاغية.."

51

هل هو قانون البشر الذي جعلها فوق البشر؟؟؟.. "كانت تطير فوق
الغيوم بينما تعوج رقبتى.. " 53 "كانت سمية قانون العائلة..
55.. "أختي التي ظلت شوكة في القلب توجعني وأحميها من الريح"
72 بالعاطفة المضطربة لديه.. "كانت المائدة قد قدت جدارا فاصلا
بين أزمنة الطفولة كلها وسورا قائما.. تجارة الموت والحياة بالرغم
من أن وعينا كان بسيطا.. " 72.. " أحيانا يتشوش فكري وأنا أحاول
أن أميز بين دورها في الحياة ودور أمي.. " 76 " وأنا جبان إلى
هذا الحد.. " 76 .."وكان أختي كانت ملجئي من الرعب.. " 77
"شدت بيدها الأخرى على يدي فشعرت أن القاتل الوحش قد توقف.."
.. 77

لقد كان مشهد المواجهة مع الأفعى عند البئر الملعونة هو بذرة
المحبة التي نبتت في نفس واثق "بالفعل لفتني سحابة من الطمأنينة
وأنا بجانب أختي.. " 82 ..الرغبة الطفولية المدغدة لمشاعر
البطولة.. "كيف أترك أختي وحدها تواجه هذه الأفعى المميتة.. لم
أجد جوابا.. " 86 ثم تشاء الأقدار أن يعيد التاريخ نفسه ليرغب في
الدفاع عن منى، رغبته الحقيقية في المواجهة والدفاع عن من يحب..

.. "يعني هربت وتركتها قال ذلك بغضب.. آه لو لم يغم علي.. " "لم يستطع أن يخرج من الحفرة التي سقط فيها.. " 94 "وكنت أنا أعيشه دون أن يشعروا بالعواصف التي تزمجر في داخله.. " 97 "رأيت الموتى يخرجون من جوف الوادي " 97 "هذه حكايتنا ولم يحدث بأحلامي أحدا لأنه لا سبيل في تلك الأيام أن يصدقني الجن " 98 "وبموتها أصبحت القرية تحمل هذا الثالوث المتناغم هل يكفي كتم صرخة الخوف لتموت سمية.. " 102

وقد تطورت أزمته الفعلية التي قامت عليها فكرته عن العدالة والظلم وتصنيفه للبشر وأصحاب السلطة "ظلت الذئاب مكانها هائمة وتقدمت نحوها الخراف طواعية دون أي صوت أو مقاومة." 98 "وهل تنوي الوحوش أن

وقد تطورت أزمته الفعلية التي قامت عليها
فكرته عن العدالة والظلم وتصنيفه للبشر
وأصحاب السلطة

تقتلني؟ هل تقتل كل من
تجده أمامها؟؟ " 118

..من هنا بدأت قدرته

العقلية على تصنيف البشر.. " هل اختلاف منابع الحياة تقضي للناس أشكالاً تتبدى بحسب طبيعة الماء الذي شربه من هذا النبع أو ذاك "

"بعض البشر أضرى من الوحوش" 117 "صديقها وتقتلها؟ يحدث ذلك يا بني أنا أخلصها من الشر الكامن فيها أليس هذا نوعا من الصداقة؟؟؟ 127 هل هي قناعة مطلقة بأن نقتل حتى نخلص الخصم من شروره؟؟؟؟

أما صورة الأب في ذائقة الموت فكانت أنموذجا للقوة والصلادة والناطقة بمنطق الحكمة الذي جعله مسارا له في حياته.. " وظل أبي صيادا عنيدا شكل علامة فارقة في أسلوب الصيد." 104 وكان قريبا.. "لا أبدا كيف أخاف وأنا إلى جانبك" ..ليذوب تمثال صموده بعد أن يتم اعتقال واثق.. "لم يحرك ساكنا بعد ثوان نزلت دمعة.. ثم علا صوت بكاء.. وتحول البكاء إلى نسيج" 276

لقد أبرز العتوم واحدة من القضايا المهمة كقضية البطالة وثقافة العيب والفكرة المجتمعية للعمل ومفهوم الاحترام "وذهب للدراسة فإنه سيعود بشهادة ويصير مهم ووظيفة محترمة ويعينونه في الحكومة." 104 ناهيك عن تمكنه من إبراز مصير الشباب التائه الذي لم يلق بالا لمستقبله متعرضا لقضايا بالغة الخطورة وهي المخدرات والهجرة التي يمكن أن تقضي على مستقبل الشباب من

"ثم ذلك الطالب الذي كان يهزأ من واثق كيف انتهى به الأمر إلى محطة لغسيل السيارات بعد أن دمر مستقبله بالانغماس في المخدرات.. أما سميح فقد لحق بأبيه في تجارة البلاستيك وأما سلطان فطار إلى أمريكا"

لقد بدأ نحته لمشواره في الثقافة وتعلم منطق بعيد عن واقعه أكثر مثالية

وقضية الفقر المجتمعي وعجزه المادي.. " وهل

الجوع في قرينتا كثيرون؟؟ كثيرون جدا جدا كل من في القرية جوع يا بني" 117 وهذه حقيقة الطبقة العاملة الكادحة التي ملحتها الأرض تخضع لقانون الطبيعة ..

لقد بدأ نحته لمشواره في الثقافة وتعلم منطق بعيد عن واقعه أكثر مثالية.. "كانت الكتب بالنسبة إليه بابا يفتح على المتعة الساجية" 143 " كان يحاكي كل غلاف كما لو كان بشرا من أذنين ويناقيه كما لو كان إنسانا من قلب " 143

وكانت معاناته النفسية في خلق عالم متكامل بشخوصه وأحداثه.. "هل كان الغد حقا كذلك" 145 "يموت إذا استخدم قلبه مضخة للدم ولم يستخدمه محطة للاعتبار" 148.. وهذا المنطق الذي أقام بنيانه

على هشاشة الخيال والتوحد جعله منبوذا من أقرانه فاقتدا الاتصال
بمجتمعه" كيف تصاحب هذا المجنون" 146..بينما كانت نظرتة
للمجتمع غير ذلك راغبا بالمثالية.. " لماذا لا يكتفي الناس بأنفسهم؟
لماذا يبحثون عن آخرين يلقون بثقل أفكارهم عليهم" 149

إذا هي قضية صراع فكري وبذلك القضية تكون أعقد "أزعجتة
بعض المظاهر التي رآها لكنه تجاهلها بما يكفي ليقى حياؤه وليتابع
سيره إلى غايته" 157.."وبدا يهذي مع نفسه" 170 "وصمم
من ليلتها أن يهدم ما ابتناه عقله المريض من صورة لها" 172
"روحه التي ضاعت في السديم وراح يبحث عنها بلهفة في مهب
الذكريات" . 175 ..لم تكن قضيته بأي منحى من منحيات ذائقة
الموت متعلقة بالجسد..

وليتغير مسار حياته عاشقا ليثبت لمن يحب أنه إنسان له رسالته.."
ليت الذي أصاب العشاق من قبل فيما قرأت ما أصابني" 169 "
ليتني أجد من هذا الجحيم مخرجا" 173 وهل كان الحب والكراهية
جحيمًا يكسى الجلد فيهما بعد أن يذوب..؟؟ "ولذا طال شعر رأسه

حتى وصل كتفيه ونبتت شعرات ذقنه على غير انسجام وانفتح زر
قميصه الأعلى فبان ما تناثر من شعر صدره" 182 ..

أي نبات عاشق متسلق كان الذي صور العتوم لذته وروعته....؟؟
"والصق خده على باطن كفها أطرق خاشعا للحظات ثم هوى يلثم
يدها ويتشممها صحا من هذيانه ثم راح يعدو كالأبله.." 185.. " ما

من طعنة في الحب نفذت

إلى غير صاحبها وحده

العاشق يحمل أثقال

عشقه على عاتقه"

وهذه الحقيقة في أن الله محبة والدين محبة
وتسامح لأن بهذه القيم يكون البناء..والنبات
المروي من ينبوع الروح

"186" يموت العشق بالصمت ويحيا بالبوح" 187.. " لا تدع العشق

يهدم روحك تستطيع أن تجعله يبعثها من الرماد مثل طائر العنقاء.."

188

وهذه الحقيقة في أن الله محبة والدين محبة وتسامح لأن بهذه القيم

يكون البناء..والنبات المروي من ينبوع الروح.. "في المدى

المرئي بوضوح بدت بكامل أنوثتها تقترب من تمثاله.. لفتح الحب

جانبيه بالنار.." 190 "حب كهيكليين في معبد الحب تظللهما عرائش

المودة" 191 "ولو كنت شاعرا لكتبت فيك ألف قصيدة" 192
"ولكنك القصيدة الأحلى من بينها جميعا" ..192 وأمام قداسة الحب
يكون الهروب والبقاء يكون الصراع في أن أحب وأن أهرب من
الحب.. وهو ما كان في نفس منى.. "تململت في مكانها قليلا شعرت
لو تستمر هذه الجلسة لزمنا أطول استغرقت كيف يصيبها هذا
التناقض في الشعور في أقل من دقيقة "192..

لقد امتاز العتوم بقدرته على الخوض في دواخل الإنسان وتبيان
مشاعره وذاك الصراع الذي ينتاب صاحبه بدقة وحصافة.. "كيف
سمحت لنفسى بأن أجلس معه؟ وماذا بعد؟ لماذا نامت بين يديه كل
غزلان الرضى..؟" 194 "فسقطت على وجهها الملائكي فلقد بدا
قادما من الجنة" 198.. "دقائق العشق هي دقائق المجانين كل دقيقة
بيوم" 198 "خذي وجعي يا وردة.." 199 "قلبي شجرة حور
عتيقة.." 200

من أجمل صيغ الحوار التي نثرها العتوم على صفحات ذائقة
الموت.. "لا بأس أنا أريد أن أعرفك أنت ابتداء لا هي.." 177.. لكننا
في واقعنا نعرف كل شيء عن المرء إلا أننا قد أسقطنا معرفته لذاته..

وذلك النقاش التعريفي بأهمية القراءة.. "لماذا نقرأ؟؟" 177. "قلت:
القراءة تختصر أرضه وتكثف تجارب وتنقل خبرات يحتاج المرء
معها إلى الآف السنين" 178.. "أنا أقرأ لكي أعيش تشكل مع الزمن
لدي يقين بأنني لا يمكن أن أعيش بدون أن أقرأ" 178..

نقاش له نكهته في الرقي بمعنى الصداقة وأصدق ما فيها أن نكون
نحن دون قشور أو شوائب.. "إن تخليت أنت عن نفسك قليلا وتخليت
أنا عن نفسي بمقدار ما تخليت أنت فربما نلتقي في مساحة التخلي.."

179

لقد أكد العتوم في بنية ذائقة الموت على تلك المنظومة التي يعيشها
وائق في أن ازدواجية شخصيته وانعدام الخط الفاصل بين الواقع
والخيال هي ما يعيشه... "المساحة التي تفصل بين الوهم والحقيقة

عندي غير موجودة

.. "180.. إنه سجين

لرغبته شعر بالعبودية

للحظة.. " 192 .."وخر

هو على ركبتيه بعدها كأن سكيناً خرجت من صدره بذهابها"

نقاش له نكهته في الرقي بمعنى الصداقة
وأصدق ما فيها أن نكون نحن دون قشور أو
شوائب

193..المشاعر المتباينة.. " ضحك وبكى وررع وهلوسات برزت أمه
على الباب مرة أخرى " 194 ..لقد بدأ التغير الحقيقي في مشاعره
وأحاسيسه وشخصيته.. "مو تعرفني أحب الورد ..ولا يوووم.."
196..ومن هنا بدأت ازدواجية الشخصية.. " وما أدراك أنها لن
تخلف وعدها؟ ربما رأتك طفلا سانجا.. " .."بدأت شياطين الريبة
تتقافز أمامه ثم راحت تصفعه على وجهه.. " 197 عدم قدرته على
نسيان سمية وجعل نفسه بما يفرضه عليه عقله الباطن بأنه مسؤول
بشكل أو بآخر عن موتها.. "تخرج من قبرها تخيفني أم تحاول أن
تبقى ذكراها حافرة" 202 .. "عندي مشكلة فيما أظن أنني آراه
204"

لم تخل ذائقة الموت من حصيلة المصطلحات القديمة التي كانت أشبه
بقواميس كالصيرة..و"هم يا جدتي هم" بمعنى (اسرع) سنسلة
"وأقفز من سنسلة إلى أخرى.. " "كوارت الطحين.. " "اللقن.. " .."
الأكلات الشعبية.. " الخبيصة " "البلاعط " 83 .. " قليه .. هويسه " 83
ذائقة الموت ..الحقائق والوجع.. " التعب في قاموس الفلاحين غير
موجود وهم أضعف معادلة في ميزان المدفوعات.. " 33 "لأن حبة

القمح حياة.. " إنها الحقيقة المرة أن التعب والتمرغ في ملح الأرض هو مفتاح الحياة وأن الأرض هي العرض التي لا يمكن التخلي عنها مهما كان، فهي حضان الأمان وهي الضرع إن جاع هي الوطن والحياة.. كما أورد الموروث الشعبي بالغناء التراثي المعجون بالروح المرححة.. الدعابة وحكاية الموت والحياة على حد سواء..

"ليس على الحقيقة أن تبين عن نفسها وحدها تقف في وجوه المنكرين دون الحاجة

لأي دليل" 13 "عالم الحشاشين أقرب إلى عالم الزعماء

إنها الحقيقة المرة أن التعب والتمرغ في ملح الأرض هو مفتاح الحياة وأن الأرض هي العرض التي لا يمكن التخلي عنها

والسياسيين" "بجدوى هذه الشهادة الزائفة السجن كذلك يعلم أعرق وأعتق مما تعلمه الجامعة.. إن الجامعة ما هي إلا الصفحة الأولى في الحياة.. "362

لقد كانت نكهته الراقية التي أضفاها العتوم.. في ذائقة الموت.. في إيراد "النص القرآني.. " لا تثمر إلا زقوما .."38" "كرووس

الشياطين.. " 39.. " وطاف عليها طائف من ربك كلما وضعت رجلها
في مكان أحرقتة.. " 29

لقد وضع العتوم يده على الجرح الغائر في الفكر المجتمع العربي
والذي امتد على مدى عقود من الجهل والتجهيل والتي لم تتوقف
عند تلك المراحل المتأخرة قبل انتشار العلم والدين ولكنها استوت
على عرش القرصنة الالكترونية فيما يدعى الاستغلال الديني بأشكال
قذرة ك ضرورة ضغط لايك أو الإعجاب بالصفحة وإلا فالتكفير
واللعنة هي الحصيلة .. هل وصلت بنا صناعة الجهل إلى التوغل في
أمور العقيدة والتلاعب بالوعي الفكري للشباب العربي المسلم هكذا
ببساطة مع تسليمنا وإذعاننا لها؟؟.. فكانت الخزعات والتخاريف
التي بنت بيوتا مسكونة في عقول وقلوب سكان القرى والمدن على
حد سواء فكان الجهل الديني طابعا للمرحلة، التي سعت إلى ضعفة
مفهوم الإيمان وخلق مفهوم الواسطة بين العبد وربّه "إن سيدي
الرفاعي كان يتعبد في ظلها.. " 31 " وظلها يمتد إلى ما يزيد عن
السبع ليالي، ولو ركض فيها لمدة سبعة أيام متواصلة بلياليها.. "
أول شيخ أجا على هالقرية.. " " " لماذا الحقيقة والعدل لا يلتقيان.. "

37 "تقصد شجرة الشيخ علي ليست شجرة الشيخ علي إنها شجرتي أنا.. " 37 .."يا بني أهل القرية جهلة .. هذه الشجرة ملعونة لقد حل عليها غضب الرب .." 38

والمرارة في اتخاذ بيوت وأمكنة القديسين والمشايخ والرهبان وأهل الله قد أصبحت رموزا للتعبد واستغلال الآخرين.. لفقرهم وحاجتهم وضعف الوازع الديني لديهم "كانوا يذبحون عندها الخراف ويعقدون على جذوعها العقد

والمرارة في اتخاذ بيوت وأمكنة القديسين
والمشايخ والرهبان وأهل الله قد أصبحت
رموزا للتعبد واستغلال الآخرين

ويوقدون عندها النار، ثم
يدورون حولها ويبدؤون
الغناء ويتوسلون.. " 38

إنها الرغبة في الهروب من الواقع إلى الغيبيات والتعلق بأستار الغش والتدليس والاستغلال..

هل نبقى مفهوم الخزعبلات وأزمة الفهم والإدراك الديني تستحوذ على العقل العربي؟! هل هو منطق الجهل والتجهيل؟؟.. "يا بني أهل القرية جهلة هذه الشجرة ملعونة لقد حل عليها غضب الرب.. " 38 تلك الهوة الفكرية.. "وبين وصف الشيخ لها بالملعونة ووصف جدي

لها بالمباركة رحمت أسقط في بئر الشك.. " 45 " ..وعندما صار أحدهما فوق رأس الرجل ألقى عليه حصة ملتهبة فأصابته وجهه فاحترق من لحظته.. " 46-47.. " كان أهل القرية يدعونه بذا النون كانوا يشيعون به إذا أصاب المرض صغيرا أو كبيرا .. " الناس غرقى في بحر الحرمان يتعلقون بقشة " 48

لقد كان واثق قادرا على التنبؤ بالموت مهما كان بعيدا ..يراوده في الحلم ليتخطف منه كل قريب في واقعه المرير ليعيده دوما إلى خط البداية.. " حاول أن يحرك مقعد السيارة فوجد نفسه عاجزا لا يستطيع أن يمد يده هل أخبر بأن صاحبه سيموت.. " 240... هل كان واثق بالفعل يملك تلك القدرة بالفطرة أم أن طابع الخوف لديه من المجهول ومن المعادلة الناقصة هو أساس جزعه وفوبيا فقدان لديه؟؟.. " ألا تريد أن تسبح؟ بالطبع أرجوك لا تفعل.. " 240 إنه حين الأجساد إلى أصلها.. " 242.. " البحر وسادة السماء. وقبره " 243 " هل يقرأ الإنسان لينسى " 244.. " لم يبدا جمال في المشهد ارتعب جب لا تكن جبانا حتى في غرقك.. " 244 ثم ذاب في البحر

تاركا البحر وراءه كأنما تخلص من عبء ما هأنذا آتيكم ولكني آتي
بجسدي بعد أن أطعمت البحر روعي.. " 246

ثم كان قرار اتخاذ القرار بأن يكون أحد نجوم الملحمة الثورية هروبا
من الفراغ القاتل الذي ينشب أظفاره في روحه.. " لماذا هي الحياة
فارغة إلى هذا المستوى؟؟ " 247 إنه مشهد الملحمة الثورية في

القسم الثاني من ذائقة

الموت، التي احتدمت بين

فريقين.. ويبقى الوطن

هو أهم قضية

أمام عدالة وقداسة القضية ترجع الأحكام
باختلاف الراكعين... يختلف كل منهم على
تعريف الوطن وتبقى الأبجدية الأولى في
الحوار غير موجودة.

وأنبها...والحقيقة المرة أننا نلهو في صباية متناسين أن للوطن حق

وهيبة وغصة لا نذكرها إلا حين يسلبنا إياها المنشقون عن رحمة

الله.. "نحن لا نعرف من أوطاننا إلا ما استوطن فينا بالولادة أو العمل

أو الموت.. " 201

أمام عدالة وقداسة القضية ترجع الأحكام باختلاف الراكعين...

يختلف كل منهم على تعريف الوطن وتبقى الأبجدية الأولى في الحوار

غير موجودة.. والضبابية هي التي حكمت الموقف.. المعضلة الأزلية

في تكرار المشاهد ومواجهتها بذات العقلية..؟؟!! هل يعتبر أصحاب المسؤولية باختلاف تمثيلهم لمؤسسات أو منظومات أمنية وعسكرية أنفسهم حريصين على أمن الوطن ولهم الأحقية في المغالاة بذلك بل ويعطون أنفسهم الحق في تخوين من يشاؤون؟؟ ما هي الأيدلوجية الفكرية التي يضعونها حجر الأساس في ذلك؟؟ وهل كان أمن الوطن حق حصري لهم واختيار آلية اجتثاث الفوضى بأي طريقة كانت؟؟ فالوطنية تعبير قومي يعني حب الشخص ، وإخلاصه لوطنه .
(الموسوعة العربية العالمية)

وتعرف الموسوعة العربية العالمية المواطنة بأنها: "اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن" (1996م، ص 311). وفي قاموس علم الاجتماع تم تعريفها على أنها: مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة)، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق القانون" (غيث، 1995م، ص 56). إن مفهوم المواطنة يتضمن حقوقاً يتمتع بها جميع المواطنين، وهي في نفس الوقت واجبات على الدولة والمجتمع منها :

- 1- أن يحفظ له الدين.
 - 2- حفظ حقوقه الخاصة.
 - 3- توفير التعليم.
 - 4 - تقديم الرعاية الصحية.
 - 5- تقديم الخدمات الأساسية.
 - 6- توفير الحياة الكريمة.
 - 7- العدل والمساواة.
 - 8- الحرية الشخصية وتشمل حرية التملك، وحرية العمل، وحرية الاعتقاد، وحرية الرأي.
- وهذه الحقوق يجب أن يتمتع بها جميع المواطنين بدون استثناء سواء أكانوا مسلمين أم أهل كتاب أم غيرهم في حدود التعاليم الإسلامية، أي تلك الحرية المكفولة لكل مواطن بغض النظر عن دينه أو عرقه أو لونه، بشرط ألا تتعدى إلى حريات الآخرين أو الإساءة إلى الدين الإسلامي.

3- الواجبات :

تختلف الدول عن بعضها البعض في تحديد الواجبات المترتبة على المواطن باختلاف الفلسفة التي تقوم عليها الدولة، فبعض الدول ترى أن المشاركة السياسية في الانتخابات واجب وطني، والبعض الآخر لا يراها كذلك، كاحترام النظام و التصدي للشائعات المغرضة وعدم خيانة الوطن والدفاع عنه وتنميته.

إذا هي مفاهيم أيولوجية اجتماعية لا يمكن فصل عناصرها عن

بعضها البعض، على

الرغم من اختلاف

التيارات والتوجهات

والأيولوجيات، لأنها

تختلف الدول عن بعضها البعض في تحديد
الواجبات المترتبة على المواطن باختلاف
الفلسفة التي تقوم عليها الدولة

تتشارك بالشروط والرغبات المشكلة للعناصر الأساسية لتشكيل

الوطن والمواطنة..

وهل الخلاص من الشباب ومشاعرهم الثورية بإعدام طالبي الحقوق

أو تخريجهم بلا هوية من السجون لإيقاف السيل العرم من النفوس

المتأججة أم للنفخ تحت النار وتخريج شباب غاضب يتحين الفرصة

المواتية للانضمام لأي تنظيم يضمن له الحد الأدنى من تنفيس طاقاته؟؟.. وإن كان الشاب الثوري محاسب أشد أنواع الحساب وخاضع لأعتى برامج التعذيب الجسدي والنفسي فإنه حري على صانع القرار الضرب بيد من حديد على منفذ القرارات العشوائية والتعسفية والكف عن ترقيتهم ومكافئتهم باختلاف مؤسساتهم ومنظوماتهم الدفاعية لأنهم هم أصل البلاء والقاعدة الشاذة التي خلقت الفوضى في كثير من الأحيان؟؟ "وكل موت قادم استكمال لموت سابق" الرسالة 31.. "التحطيم النفسي كان أول أهدافهم" 312 "السوط الذي يغوص في الجلد لا ينال من الروح شيئاً يفرغ الإنسان هنا كل عقدة نفسية طواعية... " 315

الوطن ليس حكراً على أحد وإن كان التجريم أساساً فالعقل والحكمة هما صمام الأمان، فلا بد من وجود منظمة تجمع بين أعضائها ممثلين من كافة قطاعات ومؤسسات المجتمع من علماء وأدباء وفقهاء وسياسيين واختصاصيين ليكونوا صمام الأمان في خلق بيئة حوارية في الألفية الثالثة التي تجاوزت العصور الحجرية بقرون.. إن مفهوم العدالة يتماشى مع مقدار الوعي والإدراك لأهمية هذه

المطالب.. ويبقى عدم وضوح الرؤية والعقلية العقيمة هي من تصدر
المشهد.. " الرسائل الأمنية يتحملها الأب بين الوعيد والتهديد كانت
نصائحهم ذات أنياب أن الأجهزة الأمنية تستطيع أن ترصد عدد
ذبذبات جناح الذبابة وهي طائرة في الفضاء " 260" اللاوطنين
واللامنتمين الذين يخربون البلد ..ابنك يمشي مع الهمل وبقود
مسيرات تخريبية واعتصامات وكلام فاضي نصهم راسبين بالمواد
أو حاملين ثلاث أرباع الفصل.. " 260.

إن كان السجن والتعذيب هو السبيل الوحيد للإصلاح فلن تكون النجاة
ميه عن طريق المجرمين... "مجموعة التفجيرين كانت تملك بعض

الكتب التي استطاعت

ويبقى عدم وضوح الرؤية والعقلية العقيمة
هي من تصدر المشهد.. " الرسائل الأمنية
يتحملها الأب بين الوعيد والتهديد

تهريبها عن طريق رشوة

الشرطة كان الحرمان من

الكتب أقسى أنواع

الحرمان السجن يعلم الجهل إذا.. " 329 "دفعت لبعض العساكر الذين

صادقتهم هنا بعض النقود لكي يشتروا لي بعض الكتب ..السوق

السوداء " 363

وتصدر الأحكام جزافا باسم أمن الدولة ..وتتصيبه عضوا فاعلا في
تنظيمات إرهابية؟؟ هل تتضمن المحاكمات العادلة أنسنة العقوبة وفقا
للجرم والمجرم؟؟ أتضمن العدالة مبدأ الحفاظ على الوطن في تخريج
طلبة الجامعات من السجون فاقدى الأهلية، وفاقدى حقهم في
الحياة؟؟ أتضمن منهجية العقوبة خلط الحابل بالنابل؟؟ " تجمعنا
نحن طلاب الجامعة في الركن الأيمن وفي الوسط..المتهمين
بالتفجيرات.. اليسار كان الحشاشون أنت متهم بارتكاب جرائم خطيرة
تسند المحكمة إليك تهمة التحريض على العنصرية ..واحتلال مواقع
حكومية وخيانة الوطن (أما رد واثق) ..الذين يخونون أوطانهم هم
الذين يريدونها تذب أمامهم ولا يحركون ساكنا" 320

إن كان هناك تعريف للوطن بمطلقه فهو الأرض للجميع والسيادة
للدولة وفق منظومة من الحقوق والواجبات الجميع فيها متساوون
بكافة المقاييس.. لقد اختلف المشهد بتفعيل التعذيب النفسي وقد
تغيرت اللهجة.. " من هو الأصم فينا؟ نحن أم الدولة من يجهل الآخر
ومن يبني فرضيات خاطئة عن الآخر نحن أم هم؟

ولتكون المأساة التي يدفعها طلاب من لحم ودم كانت لهم أحلام
وظموحات وآمال حلموا بزوجة وبأولاد.. رسموا أطيافهم على مقاعد
الانجاز، ولكنهم عندما فكروا في أن يطالبوا بحق مشروع كانوا
قرايين للضياع وللجنس وللشذوذ وللمخدرات وللإدمان يمارسون
أبشع أنواع الرذيلة .. في سجن الضياع .. "وكان الحشاشون في
الليل العميق يفعلون كل المحرمات ... بدأ سليم يميل إلى مصادقتهم،
حذرتة ألف مرة ولكنه لم يسمع كلامي باختصار بدأنا نفقده، معركة
طاحنة بين الحشاشين..

ولتكون المأساة التي يدفعها طلاب من لحم ودم
كانت لهم أحلام وظموحات وآمال حلموا
بزوجة وبأولاد

شتم الذات الإلهية ظهرت
بعض السكاكين

..والسلاسل..وكانت

صيحات الله أكبر ... بعد عشر دقائق تقريبا فتحت الشرطة البابين
وظهر باب ثالث لم نره من قبل "327 وظلوا يراقبون المشهد الذي
استمر لأكثر من أربعين دقيقة وصارت المجموعة الثالثة هدفا لكل
منهما، كان كل من الحشاشين والتفجيرين وكانت لدى مجموعة
وسائلها الخاصة في ذلك.. 329 "سليم انحرف سرقة الحشاشون
منا .. فانغمس في المخدرات .. واستغله الحشاشون أبشع استغلال

على المستوى الجنسي " 335.." "وبدأ جسمه ينحل من المخدرات والجنس بدأ سليم يستسلم للموت ضياء انحاز في نهاية المطاف إلى التفجيريين وجد عندهم ما يشفي غليله من الحقد على الدولة وعلى النظام وعلى الشرطة.. لغته اختلفت .. صار يلبس دشداشة نصفية ويعتمر طاقية سوداء .. و طال شعره المنسدل على كتفيه 336 لؤي كفر بنا جميعا .. وأدمن البصق على الأرض 337 وحده سليم الذي تخلى عنه أهله بالكامل مخطئون هم حجتهم أنه انزلق إلى عالم الضياع 339.. في طريقه إلى الانفراط النهائي 340 "سليم كان يصرخ كأنما يستغيث أو يستتجد في النهاية اخذوه معهم .. لقد انفصل عن الواقع وسقط في حفرة لجنون .. يجب إن يرحل من السجن فورا إلى ذويه لأن وجوده يشكل خطرا على بقية النزلاء 347

ولقد كانت الملحمة الثورية كردة فعل لسياسات التقتيل الغاشمة لجزء لا يمكن بتره من الخريطة العربية مهما تعددت الأسباب واختلفت الآراء... " أما الضعيف فكل الناس تحمل سكاكينها لتطعنه الطعنة الأولى .. "204 "صرخ أحد الذين يملكون سر الكتاب الأقدس في الذين يلوحون بأيديهم يوفضون إلى البطل المطلق.. "204.. والعقلية

البسيطة الرافضة لهذا انتهاكات تتوعد وتنتشر السباب على الطرقات
ولكن على وسائدها.. " ويتوعدون وهم يتكئون على مخدات الخيش
المهترئة- الغاصبين بالويل والثبور ويهددون الخونة والعملاء
بالجحيم المسعرة " 205

إنها الرغبة في تغير الواقع دون النهوض الفكري " ..يواجه ثلاثين
دولة مدججة بالسلاح دون أن يهزم 204.. "هل كانت حرب الخليج
الحرب العالمية الثالثة أم كانت معركة اليرموك قبلها بقرون شاهدة
على الأطماع الاستعمارية في حرب عالمية ثالثة؟؟؟

لن يكون هناك أعظم من مشهد تلتف فيه كل أقطاب الفكر باختلاف
مذاهبها وأحزابها على قلب رجل واحد لرفض الضعف والهوان
العربي... " تقاطر البعثيون والشيوعيون والإسلاميون إلى الساحة"
206 "حيث الانتصار للوطن لم يتلوث بأي مصلحة أو أيولوجية
فاسدة" 206..

لقد كان واثق عراب المرحلة راغبا في أن يمسك بأول الخيط لمعرفة
نفسه ليثبت أنه موجود.. "فتراعت له الذئاب" 207.. " وراح يهتف"
208"الذي بدأ يرسم على جدرانها لغة جديدة" 208 تتداخل مفاهيم

الوطن الرغبة في خلق ذاتيته مع الحب طاح به سحرها الذي يجذب
فؤاده إليه ولو من ألف ميل ..وقد امتلأت روحه بدمعة عشق حارة.." "
208 ليس هذا فحسب بل راغبا في أن يلفت نظر الحبيبة .." صوتك
له إيقاع خاص في قلبي" 209 "الاستحواذ المطلق الوفاء المطلق"
210 "بلى وكانت الرجولة تتجسد في تضاعيفه" 210 "أما هو
فشعر أنه يملك الدنيا إلى جانبها" 210..وكانت نقطة التحول
الفعلية.." دخل البيت على أطراف مستقبله التقطته قلوب التائقين

إلى شيء يدعى

الحرية.." 211 كانت

مشاهد التجمعات

والشواهد على سلمية

المطالب والحراك الطلابي مهد رواية حديث الجنود بسرد أحداث

82-85 .. وتعت إدارة الجامعة وموقفها الرفض لكل المطالب

الشبابية واللجوء إلى فض الاعتصامات بالقوة.." لا تأبه لشيء كل

ما يهمها أن تجمع الأقساط من الطلبة قال ذلك ضياء"212..إذا هناك

حلقة مفقودة وهي الحوار والتفهم والعقلانية.." هدفنا الإصلاح مش

كانت مشاهد التجمعات والشواهد على سلمية
المطالب والحراك الطلابي مهد رواية حديث
الجنود

التخريب " 212 "بديها مسيرة مش اعتصام" .. "تدعوكم القوى
الطلابية الحرة لمسيرة حاشدة نصره لأمتنا العربية ضد العدوان
الأمريكي الإسرائيلي.. " 214 "خلونا سلميين إلى آخر لحظة" 215
...إنه الدم العربي الذي يغلي في الشرايين المقهورة تعرف جلي
المعرفة بأن رجل الأمن وضابط الجيش هو جزء لا يتجزء من بنيتنا
المجتمعية والذي لا يمكن أن يكون في لحظة فاصلة الضد.. " مين
هو.. مهمو منا وفينا" " عدالة أمريكا تصحو حين يؤسر جندي
صهيوني واحد" 217 "الأقوياء يضعون مفاهيم الخاصة بالعدالة"
217 " الإنشاء لا يصنع نصرا" 217 النزاع بين العنف والسلمية
فترجح الكفة للسلمية..

ومنى حاضرة في المشهد " ومثل لفائف دحنونة حين تتهادى بين
وابل من أمطار القذائف الحارقة" 218 "واقراك من خلالها
..مشغوف وأنا وملهوف منتظر لحظة وقوع عيني عليك ..توق
وشوق ولوعة وجنون" 332." إن لن تظهرى فيه ملاكا يهبط من
الجحيم334" صرت اليوم حبيبتى وأمي ووطنى معا" 368 "تقاس
حرارة الحب بفداحة الغياب".

من القضايا المهمة التي أوردتها العتوم في ذائقة الموت الدور الإعلامي الضحل الذي يتميز إما في جهله أو فقدانه التوجيه السليم في كل مراحل بناء الدولة.. الإعلام الموجه ليس بالضرورة أن يكون مجيشا للطاقات وفارضا أجواء الحماسة وحسب بل عليه أن يكون عادلا واقيا في شفافيته.. ليكتسب المصداقية.. لكنه كان ملتزما بأحادية الموقف من غير أن يأبه للعواقب.. وهو ذاته الإعلام المروج لداعش يقوي أوصالها ويزرع الثقة في القدرة على مواجهتها من غير أن

يشعر بل ويسمح

لأصحاب النفوس

الضعيفة في تصدر

المشهد.. هو ببساطة

من القضايا المهمة التي أوردتها العتوم في ذائقة الموت الدور الإعلامي الضحل الذي يتميز إما في جهله أو فقدانه التوجيه السليم في كل مراحل بناء الدولة

الإعلام الهمجي غير المسؤول الذي لا يحمل رسالة النزاهة.. "كانت وسائل الإعلام قد جيشت الناس وهي تنقل أخبار هطول الصواريخ على الأحياء السكنية في بغداد وفي بيروت وفي غزة وفي الخليل وفي دمشق بلاد العرب أوطاني.. تقف الحشود البشرية من أرواح البشر من الأطفال اليتامى على قدمين من جوع تعاني الموت في كل

يوم.. " 219

مع هذه الصورة هل يمكن بتر المشاعر والصلاة على جليد؟؟ "كيف يمكن أن أدفن مشاعري وأتجاوز مناظر الأشلاء على مخيم الشاطئ في غزة" 219 .. إنه الدم الذي يفيض نارا وشعرا.. "لا تحسبي زرد الحديد ينال من هم الأسود.. لا أحد يدري بالضبط من أين انطلقت الشرارة ومن الذي أشعل الفتيلة بعضهم قال خلاف نشب بين طالب ينتسب إلى الحزب الشيوعي وطالب ينتسب إلى الإخوان" 221 "ثم إلى الاتهامات بالتخوين والاندساس وتحول النزاع إلى استعراض القوى" 222.. لا يمكن التكهن بسلوك الجماهرة ولا يمكن التكهن

بالسياسة القذرة

المدروسة في زج

مرتزقة النظام لغاية

تشويه المظاهرات

مع هذه الصورة هل يمكن بتر المشاعر
والصلاة على جليد؟؟ "كيف يمكن أن أدفن
مشاعري وأتجاوز مناظر الأشلاء على مخيم
الشاطئ في غزة

السلمية.. وعليه فإن كان الهم واحد والمطلب واحد.. وإن كان مفهوم المظاهرات أو الاعتصامات ضمن المفاهيم الدولية التي تضمن خروجاً آمناً لجميع المتظاهرين، كشكل من أشكال التعبير عن الرأي في المساحة المغلقة فهذا يعني احترام أجهزة الدولة الأمنية ذات العقلية المترتبة بأن جميع المتظاهرين هم خونة وعملاء ومندسين،

وبناء عليه تكون اللعبة السياسية في دس المرتزقة والبلطجية وأذيال النظام لإشعال البلبلة والفوضى وتسويغ الاعتداءات على المتظاهرين، واقتيادهم إلى محاكم أمن الدولة والزج بهم في السجون عميا وصما وبكما... "الطوشة كلها من أولها إلى آخرها كانت من تدبير الدولة.. يفعلون ذلك من أجل أن يتخذوا ما حدث ذريعة لإسكات أي نشاط طلابي قادم ولتخويف آبائنا وأمهاتنا" 228 ..

و هل كانت مروة ذات الاحتياجات الخاصة التي داستها قوات البادية في أحداث ال85 إلا نسيا منسيا؟؟ هل كانت طالبات السكن يعرفن قواعد الاشتباك في محاولة يائسة منهن في الدفاع عن الشباب السلمي وصدھن قوات البادية أثناء محاولتهم اختراق الحرم حتى آخر لحظة؟؟ ألم تكن صيغة طبيعة لردة الفعل التي تدرس في مناهج علم الاجتماع وعلم النفس..؟

و إن كان فرض الأمن غاية فهو لا يتطلب بالضرورة فض الاعتصامات بالقوة و هو لا يعني خلق معارضة أو رافضيين للسياسات الحكومية.. "إضراب عن الدراسة ليوم واحد 20-5 إعلان الإضراب عن الطعام.. 26 اعتصام صامت إن حكومات خائنة للشعب

والوطن.. 27 معرض صور ورسومات لضحايا القصف الأمريكي..
(257) (27-30) المبيت في الجامعة .. ربما جنونه ربما الحكومة؟
نعم كانوا 170 طالبا هم من اعتصموا وبقوا 27-5 .. هذا هو الدم
العربي المسفوح ولا أحد من الحاكمين يظرف له جفن.. هذا هو شلال
الدم العربي النازف من الأشلاء المبتورة ولا عميان غير الزعماء..
المطلوب هاتوا السلاح وافتحوا الجبهات " 258.. " إذا كان وقود
مذابح العدالة الأمريكية والصهيونية هو أجساد إخواننا فريد أن
نكون جزءا من هذا

الوقود.. " 258"

انهمرت القنابل المسيلة

للدموع حالات من

التشنج الهراوات سالت الدماء والدول مستشرسة والأحداث

متسارعة.. تضع المنطقة كلها على صفيح ساخن "259

قدرة واثق على الخروج من أزماته بخلق واقع آخر "استحضرها في

ذهنه فبدت ماثلة أمامه بكامل إشراقها" 259 "هل كان يرى ما لا

يراه الآخرون؟" يعرفون المكان الذي نام فيه" 266 "العشاق في

قدرة واثق على الخروج من أزماته بخلق واقع
آخر "استحضرها في ذهنه فبدت ماثلة أمامه
بكامل إشراقها

سعيهم نحو الحلم يخسرون كل شيء ويربحون أوجاعهم .. مساكين أولئك الذين لم يكن لهم من حبيبة ما أباسهم!"344.." قبلتها مئة مرة وقرأتها ألف مرة تقولين تقولين فيها ألا تعرف أن المرأة حين تحب تتحول إلى قديسة وأقول لك ألا تعرفين أن الرجل حين يحب يتحول إلى ملاك.." 346 "أريد أن أذهل عن الواقع بالقراءة والكتابة" 354

وتبقى الحقيقة الموجهة في أن السياسات الأمنية الفضة تخلق هي بحد ذاتها الفوضى، ليبدأ مسلسل التعذيب في السجون " الأحكام جاهزة وبعد السوط الثالث انهارت من فكه الأسماء." 321 لكن ما غيب عن سياسات التعذيب أنها لا تنال غير الجسد.. أنت كيس من الجلد إذا أرادوا أن يأخذوك سأتنازل عنك دون تردد "322

ومع هذا كله لا يمكننا إنكار أن المنطقة العربية اليوم على صفيح ملتهب، هدفها الانقراض على المنظومة الفكرية والعقائدية والأمنية والسيادية للدولة.. على حد سواء.. في سياسات الماسونية العالمية والأنجلو صهيونية التي لا تتورع عن إراقة الكثير من الدماء من أجل تحقيق أهدافها. إنها نبوءة تلك التنظيمات التي بنت مورثاتها

العقيمة على حقائق موجودة لتصنع صناعة الموت بتشويه المضامين وخلق الفوضى ، ويبقى الرهان على الوعي لدى الشباب العربي مع إقصاء إمكانية التفاهم مع المنظومة الأمنية في ضرورة العمل والبناء وزيادة اللحمة الوطنية..في مواجهة الجماعات الإرهابية التي خلقتها الأنظمة الاستعمارية وعمت على أسلمتها لتحقيق مفهوم الفوضى الشاملة..وما يسمى فوبيا الإسلام.. وتقليص دور الأديان ليتسنى لهم تنفيذ مخططاتهم في السيطرة الكاملة على البقعة العربية وتجهيلها..هذا لا يعني أن القرارات الناتجة عن

السياسات المتخبطة

أساسها العدالة بل تعني أن خروج أي شعارات إصلاحية هدفها إعادة لم

، ويبقى الرهان على الوعي لدى الشباب العربي مع إقصاء إمكانية التفاهم مع المنظومة الأمنية في ضرورة العمل والبناء وزيادة اللحمة الوطنية

الشمول وتعزيز الثقة بين الدولة والمواطن..

وفي ذلك إحقاق لمفهوم العدالة الذي يكفل الأمن، الذي يكون فيه المواطن حارسا شخصيا للوطن "سيخضعونكم حين يقولون البلد لا تحتل فرقة كعب من حولنا وشوفوا إلي بصير منحن أفضل من غيرنا" 265 وإن كنت اختلف مع العتوم بفكرته هذه بيد أنها كانت

خادمة لذائقة الموت لكنها لا تخدم واقعنا .. "حتى تصل إلى الوادي تحف الطريق من ولجأ بعض الطلبة إلى الأبنية المجاورة .. فينتزعونه من الاسمنت ويقذفون به وجوه الخصوم منها والأجساد.. " 222 .. " كانت قوات مكافحة الشغب قد حضرت، دخلت من الباب الرئيسي للجامعة في فرق مدربة رابطة الآليات العسكرية والمدرعات على أسوار الجامعة من الخارج، وأغلقت المداخل وفرقت ما تبقى من الطلاب والطالبات بالقنابل المسيلة للدموع " 222 " داهمت القوات بكل مكان وما تبقى من طلاب واعتقلت يومها 87 طالبا وبقي 17 طالبا لمدة أسبوعين وكان واثق احدهم.. " 223 " بعد أسبوعين أفرج عن مجموعة وقررت إدارة الجامعة أن يفصل عشرة منهم وكان واثق من بين السبعة الذين لم تظلم عقوبة بعد خروجه من المعتقل " 223 والتزام الأب بحقيقة ابنه المسالمة.. " أن ابنه يبكي إذا سمع صوت قطة تموء من الجوع " 223 " شو دخلوا بالشيوعيين أو بالإخوان المسلمين " 223-224 ..

ويظل العشق المرهم الذي لم تنله أسواط الجلادين بعد.. " تراءت له منى غيمة من برد شفيف تظل جسده المتعب " 224 .. " فالعشق

الذي يتغلب على كل شيء حتى الموت.. "225" هل هي صورتها
هناك أم صورتي؟ أيعقل أنني لا أعشق إلا ذاتي؟ "226" أي ملاك
تجتمع فيه الرحمات مثلها؟ "270" المس يدك المخمليتين 303
"وأما حبي فلا يوجد أصدق منه حتى عند العذريين" 309

هل رفع العقيرة بالشعارات جريمة؟ إنها السياسة التي لا تفرق بين
المطلب السلمي وبين القنبلة.. ولكنها تعرف كيف تعدم الغضب.. وقد
تحول أولهما إلى الثانية على كل الأصعدة" أنت خطير بدأت الدولة
تخاف منك" 227.. "ماذا

في جعبي يا حسرة؟؟
228. وهو ذاته الصراع

بين الإيمان والاختناق في الانفرادي تحدث
أشياء غريبة فيه طاقة روحية ترتقي بك إلى
درج الهيام

الداخلي.. " بين الإيمان والاختناق في الانفرادي تحدث أشياء غريبة
فيه طاقة روحية ترتقي بك إلى درج الهيام.. " 306 "جثث الأطفال
في الملاجئ كانت قد تفحمت غيداء والشموع والرقصات والموت
بالصواريخ " 249 والزفاف على صفيح يحترق استجابت الأبواب
لانسحاب الهواء فأغلقت مصاريعها بإحكام" 250

من المؤلم أن تشعل النيران ولا نملك القدرة على إيقافها..وقد غيب صوت العقل وانطفئت ذبالتة.. "من السهل أن تبدأ الحرب ولكن من الصعب أن توقفها "250" إن عددا من الموظفين البسطاء في الجامعة شاركوا في التجمع "251" ..

من أجمل ما أبدع فيه العتوم في خلق مناظرة كلامية واصفا الحب..ولم يدرك أن الحب يجره إلى الهاوية سيقولون له: تكبرك بعام..أحب فتاة أكبر منه ..مجنون ينتهي به المطاف إلى الشارع" 274..

و تتضح الصورة بأن المشهد برمته كان رغبة من واثق في أن يثور على كل الظلم والقهر والإهمال الذي قصم ظهره وأضعف بنيانه.. "لماذا تصر على تصوير ما يحدث على أنه حالة حرب ..نحن ذهبنا في الشوط أكثر مما ينبغي . إذا لا أريدك أن تكمل " 269 .."أتريد أن أهمس فيها في أذنك أم أصرخ بها في وجهك؟" 272 أم سليم بكته سليم هو البطل 274-275 صارت روحه مثخنة بالجراح ..لا تعد إلى البيت لم أعد أحتمل لا مفر من القدر..هل يختار الإنسان موته؟؟

"هل أدمنا العبودية؟؟" 291 المعتقلات قذارة الصورة وقذارة
المعاملة.. أي تعذيب هذا؟؟... "رائحة المكان يعرفها ولها أظافر
تنغرز في الرئتين.. يعرف طعم الدماء ..أيقن أنها مكان التبول
والتغوط .. اخرس وله انت وإياه .. كما لو كان كيسا من العظام
ورمياه فوقه .."277-280..وبعد التعذيب وعذوبة الألم "ظنها
الملائكة في البداية.." 284 لؤي ..كان سليم 286 483 "بل أن أحدا
مد إليه سيجارة" 288 ..

أسلوب الرسائل تميز بإعطاء مقتطفات من الحقيقة والمشاعر
الغياشة وعميق الألم فعدا كمدونة تاريخية لمل يحدث وراء
القضبان.." الحياة مومس والسجن المكان الذي تمارس فيه المومس
دورها.." .."290.."ليتي أستطيع أن أرشو الشرطي.. الزيارة
كانت ممنوعة ..وماذا فعلت أمي فتكون النور في القبور.." 294
.."كل التحقيقات متشابهة.." 294 الحب هو مدام الوحدة "واهتف
بالشعر حبا فيك أنا هنا احتاجك بجنون.." 295 الصداقة التي لم يكن
من وراءها مصلحة "هناك فأر.. 296 "في هذا النوع الفريد من
الصداقة" 296 "الدم يسيل من انفي" 297

التصميم الذي خلقه واثق في شخصيته كان انتقاما ..ثأرا على كل ما مر به من إحباط.. "يريدون إذلالي لست بطلا ولكني أحاول الاحتفاظ بكرامتي.. مساكين الجلادون يستحقون الشفقة دائما.."
301..ولا بد للجاني أن يعتذر للمجني عليه.. "آسف على الأيام إلي عذبتك فيها بترجاك تسامحني بدك توخذ حقك خذه مني لا توخذه منهم بترجاك وعانقه

وفي النهاية يكون الموت سيد المشهد لا
يتوانى عن قبض أرواح من نحب لتصبح
صعيدا جزا

طويلا قبل أن نبدأ معا
بالبكاء " 308 "وكان
يرافقه اذ ذاك تقيؤ لكل

شيء حتى لجدار المعدة المهترئة وبعض الدم الذي يسيل من الأنف
في خطين قصيرين " 340

وفي النهاية يكون الموت سيد المشهد لا يتوانى عن قبض أرواح من
نحب لتصبح صعيدا جزا..في ملحمة التحطيم والانهار.. "هاهي
نفسها يهاجمها المرض" الرسالة..83 "أليس السرطان نذيرا
396.. "لم تكن مجرد أنثى كانت حياة تغير طعم الأشياء"

.. "398 الموت هو الآخر قد يصبح أمنية غدا جمعك مع من تحب"

398

ولن ينفع الرجاء ولا التمني عن حكم القضاء..

"أرجوك ألا تموتي قبل أن أخرج.. "400.. "أنتظرين ألف يوم ولا

تنتظرين يوما واحدا.. "401" كنت نشيطا فرحا وأشعر أن رؤيتك

أصبحت قريبة جدا"403" بالحب هربت من الموت وبه واجهته وفيه

ستنتهي حياتي"403 خرج إنسانا آخر404" "وعند قبرها صلى

صلاة الحب"406 هل يكون العزاء في .." لقد كانت تؤمن بك

بطريقة أسطورية402" ..وآن أوان إقصاء الأحلام ببداية جديدة

.. "بأنك فقدت مقعدك في الجامعة"401

وتبقى ذائقة الموت بملحمتها الثورية والعاطفية وأسطورة البحث

عن الإنسان الذي ضمير في البذرة ومات قبل الأوان.. الباحثة عن

صيغ جديدة للتفاهم ..المعلنة أجندة من نوع خاص.. عنوانها كلنا

للوطن وفداء الوطن.. الجرح لا يشفى دون ضمادة والنزف لن يتوقف

دون إيقافه والمطالبة بالحق ليس خيانة فالوطن خط أحمر كلنا
فداءه... ذائقة الموت والعتوم في حضرة الندى وجمالية النص.

رجوع للفهرس

خطوط متقاطعة



لا بد لنا من الاعتراف
أن المعضلات العالقة
في التجويف الزمني،
والرابضة على قوقعة
الحراك السياسي
العربي قد تقلصت،
وبالمجمل أسندت

ملفاتها إلى سبات عميق قد أفاق على توسع رقعوي للوجود الإرهابي
للمتطرفين.

هل اتحد هؤلاء الإرهابيون كما اتحدت الزعامات السياسية فجأة دون
سابق إنذار؟؟

لعل اتحاد الإرهاب على فكر واحد، ما عرف قبلة الإسلام يوماً، بل
زايدوا دفاعاً عن شرعية وجودهم المدعى متشبهين بمشجب الإسلام،
وشددوا على التمثل بالرموز الدينية كالراية السوداء وجعل كلمة

التوحيد شعارا لهم، إلا ساء ما يعملون، فقد نسوا أو تناسوا أنهم
مجموعة من الزندقة المرتزقة.

لقد افترشت هذه العصابة الإرهابية وأنى لهم ما يُروج من ادعاءات
تنظيمية غيرها الإرهابية، ولن ألقى عنوة الإسلام بقدسيته هكذا
عبثا بالزندقة، إنما هو شذوذهم وفكرهم العفن والمريض من سول
لهم فعل الفواحش والمحرمات، والتعدي على حدود الله علانية وفق
رغباتهم ضمن منهجية همجية.

نعم، أليس تدميرهم لآثار وحضارات ضاربة في التاريخ وهدمهم
الأضرحة والمقامات والمساجد فيه إفك عظيم، أي شريعة هذه التي
خولت لهم العبث بأرث الامم وحق الاجيال السابقة واللاحقة وتدنيس
المقدسات؟؟

إنما هي شريعتهم الشاذة .. ألم يفتح عمرو بن العاص مصر؟؟ فلما
فتحت مصر أتى أهلها إلى عمرو بن العاص حين دخل بؤونة من
أشهر العجم، فقالوا له: أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا
بها، فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: إذا دخلت ثنا عشرة ليلة من هذا
الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أباهما، وحملنا عليها

من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في النيل، قال لهم: إن هذا لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما كان قبله، فأقاموا بؤونة، وأبيب، ومسرى لا يجري قليلاً ولا كثيراً حتى همّوا بالجلء عنها فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب إلى عمر رضي الله عنه بذلك، فكتب إليه عمر: "إنك قد أصبت لأن الإسلام يهدم ما كان قبله، وكتب بطاقة داخل كتابه وكتب إلى عمرو: "إني قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي، فألقها في النيل فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة فإذا فيها: «من

إن هذا لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما كان قبله، فأقاموا بؤونة
عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل

مصر، أما بعد: فإن كنت إنما تجري من قبلك ومن أمرك فلا تجر فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت إنما تجري بأمر الله الواحد القهار، وهو الذي يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك.» [23] فألقى البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلء والخروج، لأنه لا تقوم مصلحتهم فيها إلا بالنيل، فلما ألقى البطاقة أصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، فقطع الله تلك السنّة السوء عن أهل مصر إلى اليوم [24]. " وابن العاص "

كان يبني المساجد في مصر القديمة بجانب الكنائس ويهتم بالعبادات ويرعى الحقوق والواجبات تجاه الأديان السماوية ولم يتجراً على تكفير أحد أو تحطيم الحضارة الفرعونية الماثلة فيها، ألم يبقها كما هي وهي آيات الله في الخلق للخلق، ليعتبروا من الأقسام التي حق عليها العذاب، ألم تكن هناك جنات ونعيم وأمم أشد منكم بأساً؟!

أيقومون همجيتهم لتسود في أرض أرثها لله؟؟

أليس الله من يرث الأرض ومن عليها؟

أين هم من العهدة العمرية ومفاتيح القدس وكنيسة القيامة؟؟

أين هم من الخلق الإسلامي القويم في حماية أهل الذمة؟؟

أين هم من احترام الأديان؟؟ لا إكراه في الدين.. ثم ماذا؟؟ يجبر المرء على ترك دينه ليقتل.. أي شريعة التي هم أتباعها؟؟ أين هم من إسلام وعظمة القائد العظيم محمد الفاتح، وفعله بكنيسة آيا صوفيا حين دخلها، وما زالت لغاية الآن مفخرة الثقافة والحضارة الإسلامية؟؟ ألا تمثل أكبر معنى ثقافي لحوار الأديان؟ فما مرجعية هذا الفكر الإرهابي من مرجعية محمد الفاتح وعمرو بن العاص ومحمد بن القاسم وحتى الحجاج وحفاظه على آثار بابل وآشور؟؟

وهذا يفسر لنا سر الفتح الإسلامي العظيم الذي امتد خلال ثمانين عاما من الصين شرقا الى فرنسا غربا، ومن سيبيريا شمالا إلى المحيط جنوبا. أي انتحال صريح للشخصية المسلمة؟! وأي قتل لروحها العبقرة..!؟

لقد استبرأت الأديان السماوية والشرائع الأرضية، بل والمعتقدات الفكرية التي ترتقي بروحانية الإنسان إلى رحمة السماء من هكذا فكر مشوه.. حسبهم انتهاكا لأعراض العراق وسوريا وليبيا واليمن وغيرها من أرض الله..

لكم قتل من جابرة على أرض دجلة والفرات وكذا على أرض بردى وتدمر!!..

ألم يكن الخطاب النبوي لأعظم رسالة في التاريخ الإنساني اعتلت الهامات خيول الفتح في احترام المعتقدات، قول صلى الله عليه وسلم " لا تقطعوا شجرة لا تقتلوا بهيمة لا تقتلوا شيئا ولا امرأة ولا طفلا."

ويقول أيضا " لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا.."

يقول صلى الله عليه وسلم "..ولا تقتلوا أصحاب الصوامع."

وفى وصية جامعة لأبى بكر الصديق لأسامة بن زيد وهو خارج لقتال العدو...

"لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا (أي بالجثث)".

"ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تقطعوا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله وسوف تمرن على قوم فرغوا أنفسهم في الصوامع (أي أماكن العبادة) فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له".

وزاد فى وصية أخرى " ولا تقاتل مجروحا ..". ألا تقتلوا!! ..

ألم تحرر أسرى اليرموك لأنفة العربي المسلم عن المادية البشرية، ألم يكن كشف الأسرى لعوراتهم علانية ثمن تحررهم؟؟ وهم يدركون أيما إدراك أن العورة مقدسة، لا يمكن التخلي عنه هكذا ببساطة ولا الابتذال فيه..، فكان الفارس المسلم يأسر الرومي فما يلبث الأخير أن يكشف عن عورته فيتعفف المسلم الفارس لفروسيته وكبرياءه فيعفو عن الرومي..، ألم تكن نقيمتهم في أبي غريب..؟؟ زيف الدعوة الصهيونية في تزوير حقائق التاريخ الإسلامي، أين الارهاب من هذه القدسية الإلهية التي اختص الله تعالى بها عباده..؟؟

ولتشهدي صفحات التاريخ بلاد فتحت من غير نقطة دم؟؟ أهي خيفة
من السيف أم هو تعشق الروح المطمئنة بسماوية العقيدة؟؟

ألم يعاتب الرسول عليه الصلاة والسلام في حديث أسامة بن زيد لما
التقى بجيشه مع الكفار؟؟ فقتل أحد المشركين عدداً من المسلمين،
فلما رفع أسامة سيفه على المشرك ليقتله قال المشرك: أشهد أن لا
إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقتله أسامة، فأخبر الرسول
صلى الله عليه وسلم فتغيظ على أسامة وغضب من فعله وأنكر عليه،
وأخذ يقول صلى الله عليه وسلم: «كيف لك بلا إله إلا الله إذا جاءت
تحتاج عنه يوم القيامة»،

فيعتذر أسامة فيكرر عليه
صلى الله عليه وسلم هذه
الجملة فيقول أسامة:

زيف الدعوة الصهيونية في تزوير حقائق
التاريخ الإسلامي، أين الارهاب من هذه
القدسية الإلهية التي اختص الله تعالى بها
عباده..؟؟

وددت والله أنني ما أسلمت إلا هذا اليوم ندماً على ما فعل وفرط منه.

عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمَّتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ

مِنْهُ وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ
الَّتِي شَاءَ) . رواه البخاري (3252) ومسلم.

وما الخطوط العريضة التي تبيح السياسات لنفسها تقويمها بل
إزالتها، حماية للعبة الكراسي والسلطة، في محو للهوية المسلمة،
من أدمغة الأطفال على المقاعد المدرسية، وادعائهم قائم على توجيه
التهمة الإرهابية للدين، فإن اتفق الإرهابيون على اتخاذه وسيلة لمد
نفوذهم على أدمغة الضعفاء وتوجيههم لخدمتها، والطمس على
القلوب اليافعة بمهاترات ضالة مضلة، فإن السياسات الحكومية
الخاطئة للدول الإسلامية الحديثة مشتركة، بإضعاف الدين الحقيقي
المتسامح باتخاذها من

وما الخطوط العريضة التي تبيح السياسات
لنفسها تقويمها بل إزالتها، حماية للعبة
الكراسي والسلطة، في محو للهوية المسلمة

الإرهاب حجة بفتاوى
التحرر الديني، وجعله
أساسا في منهجيتها

وذلك باقتلعه من جذوره ضمن مراحل منهجيه، تباينت بدرجات
قوتها على اختلاف تنفيذها في البلاد الإسلامية، حيث تكمن المرحلة
الأولى في تقليص المادة الغذائية في مادة التربية الإسلامية، ضمن

المراحل الدراسية المتعددة التي اكتفت بذكر العقيدة والسيرة النبوية وحولتها إلى عرض تاريخي فارغ المضمون.

أما المرحلة الثانية فتكمن في إلغاء التعليم الشرعي بمجمله، على اعتبار أنه تغذية راجعة لبؤرة أي تنظيم متطرف.. بتقليص حصص التربية الإسلامية إلى الحد الأدنى، مع زيادة معدل الحصص لمادتي التربية الفنية والرياضية والموسيقى.

أما المرحلة الثالثة فهي إلغاء التوجيه الديني والوعظ في المساجد ودور العبادة

لكن يتبادر للذهن أسئلة.. هل بهذه السياسات المغلوطة نستطيع القضاء على منابع التنظيمات المتطرفة؟؟

ام انها ستكون بداية للسياسات التعذيبية للمسلمين كما كانت الكنيسة في إسبانيا حيث لا تغلق الأبواب وليس للبيوت حرمت ؟ هل بالغاه يكمن جوهر التغير الجذري للتركيبة التكوينية للجنين؟؟ ام ان هذا عبث وتشويه للفطره؟ ام انه ارضاء لسياسات نحن مجرد جزء من مصالحها ومخططاتها؟

ان ما تفعله السياسات قصيرة النظر فيناهو عمل ممنهج، يقصد به رفع سقف الحريات إلى حد الفوضى التي لا يمكن مناقشتها . بعيدا عن حرية الفكر والتعبير الايجابي، وإلى سلوكيات فردية سلبية مكتسبه ، والى اتجهيل افكري والتوجيه الديني المسيس ، تسويقا لسياسات استعمارية صهيونية، بل وتعزيز الصورة النجومية لممثلين ومطربين وشخصيات مجوفة لتحاور عقول غضة للشباب ، وغيرها من سياسات توجيهية للمرئي والمسموع..

كل هذه السلوكيات ما

جاءت عبثا بل لغاية

تقليص الدور الأسري

والتربية البيئية والتقويم

الديني لتحويل الشخصية المسلمة النظيفة السليمة إلى الشخصية الغرابية ..

ان العبث بذاكره الشعوب والرهان على جهلها وتقزيم رموزها والسخرية من قيمها واللعب على حبال الطائفية واثارت الفتن والنعرات النتنة و

وهذا كله ينصهر في الشائكة الاجتماعية على مختلف الأيدولوجيات والطبوغرافيا، لمجموعة الأفراد المكونين للنسيج الاجتماعي، فهل يعود الدين غريبا كما بدأ؟

وهل يكون القابض على دينه كالقابض على جمرة؟

ولعل هذه السياسات هي الأخرى أوجدت لنفسها قاعدة ضمن الطبقات الاجتماعية، توجهها إلى حيث تشاء لخدمتها فقط..

هذا يعني وجود طبقة اجتماعية مخالفة للتنظيم التطرفي والتنظيم المسيس، ليست لها ولايات ولاأ انتماءات، وهي تحمل الهم الفكري ولكنها أغلبية صامتة.. لا يمكن معرفتها او تصنيفهاى ببساطة لكن يمكن للسياسة أن توقعها وتقعها منكرة على كلاكلها بالتلاعب بقوت يومها..

فهل يمكن أن تكون هذه الخطوط متقاطعة فيما بينها في إشكالية فوضوية لا يعلم لها نهايات...!؟!

[رجوع للفهرس](#)

بلاي ستيشن أم داعش دوت كوم



من الغريب أن
تصيبنا الحيرة في
البحث عن طرق
مبسطة لتوضيح
مفهوم العنف
والإرهاب لأطفالنا،

وهم يوميا يشاهدونه بثا حيا ومباشرا على شاشات التلفاز أو في أيّ
من مواقع التواصل الاجتماعي.. وحقيقة أمرنا أنّا لم نفظن أن في
بيوتنا نواة العنف والإرهاب..

ولم يكن الشذوذ السلوكي إلا ترجمة لبيئة التربية السلوكية الشاذة
للفرد، الذي في واقعه لم تعد الأسرة قادرة على توجيهه أو التعامل
معه، بل بدوره حفز الانحراف والتمرد على مفهوم القانون والرقابة
واحترام التقاليد، وكان مرجعية لسلوكيات جماعية حملت مسمى
(الإسلام المبتور)، إسلاما بالهوية لا بالمعتقد، وهو أشد وبالا على

المنظومة القيمية المجتمعية من غيره، إذ لم يحمل في مضامينه أيًا من المحاور التي قامت عليها العقيدة من تسامح وعقلانية وحوار واحترام للآخر، وقد ساهم بفرز نوعي لأجيال متباينة الأفكار: جيلاً من القائمين على التفرد النوعي المميز للفرد ضمن المنظور الوسطي، وجيلاً حمل المنظور التطرفي، وقد أشرب من نوازع ظالمة، لتسمى فيما بعد بـ

من المحاور التي قامت عليها العقيدة من تسامح وعقلانية وحوار واحترام للآخر، وقد ساهم بفرز نوعي لأجيال متباينة الأفكار

(الإرهاب الإسلامي)،
وإن لم يكن الإرهاب
مقتصرًا على الحركات

المتطرفة التي ادعت إسلامها، بل كان الإرهاب المسيحي قبل 800 عام في الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش، ولن نبتعد بالتاريخ كثيرا فبين أيدينا أكثر من ست مجموعات مسيحية متطرفة: كجيش الرب ، البرق الشرقي، جيش مقاومة الرب التي تضاهي بوكو حرام في إفريقيا، الجبهة الوطنية لتحرير تريبورا، فينس الكهنة والمسيحيين المعنيين. واليهودية المتطرفة وعلى رأسها اليمين المتطرف وحركة جماعة "غوش ايمونيم"، حركة حي فاكيام (الحي القيوم)، حركة هتيا (النهضة) ، جماعة أمناء الهيكل، حركة كاخ (عصبة الدفاع

اليهودية)، حركة كهانا حي، مجموعة حشمونائيم، منظمة بيتار (منظمة الشباب التصحييين)، حركة (تسوميت) أي مفترق الطرق و منظمة يشفيات اتريت كوهانين.. وغيرها كثير..

ما يعنينا هنا هو خطورة السعي الصريح لترويج مفهوم (فوبيا الأديان)...

فالتطرف في اللغة: هو الوقوف في الطرف، وهو عكس التوسط والاعتدال، ومن ثم فقد يقصد به التسبب أو المغالاة، وإن شاع استخدامه في المغالاة والإفراط فقط. والتطرف كذلك يعني: الغلو، وهو ارتفاع الشيء، ومجاوزة الحد فيه..

التطرف في الاصطلاح: يرتبط بأفكار بعيدة عن ما هو متعارف عليه سياسياً واجتماعياً ودينياً، دون أن ترتبط تلك المعتقدات بسلوكيات مادية متطرفة، أو عنيفة، في مواجهة المجتمع أو الدولة. ويرى البعض أن التطرف يحمل في جوهره حركة في اتجاه القاعدة الاجتماعية أو القانونية أو الأخلاقية، يتجاوز مداها (أي الحركة) الحدود التي وصلت إليها القاعدة، وارتضاها المجتمع.

إن التفريق بين الإرهاب والتطرف هو مسألة جد شائكة، وذلك لشيوع التطرف والإرهاب كوجهين لعملة واحدة، ومع ذلك فالتفرقة ضرورية. ويمكن رسم أوجه الاختلاف بينهما من خلال النقاط التالية:

التطرف يرتبط بالفكر، والإرهاب يرتبط بالفعل، كيف ذلك؟

قلنا إن التطرف يرتبط بمعتقدات وأفكار بعيدة عما هو معتاد ومتعارف عليه سياسياً واجتماعياً ودينيّاً، دون أن ترتبط تلك المعتقدات والأفكار بسلوكيات مادية عنيفة في مواجهة المجتمع أو الدولة. أما إذا ارتبط التطرف بالعنف المادي، أو التهديد بالعنف، فإنه يتحول إلى

إرهاب. فالتطرف دائماً

في دائرة الفكر، أما

عندما يتحول الفكر

المتطرف إلى أنماط

قلنا إن التطرف يرتبط بمعتقدات وأفكار بعيدة عما هو معتاد ومتعارف عليه سياسياً واجتماعياً ودينيّاً

عنيفة من السلوك، من اعتداءات على الحريات أو الممتلكات أو الأرواح، أو تشكيل التنظيمات المسلحة، التي تستخدم في مواجهة المجتمع والدولة، فهو عندئذ يتحول إلى إرهاب. التطرف لا يعاقب عليه القانون، ولا يعتبر جريمة، بينما الإرهاب هو جريمة يعاقب

عليها القانون. فالتطرف هو حركة تجاه القاعدة الاجتماعية والقانونية، ومن ثم يصعب تجريمه. فتطرف الفكر لا يعاقب عليه القانون، باعتبار هذا الأخير لا يعاقب على النوايا والأفكار، في حين أن السلوك الإرهابي المجرم، هو حركة عكس القاعدة القانونية، ومن ثم يتم تجريمه. يختلف التطرف عن الإرهاب أيضاً من خلال طرق معالجته، فالتطرف في الفكر، تكون وسيلة علاجه هي الفكر والحوار. أما إذا تحول التطرف إلى تصادم، فهو يخرج عن حدود الفكر إلى نطاق الجريمة، مما يستلزم تغيير مدخل المعاملة وأسلوبها. والإرهاب بذاته تهيئة منطقية لمفاضلة السلوك، التي تتبنى تصوراً منطقياً في أجدتها عديمة الرحمة، في إنهاء وجود الإنسان بذاته، و تقتيل المسلمين والأبرياء علانية في أرض الله، ثم ترويع الأمنيين في عقر بلادهم، فلا تفرقة للغة الموت بين المساجد والصوامع والمعابد والمناطق السكنية ومسالك الحياة، ضمن أطر ضيقة من الحكم والقضاء في التطهير العرقي، وهي أبعد ما تكون عن الرسالة السماوية التي عمت البشرية، بالسعادة والخير والإنجاز والإبداع، بإرهاب لا دين له ولا هوية ولا وطن.

وهذا بيت الداء... فالألعاب الأكثر وحشية وإراقة للدماء، هي الأوسع انتشارا عالميا في النسخ المتطورة من البلاي ستيشن والإكس بوكس وغيرها، من أدوات تقدم فنا غير مألوف ، بارعا في فن التحايل على البرمجية النفسية للطفل، والمحفزة لخلايا السلوك العدائية، بل والتلاعب في نواة الفكر، فعدت قادرة على مسح الشيفرات الوراثية وحتى المكتسبة، لمعاني السمو الأخلاقي والفكر

العقائدي الصحيح،

واحترام التاريخ

والحضارات، بل وقبول

الأخر فكرا ومعتقدا. فتلك

الساعات الطويلة التي يقضيها الطفل أمام المعلم الأول والوحيد لمفهوم البطولة المطلقة وحق تقرير المصير، لم تكن في الواقع هدرا أو مضيعة للوقت، بل استثمارا رخيصا بالاتجار بالفكر، بعد أن غدا الاتجار بالبشر وأعضاءهم إلى بوار.

فقد أصبح حق الحرية وتقرير المصير لذاته الفردية ولقرينه وقبيله أمرا مفروضا لا حقا مشروطا.. وإن كانت هذه البيئة التربوية للطفولة البريئة التي قد نزع منها صمام الأمان، وقد شبّ فيها

فالألعاب الأكثر وحشية وإراقة للدماء، هي الأوسع انتشارا عالميا في النسخ المتطورة من البلاي ستيشن والإكس بوكس وغيرها

الطفل وترعرع في حضان العنف والخطيئة، وبعد أن كان منهما في القضاء على مجموع الأعداء أو الأفراد بمنظومة افتراضية، أصبح له العالم عدوا مفترضا بعد أن خرج من شرنقة الوصاية مبكرا، حاملا لجين الإرهاب، مهينا تماما للتجنيد، وبيئة خصبة لتلقي الإملاعات الموجهة للسلوك الإجرامي، وترديد ما يؤمن به العقل الباطن من مفاهيم مبهمة، لكنها ذات دلالات إيمانية قد استغلت بحذاقة، لتوليف السلوك نحو الهدف واستئصال نزعة الخوف، الرابطة والرفض للمجهول، كضرورة الخلاص والتطهير وأنه قد آن الأوان، كمفردات مبهمة موجهة للسلوك، بمرجعية مألوفة ضمن ملفات العقل الباطن، المرتبطة بجذور التربية الدينية الباهتة..

فلم يعد العدو محتلا بل واقعا ملموسا، ولم تعد فكرة البطولة المطلقة حلما، ولم يعد حمل السلاح جرما بل تقليدا للرجولة، ومن ثم لم يعد للمشهد العام من المجازر والقتل والاعتصاب والتطهير العرقي أي وقع في المنظومة العاطفية، بل لم تكن لتؤثر بهم أو تعنيهم، فمفهوم الضحية لم يعد مفهوما يعنيهم، بقدر ما يعنيه مفهوم المخلص أو المنقذ..

فأين هي التربية التوعوية من كل هذا؟؟ وتسليط الضوء قد غض
البصر عن الجرثوم أو الفيروس المتفشي داخل البيوت، بل وقد أغفله
تماما ليفرض نهجا جديدا فضفاضا في تقليص مفهوم التربية الدينية
فكرا وسلوكا..

الذي وإن كان كما يظن الكثيرون بؤرة لنشر الفكر التطرفي أو
الإرهابي، وإن كنا لا ننكر دوره اليسير في خلق منظومة العنف،
ولكن الكثير قد تغلغل في

الجسد ووصل إلى النخاع
ولم يعد بتره علاجاً، بل
تعجيلا في ظهور الخلايا

وتسليط الضوء قد غض البصر عن الجرثوم أو
الفيروس المتفشي داخل البيوت، بل وقد أغفله
تماما ليفرض نهجا جديدا

النائمة للجماعات الفكرية المتمردة على التقاليد والقانون..

فالعقول الغضة صار فكرها داعشيا ، وحزاما ناسفا قد تفنن في
حفظ أنواع الأسلحة وجاهزيتها وقدرتها القتالية، وعدد قذائفها
وعتادها، بدلا من النحيب على الضحايا الذين سقطوا من نارها
وبشاعة ويلاتها.

وغدت رخصة اختراق الحصون والاعتداء على المؤسسات العامة،
والسرقة والنهب بل الاعتداء على رجال الشرطة وقتلهم والتخفي
بملابسهم، نمطا سلوكيا مجازا ومقبولا من مجموع الأفراد
المتمردين.. فلم نعد بعد هذا كله بحاجة إلى حبوب هلوسة، بل
أصبحت لعبة ثلاثية الأبعاد لا حدود لها ولا وقت لإيقاف تشغيلها أو
حتى GAME OVER .

[رجوع للفهرس](#)

قراءة في كتاب ظاهرة العنف في الخطاب الروائي العربي للكاتب عزت عمر



لقد وقع بين يدي كتاب
اقتادني بأسلوبه الشيق
من البداية إلى النهاية،
وهو كتاب قد صدر حديثاً
عن مجلة دبي الثقافية
مع عدد مجلتها 118،
وقد ابتدأ الكاتب عزت

عمر بما أقتبسه: " أن ظاهرة العنف كانت بمثابة بنية أساسية فاعلة
في تاريخ البشرية، وأن الباحث في هذا المبحث لا بد لنا من العودة
إلى (الميثولوجيا)، أو ما نسميه بالجذور السردية الأولى، التي انبثت
عليها ملحمة الخلق الإنساني، لكي يربط بين تمثلات العنف فيها وبين
السرديات المعاصرة".

وهو صراع الإنسان منذ قابيل وهابيل وصراع الحضارات كالبابلية والأشورية والنضال ضد الاستعمار لممالك البشرية ومقدراتها، والسير التي تشابهت والأساطير كسيرة أبي زيد الهلالي والملاحم التاريخية كالأوديسة والإلياذة وغيرها، ولم تكن الثقافة العربية ببعيدة عن موجة الصراعات بل حافلة بكثير من موجاتها على مدار الزمن، وامتدت لتوجد

صراع الإنسان منذ قابيل وهابيل وصراع الحضارات كالبابلية والأشورية والنضال ضد الاستعمار لممالك البشرية ومقدراتها

تضادية في الديمغرافية التي أوجدت صيغ جديدة كالتسامح والسلام، في

أزمان اجتمعت قوى العنف على اعتبار السلطة هي المحصلة لكافة أشكال الحرية، وإن كانت الروح جزءاً منها، ليتطور المشهد بتضادية الصراع بين العقل والقلب ليصيغ أشكالاً مشوهة وأشبه بالمسخ من الشخصيات.

العنف الذي بات واضحاً في الروايات العربية هو العنف الاجتماعي، ولم يتطرق للعنف السياسي وقد تناول الكاتب دعمه لصيغ إثباته، لنص العنف من خلال دراسة أسلوبيته في الروايات العربية، فابتداءً برواية (يالو) لإلياس خوري، والتي تناولت العنف السياسي والحرب

الأهلية اللبنانية، حرب الميليشيات والشوارع في بيروت، وضحاياها من جراء النزاع الطائفي والقهر، تمثلت في الطفل (يالو) المسكون بالحكايات، وفي رواية " العنف والسخرية" للكاتب المصري ألبير قصيري بإدانة النظام الثوري، الذي قضى على الحكم الملكي وما تأثر به الشارع المصري من اعتقالات وقوانين جائرة.

لقد قدم لنا الكاتب بأسلوبه النقدي العديد من الروايات التي واجهت العنف بكافة صورته والتي

تنوعت بمهارات روائية
تعددية، ولم يفاضل
الكاتب في نقده بين

حرب الميليشيات والشوارع في بيروت،
وضحاياها من جراء النزاع الطائفي والقهر،
تمثلت في الطفل (يالو) المسكون بالحكايات،
وفي رواية " العنف والسخرية"

المشهد الروائي النسائي والرجالي، بل ثمن الوجود النسائي الذي وقف على احتراز من القيم المجتمعية المتحررة وآثرن إضفاءها بطريقة سلسلة واقعية، كدور المرأة الهائمة أو المقيدة أو الرغبة الكامنة في التحرر من القيد الذكوري بسياسة مجتمعية قاسية.

وقد وقف الكاتب عند ميثولوجيا المرأة كشخصية محورية في الكثير من الروايات برمزيات الصورة، ومنها القيود كالثياب والنظرات

الأحاديث، بل في الصورة المرأة التي تفاضل بين الذكورة والأنوثة على اعتبار أن الذكورة هي أساس الوجود والكرامة والشرف، وأن التهلكة والجحيم للوجود الأنثوي.

وقد بث الكاتب إيقاع التمازج في الصراع وتحريره من صورة الرجل والمرأة ليرقى إلى مستوى النضال المشترك، ضد الهيمنة الاستعمارية، وبأسلوبه

الإثرائى فى الرواية العربية وأبرز مفهوم الخطيئة والعقاب، ورغبة

ببساطة لقد مكّني الكاتب من الرقي بحسي القرائى المجرّد إلى استبصار البنيوية الروائية وتحليلها السردية بقيمة فنية مرتفعة

الرجل في منح المرأة القليل من مفردات الحرية، التي لم يتمكن البطل في الكثير من الروايات نيل ولو جزء منها، على الرغم من كونه ذكراً بحصانة الذكورة، كرواية "طوق الاحلام" لمحمد شويحنة.

ببساطة لقد مكّني الكاتب من الرقي بحسي القرائى المجرّد إلى استبصار البنيوية الروائية وتحليلها السردية بقيمة فنية مرتفعة، حيث تمكن الكاتب من مفصلتها من حيث الدلالة، العنوان والنرسيية، ورمزية الخروج وتعدد الحكبات والرواة، ثم درس

الرواية العربية في الوجود الصهيوني على الأرض العربية، وبعث الوجود الثوري المشخص بالمرأة ملازمة للرجل والكفاح المسلح في رواية "رجال تحت الشمس" لغسان كنفاني.

وإن تعددت الروايات برمزية حواراتها، لكنها مجتمعة أوجدت النمط الأوحده للعنف الذكوري في الوصية المجتمعية أو الجنسية أو

التقويمية على المرأة،

ككائن مضطهد خال من

الحقوق، عليه فقط

التبعية لرمزية السطوة

والسلطة المتمثلة بالرجل، ليكتمل المشهد بالعنف السياسي الثوري

ضد الاستعمار والوجود الصهيوني على اعتبارية الخروج من نطاق

العنف الداخلي ورصده ضد العنف القهري الذي بسط سطوته على

المجتمع العربي ككل.

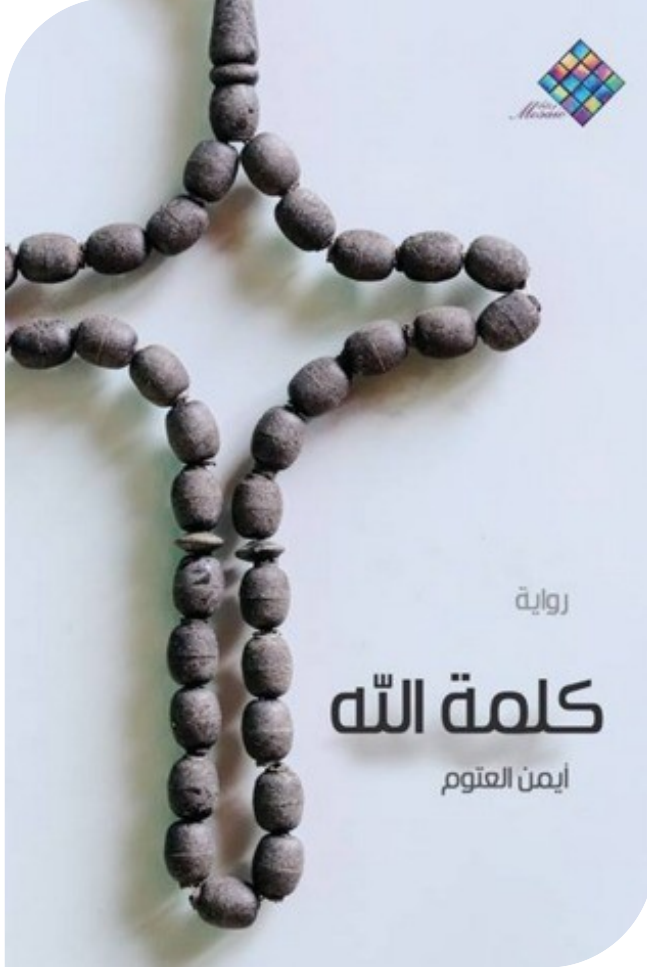
وعلينا في النهاية أن نثمن هكذا إصدارات ورقية تفيد فيها مجلة دبي

الثقافية القارئ العربي وترقى بذائقته وحسه الفني والأدبي على حد

سواء. ... [رجوع للفهرس](#)

قراءة في رواية كلمة الله

للكاتب الأردني أيمن العتوم.....



الزمن يُسيّرُ الأقدار ذاتها كسيل
عرم ينهب الطرقات، معراجة
إلى حيث نبت أول مرة، وتبقى
الخطيئة التي لا يمكن أن تبرأ
منها الأجساد المتعفنة، التي لا
يرجى صلاحها إلا في بترها.
تلك الأجساد لا يمكن التعويل
عليها حتى بأنصاف الحلول،
ولكنها البداية الصادقة مهما
نزفت على مقاصلها الأرواح،

تبقى هي من تثبت في الأجساد التائهة إلهام البحث عن الحقيقة، التي
نورثها للأجيال مبعثرة منقوصة، هذي الأجيال التي خوت بقرابها،
عند بئر نضب ماؤه، فهل نؤتيه بعضا منه فيبقون في الهلاك، أم

ندلهم على الطريق سابلة تسيرهم الرغبة على وعثاءه وسهوبه
وفيافيه وقفاره، ليكون النور ملقاهم؟؟!!

وهي كذلك رواية كلمة الله..التي إن جمعت بأيمان فيها صادق فلن
تفرق أبدا، مهما بلغت درجات التعذيب والتهديد والوعيد، مهما أحسن
نساجو الغدر نسجه فهي الطريق للأجيال لكي يرووا منها ظمأهم
ويتبينوا حقيقة ما، حتما ستلاقيهم في طريق مليء بالأشواك.

إن رمزية كلمة الله ، التي يتفرد بها الله، فيحق بها ما يشاء ويمحق
ما يشاء، بعد أن جعل الطريق واضحا والسبل بينة يعيها القلب
البصير، والعقل المتنور، وتلك الشخوص التي تعلقت بأستار الرواية
ومدت خطواتها فيها،

وهي كذلك رواية كلمة الله..التي إن جمعت
بأيمان فيها صادق فلن تفرق أبدا، مهما بلغت
درجات التعذيب والتهديد والوعيد

نحو بداية جديدة،
صفحات تاريخية توجد
لنفسها بصمة لا يمكن

لأي أحد أن يماري في أصولها، أو أن يسلبها إياها. وهو التفرد
الفكري ولن يكون موجودا دون أطراف تتحاور بتنوع فكري،

فالمنطق يوجد التباين ليخلق منه تفردا ما أو ازدواجية تخدم مرحلة أو مراحل .

فحرب الفكر لا يمكن أن تقابلها أساطيل من بوارج حربية وبراميل متفجرة، فلن تكون النهاية مهما تعاضمت القوى وستبقى جذوتها أقوى من ذي قبل، لأن الفكر ببساطة يعيش بين خلجات الروح ومستقره القلب والعقل ناقوسه، فلنحاور الجيل لنوقظ فيه السلاح المختمر بين أضلعه سلاح اليقظة وعصر التنوير..

لقد تميزت رواية كلمة الله ببراعة أيمن العتوم في بنائها الروائي الذي يمتعنا فيه، مستقيا نهجه من القرآن والسنة، بل وقد زاد عليه علما وتاريخا وبحثا ومجادلة، وانفتاحا عقلانيا في بناء روايته، ولعلّي أجد كاتبنا العتوم فهو واحد من النماذج التي أثرت في مسيرتي الأدبية، فالعقلانية حجة وبلاغة، مهما أوصدت أمامها الأبواب .

وإن كنت أجده قد تفوق في ذائقة الموت وأبدع في حديث الجنود إلا أنها كانت أحوج إلى معلومات إثرائية أكثر من تلك التي برزت فيها. وتبقى يسمعون حسيستها ويا صاحبي السجن متعادلتان في الحكمة الروائية، ليتفوق بروعته وقدرته الأدبية في (كلمة الله) من جديد..

ولقد بحثت الرواية ثلاثة محاور.. فإن كان محورها الأكثر الأهمية في النص الروائي وهو العنف الديني.. وأما محوره الثاني والذي بدوره نال قسطا وافرا من البنية الروائية، وهو حقيقة (لا إكراه في الدين) وحرية المعتقد و النقاش وقبول الآخر والحوارية العقلانية إلى أقصاها. ويبقى المحور الذي تميز بهدونه وجلال قدره، كما عودنا

العتوم في رواياته، وهو

قدسية الحب وروعته

،التي ندر ما أن نجدها

عند كثير من الكتاب، فلم

يصور شخوصا ولا أجسادا ولا هوى ولا غواية، بل أرواحا تتلاقى وفكرا يتوحد ونضجا عاطفيا ، قد تمدد واستقر في الذات الإنسانية..

وإن كان المحور الثاني (لا إكراه في الدين) هو الأبرز في أهميته في

مناخ من الشحناء والسلبية وبراكين من عدم الثقة والتكفير،..فقد

تجاوز فيه العتوم النص السردي إلى الباحث التاريخي، الذي ما

استقامت له الأمور إلا من خلال الحقائق والبيانات، التي لا يمكن

رفضها أو الإدعاء في بطلانها، وإن الدين عند الله الإسلام وهو

التسليم بان الله تعالى واحد أحد وهي جوهر العقائد السماوية، التي

وإن كان المحور الثاني (لا إكراه في الدين) هو الأبرز في أهميته في مناخ من الشحناء والسلبية وبراكين من عدم الثقة والتكفير

لا يمكن أن ينقضها أحد، ليكون مبدأ النقاش العقائدي: أنه لا حرب بين العقائد، حيث لا خلاف على جوهرها.. فالأصل واحد لا خلاف عليه، غير مشوب بتحريف أو تغيير، بقدر أنه سعي وراء وحدة المصير، وإن كان الفكر هو الذي يقود إلى علاقة استثنائية في القبول أو الرفض أو التماذي وأساس أي حوار هو قبول الآخر واحتوائه وتفنيد الحقائق في النقاش وفق المنطق العقلاني، وليس التنصيب بشخص الحاكم والقاضي والقاتل في آن.

و أول خطوات ذلك تكمن من خلال التصالح مع الذات وتخليصها من حالة الفوضى والصراع بين الرفض والقبول ومن ثم القدرة على مجابهة التغول الفكري وما علا من الأصوات النشاز.. " وفي نصه.. " مع أن أيًا من هؤلاء الذين طالبو بتكفير الطرف الآخر، لم يكونوا قادرين في السابق على مواجهة مراد، ولا الوقوف أمام أفكاره، فلما جاءهم من يحاور برقي وبعلم وبثقة لم يقبلوا منه.. "ص137"

وتبقى حقيقة.. " أليس الله الذي تؤمن به يقول " لا أكراه في الدين.. "ص185.. ثم " بؤسا لأصحاب الفتاوى الجاهزة "ص187، ويؤكد في نهجه على أن.. " لغة الحوار هي الأرقى والأسمى، لا أملك

بندقية ولا أمك شيئا جئت لأغير العالم بالكلمة، العالم الذي في داخلي.. "ص162..

وفي مكان آخر نصت لهدأة العاقل.. " لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة في قلب مؤمن، كما لا يستقيم الماء والنار في إناء، من قال ذلك عيسى أم محمد..؟ ص170..

إذا هو التسامح والمحبة والرحمة والأخوة التي تحطم متاريس القلوب، وتذيب جليدها لتنتب فيها أديم الحياة، كل إلى فناء ويبقى الخالق.. هي نقطة انتقال من.. إلى، من التيه إلى الحقيقة من اللاوجود إلى الوجود، من الخيال إلى الحقيقة، وهاهو النهر يبقى نهرا لأن العقيدة في جوهرها ليست في الشخوص بل في حقيقة الفكر، وحرية

المعتقد قائمة على

إنصاف العقل، دون

تشبث بأستار الجهل

والتفوق على الفكر

إذا هو التسامح والمحبة والرحمة والأخوة التي تحطم متاريس القلوب، وتذيب جليدها لتنتب فيها أديم الحياة

الرافض وحسب، بل وأزيد في التعلق بتشوهات قد شابت بعض نصوص علمائها، فليتم قناعته، بأن يتيقن أن عليه، أن يعي الحقيقة

كاملة دون نقصان، أن يكون المحايد في قراءة كتب قد ألفها راعون
لحق الإنصاف، في إزالة التشوهات عن تلك المراجع الدينية، ليبقى
الوصول الآمن للحقيقة التنويرية، والقدرة على البقاء والاستمرار،
ضمن غاية البناء لا الغوغاء..

ومن هنا جاء صراع الشخصية البظلة بتول عندما اكتشفت، أنها في
عالم قائم على لجة غاية في الجمال الخيالي، فعندما أتته لم تجد لجة
لتغسلها من خطيئة الرفض، فكان صراعها مع ذاتها في القبول
والرفض، وقد كانت خطواتها الناجحة، في أن تصل على مستوى
التصالح مع الذات، بأن تحاور المنطق بالمنطق، بعيدا عن العاطفة،
حيث يصل فيه الإنسان إلى ملكوت الخالق بعيدا عن المادية، فخطوة
الأمام لا تضرها خطوة الخلف، بل تجعلها أكثر ثباتا على تحمل مشاق
العذاب، و الذي مهما بلغت قسوته لا يأتي عُشرا أمام الراحة النفسية
والإيمان الروحاني.

وإن كانت مريم قد أيقنت أن لديها رسالة قد تقلدتها في دراسة علم
اللاهوت، منذ الرابعة عشر من عمرها، فإنها قد سيرت طريقها في
القرية بعيدا عن شيطان المدينة وماديتها، وقد رأت في تبنيها لوائل

الطفل اللقيط عنوانا لثقة الرب فيها، وإحقاقا لصدق إيمانها، وكان وهيب الزوج المحب الذي أحب وآمن وهجر ملذات الدنيا من أجل الحب، فقد جعل الإيمان مفتاحا لاستقرار عاطفي.

على النقيض من هذا فإن مريم وأمام أول عاصفة لها كفرت بتلك الثقة.. واعترفت بأن وائل لقيط، ليس له الحق في إبداء رأيه في مصير أخته، فقد انتفت بذلك لديها صفة الوعظ إن لم تكن قادرة على الربط بين الدعوة والسلوك.. حيث كانت تلك الأصوات التي سمعتها تأتي من بئر عميقة، لكنها لم تبحث عنها، فقط فاضلت بأن تبقى على السطح دون أن تتوغل في القعر.. ثم يأتي المشهد المقابل.. الذي يمر على أولئك المنتظرين

على النقيض من هذا فإن مريم وأمام أول عاصفة لها كفرت بتلك الثقة.. واعترفت بأن وائل لقيط

للنهاية، حتى يرثوا ما عليها دون أي مشقة، حيث يظهرون أبطالا عند

خط النهاية، الذين يستغلون كلمة الموت ليبدووا منها صراعا جديدا وفق أهوائهم، ليتسلقوا السور ليبدووه بعد أن انتهى كل شيء، وهل الهدنة في قلب القلوب؟؟ وهل يساقون وفق أمر واحد بمنظومة

واحدة، لا تعي سوى أن تسقط كل شيء كل الشعارات؟؟؟ وهو أقرب إلى النمطية المتطرفة منه إلى التفاعل منذ بدء البحث عن الحقيقة. ويأتي المحور الأول، وهو العنف الديني الذي ارتكز على المبارزات الحوارية بين الملحد(مراد) والشخصية المسلمة(صالح) من جهة، وبين صالح والفتاة الراغبة بالتصالح مع الذات، والتمرد على الإله المصلوب..

المبارزات بين الإيمان بالرب وبين الإيمان بالحقيقة المطلقة، بوجود قوة عظيمة خلقت الكون وهي الله لا اله إلا هو، وبين نكران هذه الحقيقة من الموجود وفيزيائيته وميتافيزيقيا الكون..

فقد عمد الكاتب إلى الإتيان بهذه الشخصيات، كمحاولة منه إلى بيان حقيقة الفكر الإيماني، فكر الإسلام بعيدا عن الأفراد والشخص، فالإسلام والمسيحية دينان سماويان لم يرتبطا بمفردات وضعية، بل بما هو أعظم وأقدس وأكثر شمولية.. " فمن كان يؤمن بمحمد فإن محمدا قد مات ومن كان يؤمن بالله، فإن الله حي لا يموت.."

إنها القناعة الإيمانية التي محلها القلب وموقن بها العقل، مترجمة إياها الحواس بالسلوك الايجابي. و القضية فقط ببساطة البحث عن

الرب: " لو كنت ربا حقيقيا فلماذا تركتهم يقتلونك.. "ص128

ويبقى الدين الذي أسس بنيانه على أسس سليمة، لا يمكن أن يحاربه ويحادده من فهمه، ومن لم يتخير عقله الفتن والمجون.

ولم يكن الكاتب ليرسل كل هذه الأمور على علاتها، بل أبرز بحرفية المبارز، وبجراءة نوعية أن الصراع لا يولد إلا ألفة بين الضدين، لأن كلا منهما قد عرف قوة خصمه، وما لديه من الدلائل ليثبتها أو ليحضرها، فتميل إحدى الكفتين للأخرى..

فالخالق المطلق اليد في الكون والذي أنشاه وفق نظام دقيق، لكل صغيرة وكبيرة، فلم يكن ليحتاج عبدا إنما لعباد، ليعمروا الكون بالصالح، يؤمنون

ويوقنون ويسبحون،

ملهمون ومقيمون لحدود

الله، ومن أمن حقا فهو

مؤمن بأن له دورا ايجابيا عليه القيام به، وهو من لا يقرر حياة أو

ولم يكن الكاتب ليرسل كل هذه الأمور على علاتها، بل أبرز بحرفية المبارز، وبجراءة نوعية أن الصراع لا يولد إلا ألفة بين الضدين

مماتا، بل ليس له الحق بأن يكفر فلانا" أو كشفت عن قلبه؟؟؟"، وأي نص أبلغ "فمن قتل نفسا فإنما قتل الناس جميعا."

فكيف للتكفيرين أن ينصبوا أنفسهم أربابا من دون الله، فالعنف الديني الذي ينهي أي بداية، لأي رسالة كانت.. " لا سر يبقى سرا حتى ولو باحت به الجدران ، بعض الأسرار يفشيها حتى النمل العابر في الممرات، والأسرار مادة من الأخبار، لا خوف منها، ويفعل بالسريرة ما لا يفعل سواه.." ص191..

والرسالة المحمدية لم تقم يوما على العنف ولا الإرهاب، ولا القتل والتهديد، وإنما بلغت أقاصي الأرض وأدناها بالتسامح والمحبة والإخاء، فكان دخول الناس في الدين أفواجا، وتبقى الشمولية أعم وأنبل، والخصوصية المتعلقة بقناعة قد غفل حاملوها عن بيانها وبقوا على صمتهم..

ثم تلك الأصوات التي سمعتها قبل عشرين عاما، لتكون هاجسا فيمر سحابه لينقض عليها جزعها، ثم تعاود الحلم ذاته ثانية وثالثة، وهي تعلم حقيقة الأب ودانيال وزئيف وهم أتباع المادة ولم يكن الدين ليغير فيهم إلا المظهر، فكانت أمام ابنتها وقد انتفت عنها شخصية الواعظة

وبقيت الإنسانية، تمثالا شمعيًا يذوب أمام تصميم بتول، فأين مريم من بتول أمام هذا الفكر المشرب بكل الحواس، الذي يهون عليها مصابه وما ألمّ به؟؟ فالجسد فان وتبرئ الروح إلى بارئها مطمئنة..

انعكاس الصورة لما راود مريم واضطرابها الداخلي.. " عندما وقفت

تخطب بجموع التائقين

وقفت مريم تحيط بها

غمامة سوداء من خطبة

الأسقف، أرسلت نظرة

فاحصة إلى جموع التائقين، فأدركت كنه الصمت الذي بلغهم جميعا

بدوا تماثيل حجرية.. "ص26..

"شبك الأسقف بين يديه وفركهما قبل أن يقول: حسنا الرب عادل كل

امرئ في هذه الحياة ينال جزاءه الذي أقر به الرب في أعاليه استنادا

إلى معرفته الأزلية، هؤلاء الأشرار نزع الرحمة من صدورهم،

فعلى رئيس الحرس أن ينزع الرحمة من صدره تجاههم، العدالة

تقتضي ذلك "ص27-28...

"تناول زئيف المصباح المعلق عند فم الدرجة الخامسة أضاءه
وواصل هبوطه إلى العالم المظلم في الأسفل ... ص30...

ذرعت البهو خلف دانيال هبطت الدرجات إياها في غمرة هبوطها،
رنت في سمعها الصرخة التي سمعتها في المكان ذاته قبل أكثر من
عشرين عاما تقريبا، لم تكن تعرف أن بيت الرب يحتوي تحته سجنا
وأن فيه زنازين انفرادية وأن مهمة زئيف في الكنيسة تتلخص في
أمر واحد وهو تعذيب الخارجين عن طريق الرب، كادت أن تكفر
بطريق الرب وهي تواصل هبوطها باتجاه زنزانة ابنتها، وهتفت في
أعماقها: هذه ليست طريق الرب، إنها طريقكم أنتم أيها المجرمون
"234.."

وما تلك الصورة الأولى في الهروب من الحقيقة للتعلق بمادياتها،
دون جوهرها لإبرام ودانيال كانت كذلك للمسلمين في تعلقهم
بمتعلقات مادية، في نهاية الرواية، وتركهم الجوهر.

وإن كان أتباع كل أشكال الفكر مسألة خطيرة فيميلون هاهنا وهاهنا،
دون تيقن أو عقلانية وهذه القضية الجوهرية التي تتسرب إلى عقول
أجيالنا الغضة فيهييمون على وجوههم، وينصاعون للطاغوت وعلم

التطرف والإرهاب.. فكانوا يتحولون إلى أجساد خواء تختزلها قوى
القادة، وما أكثرهم إلا في الضلال، وتتمدد الأفكار ويبدأ الصراع بشكل
أكثر عنفا لتتوء الأرواح الغضة تحت وابله، وتتلبد الأنواء وليحارب
كل خلق خلقه.."تقدم من الضابط المسؤول أحد الكبار بدا أنه
يستطيع أن يحتوي الموقف خيرا منهم:" استطيع أن أكف كل هذه
الجموع بلمحة البصر، إذا حققت لها ما تريد.. " وماذا تريد؟؟ جثة
الشهيدة لأنها صارت منا ولم تعد تخص أهلها في شيء.. " لك
ذلك" 243..

"الغياب وحش يبتلع كل من يجده في الطريق. إنه الصورة الأبعث
للموت، الموت غياب ظاهري، والغياب موت خفي. والطعنة التي
تأتيك في الخفاء أشد
وأنى من تلك التي تأتيك
في العلن. والحياة حلبة
صراع لا يفوز فيها إلا ذو

فكانوا يتحولون إلى أجساد خواء تختزلها قوى
القادة، وما أكثرهم إلا في الضلال، وتتمدد
الأفكار ويبدأ الصراع بشكل أكثر عنفا لتتوء
الأرواح

قوة، قوة في الفكر، وقوة في العقل، وقوة في الروح، وأخرى في
الإرادة، الحياة طرقات شاقة لا يبلغ نهايتها إلا من كان مستعدا منذ

البداية لأمرين: ماء اليقين لصحراء الشك، ونور الإيمان لظلمات الكفر.. " ص220

إنها إحدى مشكلات الإنسانية تلك التي عبر عنها ابن سينا بقوله:
"ابتلينا بأقوام يظنون أن الله لم يهد إلى الحق سواهم." ص225

"هتف في داخله: "إن التعصب لا دين له." بدأت الأصوات تتداخل:"
اقتلوه باسم الرب،" وينادي آخرون:" اقتلوه من أجل الله." واتسعت
ابتسامته ولم يعد يدري من هؤلاء الذين يقدمونه إلى الموت الساعة،
أهم هؤلاء أم إلى هؤلاء ص226.

ويرضى مطمئنا بالمصير الذي رسمه له التكفيريون.. "الآن سوف
ارتاح، لك الحمد يا ربي".

وفي اطمئنان نفس بتول " ..لقد كان عبدا صالحا .." ثم الأساطير
تراود العقول الحائرة:"لقد كان عبدا صالحا يا ابني، وكانت الملائكة
تمشي إلى جواره.. " ص228..

التفاني في الحفاظ على رباطة الجأش ورد الصاع بالصاع.. "تظاهرت بالهدوء اقتربت هي الآن منه وخاطبته بصوت يفيض رقة وذنوبة: لا تتعب نفسك يا أبي جسدي لك.. " 229

ثم المحور الثالث وهو الحب والعشق المقدس، الذي خرج عن إطار الجسد والشهوات ليسمو إلى منتهى الروح، وإطلاق عنانها، فلم يحم العتوم بإشارة لوصف جسد أو وجه أو أي نوع من العلاقات التي يشوبها الانحراف، بل لم يدخل بأي علاقة على إطلاقها.. " الحب لا

يعرف العمر ولا يعترف

بالدين، ولا يقف أمام

البوابات الجاهزة، مهما

كانت صماء وهو أعظم

من أن تدير صفحة قلبك، لأنه هو قلبك، فإلى أي جهة تفر وهو المفر

والجهات كلها؟! "ص119..

ثم مشاعر بتول الجياشة بطقس إنساني لكنه أكثر شفافية: " لكن

بركان المشاعر الذي يضطرم في داخلها أوشك على الانفجار.. "

ص139. "هل تسمحين أن أسبقك قليلا، لا أريد لأحد أن يرانا سائرين

على هذا النحو .."141... كما هو موسى عليه السلام وابنتي
شعيب.. في نهج العلاقة المقدسة..

"..ردت مستغربة: ما كنت أظن أن الإنسان المتفتح يخالف نفسه
فيبدو رجعيا في موقف كهذا . "ص141.

"التعبير عن الإحساس بأبلغ اللغات لا يوصل من حقيقتها شيئا."
ص146.

إنه الحب وفي أعلى مراتبه العشق الذي لا يمكن أن يكون شهوانيا،
ينتهي بمجرد انقضاء الرغبة والتمكن وقضاء الوطر، ثم ينتهي الأمر
وفق العادة والملل، ويبقى بعد الخلاص من الأجساد المتحللة وهو
البقاء الأزلي، الذي يجعلنا نتحمل الدنيا ومشاقها لنترك كل شهوة
فيها، فقط لنلتقي ومن نحب.. كل المصاعب لا يمكن أن تفرقها كلمة
أو موقف أو غضب..

وراح يهذي مع نفسه " كعاشق خط سطرًا في الهوى
ومحا."ص148

فإن الشهوة سعادة وشقاء مقيم .. "أيها القلب الذي يعذبني، سأصغي لك هذه المرة بطريقة مختلفة .."153.. ثم كان القرار " وستعبر صابرة وإياه الصحارى والرمال وستشوق به لجج غير هيابة.."
..183

فهو عيناك اللتان ترى فيهما النور .. إنه الحب الذي يكون البصيرة للقلوب المنيرة " أقفرت الجامعة صار كل مكان فيها موحشا، وكل سبيل فيها تائه."214..

ليقوم أديمه بالوحدة التي سلخته عن الوجود.. " سقطت من عينه دمة ساخنة على خده فمسحها وهو يقول: لن أتخلى عنك حتى لو تخلت روحي عن جسدي."215.

وهو موقف إيجابي لم ينته بالانتحار أو الهروب وليقابله موقفها بعد كل ما خاضته من تعذيب.. " إنه ليس المسيح فحسب، بل هو ملاك هبط من السماء إلى الأرض، برسالة لزمان محدد ثم عاد إلى سكناه في البيت المعمور.. "236.

" و أما ابتسامتها فلم يدريا لها سرا."242..

ولا يمكننا أن نغفل تلك الحقيقة التي وضع العتوم مجهره عليها، وهي من الخطورة بمكان أن نتجاهلها، فإن لم يكن كل فبعض ما تحفظه عقول الأجيال في مدارسها، لا يعني ولا يضمن من جوع، فتكون هنا اللقمة السائغة والفريسة السهلة، للأطراف التي لها مصالحها في استمالة القلوب الغضة، فكانت المرحلة الجامعة أكثر وفرة في تعدد المصادر دون رقيب، و هي بحد ذاتها تتوقف في معظمها على التلقين والتعليم الأكاديمي، منسلخا عن الممارسة الحياتية، ولمسار المنظم

في البناء الفكري، فتكون هذي العقول جاهزة لملئها بأي شيء وأي

، وهذه حقيقة لا يمكن أن نقف مكتوفي الأيدي عنها وهي حقيقة ملئ الكأس بما في إفادة الأجيال التي هي حاملة الراية

فكر، وهذه حقيقة لا يمكن أن نقف مكتوفي الأيدي عنها وهي حقيقة ملئ الكأس بما في إفادة الأجيال التي هي حاملة الراية، جنود المستقبل وبناء حاضره، أو التخلي عنه وتركه لمواجهة مصيره.. " لا يحرق بالنار إلا رب النار) حاول أن يتذكر ما قراه في المدارس لكي يبقى على الحياة التي بدأت تنقلت منه شيئا فشيئا.. " النقطة الخطيرة أن ضعف الخطاب الديني المدرسي، والذي لا يؤتي أكله، بل

على العكس ربما سيسارع في إضرام النار في الهشيم، الذي ما أينعت أوراقه بعد ثم تبدأ رحلة التفكير والبحث في الجامعة، بصورة القائد والأتباع من قوة الشكيمة والحجة ..

ويبقى أن نحيّ الكاتب العتوم على هذه الوثيقة التاريخية التي أمضى فيها قلمه، عبر 245 صفحة من الحجم المتوسط، فكان كحد السيف ولكن بعقلانية ومنطق...

[رجوع للفهرس](#)

قراءة في رواية منافي الربّ

لأشرف الخمايسي

لقد تسنى لي في الآونة الأخيرة، قراءة رواية "منافي الرب" والتي

بودي أن أظهرها

للقارئ بإحساسي

الأدبي بها، كقراءة

تمعت في السطور

والحواشي وبطائن

السرائر

للشخصيات، التي تلاعبت بخفة بإعجازية بالحبائل الروائية، لإنتاج

عمل ضخم في القيمة الإنسانية، كانسان بعث ليسود الكون ويستخلف

في الأرض، لم تأت الشخصيات الرئيسية الثلاث "حجيزي وسعدون

وغنيمة"، هكذا عبثاً "فحجيزي" مر بأطواره الأولى بأريحية كاملة،

فكان الإنسان منذ أول الخليقة، وكابن، و زوج وأب وجد، مرت

بأطوارها بأبعاد ممتدة، كان الإنسان الرافض لعقيدة الموت كإنهاء



قسري لمعادلة الوجود الإنساني للخليفة في الأرض. وقد أوجد الكاتب بحذاقة صيغ الصراع الفكري بين العقل والروح والقلب، بل وفاقت ذلك لتعنون الربانية بنصية ضمنية من المسؤولية الملقاة على عاتق الوجود الإنساني، والتي جاءت مضمنة لحديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام: " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته". والتي لم تبعد عن المفاهيم الاجتماعية كرب الأسرة أو رب العمل، لإحاطته بأسافين المسؤولية العظيمة، التي صيرته ربا فيها صانعا للقرار، و محركا للعملية الإنتاجية، ومتابعا لها وإن اضطر الكاتب بأن يوجد ما قد استفزه في فكر القارئ، الذي قد يعيب إيجاد هذه اللفظة وكيف يكون الإنسان ربا؟؟ وهو غير قادر على الإحياء والموت، بل هو الفاني بعفونته.

ثم ماذا؟؟ لتكتمل الصورة التي استعصت على الموت بعقودها المائة، لتؤذن في أذن "باكير" وهو الصورة المنعكسة للقارئ الذي لا يقوى على تغير البداية أو النهاية، بل يمثل بطواعية الاستجابة، دون أن يوجد تأثيرا ولو بقيد أنملة، بل سيكتب له أن يتم إثباته للنهاية المحتومة على البشرية بالموت، ليحفر القبر بكليتي يديه وإن لم تكن هناك حبة برتقال أو أيا من زهراته. وليكون "حجيزي" الابن لمحظ

كائنات الله، والذي تتلمذ على فنية وآلية التحنيط (التبريد والإزالة الكاملة) لما في الجوف، كل شيء ليمثل الكائن مثولا بلا نفخة من روح، لتتقلص لديه المشاعر والأحاسيس، بل لتختنق بكل مقوماتها.. لذتها ومتعها، وليكتمل المشهد بتحنيط إنسان ما أوضح التاريخ تبعة وجوده الزمني، لكنه رصد شاكلة من الشخصية الفارسة والحصان كرمزية للعصور المتلاحقة على الأرض المصرية، كل ما في الجوف

أدركه ليرصد رغبته في

البقاء مع الأحبة ولو

بصورة، لكنه أضفى

ظلالا باردة، على حياة

"حجيزي" الزوج الذي لم يتمكن من القيام برجولته مع "سريرة"،

الزوجة التي مثلت المرأة الراضة للقيد، الراغبة بالتححرر باختيار

شريك الحياة، وإن مقتها المجتمع لرغبتها الطافحة، والتي منعت من

القيام بها لبرود "حجيزي" كرهه للذات الإنسانية، وإن كانت الشهوة

عوانا لها، ولم تتمكن سريرة المرأة التي طفحت الشهوة من تغير

أيدلوجيته على مدى عقود، وقد اكتهلت فعليا قبل "حجيزي" على

الرغم من سنها الصغيرة، لكنها ماتت من قبل ومن بعد له ، وهي

الزوجة التي مثلت المرأة الراضة للقيد،
الراغبة بالتححرر باختيار شريك الحياة، وإن
مقتها المجتمع لرغبتها الطافحة

مدعاة في استفزاز آخر لصورة المرأة التي قمعت نفسيا وجنسيا واجتماعيا، على الرغم من الإطالة الخافتة لمعاناتها، لكنها أضفت سحرا على وجود "حجيزي" واستصراخ الرغبة فيه، حتى النهاية نهاية الوجود للشخصية التي اعتبرت الإسفنجة الماصة لإفرازات الوجود الرافضة، الغريبة و الثورية، وإن كانت منفرة بطول لسانها وكلماتها البذيئة لكنها محبوبة من قبل شخصيتين، سارعتا في تكوين الصورة الفكرية لدى القارئ "سعدون" الشخصية المحبة للولد وهي شخصية الرجل الشرقي، المحب للخلفة وبالذات الولد الذكر، لكنه بمعاناته وان كانت لذيذة بنشوته الجسدية مع "زليخة" المرأة اللعوب وإن لم تظهر كما أراد الكاتب، وقد تعدد تكرار العبارات ذاتها لتلبية وجهة نظره في المرأة اللعوب التي تطمح إليها شخصية "سعدون" لكنها ظهرت برقي أكبر لتضمن الزوجة الطيوب ..المحبة لزوجها واللذيذة قسوتها، لأنها ببساطة تعرف مكانه وتطفئ ناره، وبتضحيتها بتزويجه الأخرى من قريباتها، بعد أن أدركت أنها الأرض البور، ولكنها تبقى الشامخة التي ترفض أن تكون مجرد بديلة، بل تسعى لتبقى الأولى والأخيرة وهذا ضد الصورة القدرية، رغما عن الظروف التي خطتها بمزامنة وإياه، لتموت كمدا.. صقرا لا يقبل

الهوان، لتبدأ هلوسة الشخصية في الصراع بين الرغبة المشتعلة في الزواج الثاني، ولكنه الراض للتخلي عن الحب الأول، ليصير إلى المنتحب بهيجان فقدان، ثم ليبتلى بموت الصيغة الرمزية للحياة بالمرأة والولد، ما أحبه وسعى لمخالفة القدر من أجله، ليحصيه الأخير بفجيرة الموت بالاحتراق جسدا واحدا كعذراء ونبع الحياة، ثم "غنيمة" الشخصية المثقفة التي تسبح بتجربة واقعية بمعاشرة

والشخصية الإنجليز

الراغبة بالتححرر،

بالثورية والمستمتعة

بقراءة صفحات التاريخ،

وتمعن صفحاته الشخصية التي عشقت الحب بالخيال، بكل مفرداته لتصل لقمة الشهوة، والإبحار في الخيال، ثم الشخصية الواقعية التي تتيقن بقدرة الله وأنه مجيب الدعاء، دعاء العبد المكروب في أصغر صورته وأبشع قدرية وجد فيها، ثم "حجيزي" الأب الذي ما طالت يده ولده، بدافعية التعلم ليكون تلميذه في التحنيط، بل لتكون له حرية الاختيار بما يفعله أيا كان، ليكون المزارع البسيط بالرغائب البشرية الواقعية، وليكون الجد المتحرر من قيود الواقع، الراغب في الكمال

، ولكنه الراض للتخلي عن الحب الأول،
ليصير إلى المنتحب بهيجان فقدان، ثم ليبتلى
بموت الصيغة الرمزية للحياة

إله الحب والمجون والشهوة، بالتححرر لسنن الجمال من خلال معاملته لصيغ الخيال والواقع، مع أحفاده وبالأخص "سليم"، لقد قام الكاتب بتشبيح النص بأمثياز وبمهارة فاقت التصور، بجودة أداء الشخصيات الثانوية، التي دعمت النص الروائي بإطلالتها كـ "سعداوي"، والبساطة والحياتية والفجعة بالفقدان و"سكيرة" الإلهام البذرة، لمضمون الحب الشقي. لقد استطاع الكاتب أن يوجد الصور الكاملة

للشهوة لدى المرأة

والرجل بالإشباع الكامل

للصورة، كما تمكن من

رسم صورة بلاغية غاية

للشهوة لدى المرأة والرجل بالإشباع الكامل
للصورة، كما تمكن من رسم صورة بلاغية
غاية في الجمال،

في الجمال، استفزت المفارقة فيها في إضفاء نوع من التشويق

لمعرفة ماذا بعد؟؟ لم تأت "منافي الرب" رواية عبثية، بل رواية ذات

رؤية نوعية من التححرر الذهني لمفردات الموت بذاتيته لا بحتميته،

لأنه النهاية لمكونات الكون كله، الموت بالهروب من الواقع، الموت

بالضياع، الموت باسم الدين، أو حتى باسم الرب، إنها المنافي التي

يوصدها الإنسان على نفسه بسراديب غير منطقية، ليس الدين القيد

بل الدين الإبداع والتحرر، من قيود فرضها البشر أنفسهم. هذه

الانسيابية والتنقل النوعي في ظروف الرواية من البادية إلى الريف إلى الحضر إلى المدينة بأسلوب مفصل لذروات الحياة وبساطتها، رواية "منافي الرب" رواية غاية في الجمال، ولعل نشرها عالميا بكافة لغاته هو تحد للمترجم بالانتقاء الدقيق للفظ والمفردة والقدرة التصويرية والبلاغية لتوضيح الصورة. لم أكن سوى قارئة للنص الأدبي الذي تمتعت وأنا امخر عباب صفحاته وكأني اعتاش اللحظات بنشوة ولهفة.

[رجوع للفهرس](#)

رسالة إلى الحكيم من المرأة التليمة



لعل كتاب يقظة فكر
وما هدانا فيه إلى
سبيله العلامة
الحكيم، هو ما
جعلني أخطو
بخطوات وئيدة

باحثة عن الحقيقة التي طالما أضر بها الإعلام والأدب بإسفاف
ووضاعة، لنرى أسفل سافلين من الطرق الفكرية التي أفضت إلى
خلق سحابة من الضلالة بل غشاوة من التفكير المشوش لكينونة
المرأة العربية واعتبارها خيمة حمراء وحسب. إن ما استعرضه لنا
الحكيم في كتبه يعني بالضرورة عصفا فكريا لكافة أوجه الحياة
نصوصا وحواشي، وإني كما رأيت النساء إجحاف الحكيم لحقهن في
بث الروح في صورة خواء بلا رحم ولا أنفاس للبعث، وجعلتني بذلك
استنكر العقل في النقاش، ولكني يقينا عدت أدراجي أرمق بشق ضئيل

من النورانية لفرضية النوايا الحسنة، بقراءة سريعة لما وقع بين يدي من نصوص، يائسة ولو قدر لي على عجالة من الزمن لمضيت للحكيم محكمة رباطة جأشي وتروسي ومشهرة سيفي بالحرب، ولكن ما كبني ما وجدته من تفرد و عقلا نيته وأسلوبه في النسق الحوارى البعيد النظر والمتسم بالعمق، جعلني أصيخ السمع مستجمعة الحواس تلميذة لا مقاتلة.

فوجدتني أمام حالة نادرة من الأساليب التربوية التعليمية عالية الثقافة بعيدة النظر فلا كلمة قد وضعت جزافا ولا أشير هكذا جدلا لصورة رمزية تستشعر مكنونا من مكنونات النفس الإنسانية، فعدوت صغيرة أقف على استحياء أمام عالم نفسي ونحات لغوي، فما تمثل

أمانا من نصوص حول

علاقات إنسانية أبطالها

بالتواجد الطبيعي الرجل

والمرأة، فلم تسقط سهوا

بل بكافة صورها مُحترمة الشكل والمضمون كامل الاحترام، فما أشار

لها منتقضا من إنسانيتها قط، فكانت في كتبه ترتدي سترا محتشما

من الخلق وليس جسدا يباع ويشرى أو وصفا جنسيا تباع الهوى،

فوجدتني أمام حالة نادرة من الأساليب
التربوية التعليمية عالية الثقافة بعيدة النظر فلا
كلمة قد وضعت جزافا

لكنها نص فكري له شخصيته الاعتبارية غير منقوصة بل تتمتع بكافة أوجه الاحترام.

إن ما عمد الحكيم إلى إفراده في نصوصه عن المرأة الشرقية هو النيجاتيف أو الصورة السلبية لها ليعاد رسمها بصورة أخرى أكثر ايجابية، بمحو الخليفة الكئيبة والظل الأسود والرتوش الكثيرة التي تعمد إلى جعلها كومة بئسة من اللاجدوى بل قيمة مهمشة وحسب، ولم يعمد الحكيم إلى جلد المرأة علانية بصف الحروف ونسق الكلمات

بل جعلها صاحبة الحق

في الرد وتغير النمطية

الملصقة بها، وفي هذا

بحد ذاته إبداع لا يستطيع

إن ما عمد الحكيم إلى إفراده في نصوصه عن المرأة الشرقية هو النيجاتيف أو الصورة السلبية لها ليعاد رسمها بصورة أخرى أكثر ايجابية،

فعله سوى سحر الحكيم بأسلوب الصورة الأخرى التي تحكي نفسها، وهي المرأة الأوروبية.

وقد يتبادر للذهن لأول وهلة مدى إعجاب الحكيم بشخصها وتفوقها فغدت من غيرها الطينة والعجينة، ولكن الأمر ليس على هذه الشاكلة بل هو ذو شائكية أقوى وأدل، فان كانت المرأة الأوروبية قد غدت

وديعة النصوص يجعلها المؤدبة فكان الأجدر بالمرأة العربية أن تكون صاحبة الرواية وبطلتها بأسلوب الموندراما، وهو ما صرح به الحكيم باستغناء المرأة عن دورها كشريكة في الحياة الإنتاجية بفكر ووعي، وليست كحالتها التي يرثى لها والتي لا تظفر بغيره تعفير القدمين، وذلك من دور الغيور على المصلحة لا المقرع، فقد تفرد بريادية الحل وهو منح المفتاح على طبق من ذهب، فما أنت صانعة أيتها المتعثرة بحبائل واهية من مكائد المغرضين لحقوقك أولاً؟ ولن يسمى الحل حلاً إلا بالإمساك في زمام الأمور بعقلانية وروية وليس بهوجاء ورعونة.

وبنظرية الإحلال لملئ الكأس الفارغة فلتُملئ بما هو لصالح المجتمع وصالح المرأة على حد سواء، وما عمد الحكيم إلى إظهاره هو قلة حوار المرأة العربية ومآثرتها العمل والإصلاح الداخلي والخارجي على حد سواء، بينما عكسها من صورة المرأة العربية التي اتخذت من المجالس في محيط العمل أو البيت أو أي محيط كان فسحة ضوئية شاسعة للثرثرة والإسراف الفكري في التركيز الحوارية على القشور من لذة الحياة وبهرجتها وترك المسؤولية الأولى لها، في خلق جيل واع أسيادا لا عبيدا، فإن تغلبت الأوروبية بعد صراع دام عهودا من

الزمان بدءاً من النظرة المنتقصة لها على مر التاريخ مسلوقة الإرادة
والحقوق الإنسانية في أبسط حقوق الحياة وهي أن تعامل كمخلوق
صاحب كلمة، فكانت كما أنها لم تكن.

وهل يمكن أن تكون غير الشيطان الذي أخرج آدم من الجنة بأسلوب
روائي ركيك فكلاهما خرج وكلاهما قد أسقط عليه حكم الإغواء من
إبليس الرجيم، ومن ثم الكنيسة والرجس الذي ألصقت عنوة، فهي
الخطيئة ذاتها إلى عهد قريب، وقد سارت بمسيرة وعشاء وقد جردت
من حقها في التعبير عن رأيها بل من أبسط ذلك في مهورة اسمها
بجانب ما قد أبدعت فيه.

ولم تكن أبعد من كونها أمة في المعامل والمصانع مجردة من حقوق
الاحتفاظ بعذريتها وعفافها، جسد هش تدمغه نطف شتى لا أصول
لها ولا مبادئ.

لكنها ما استكانت وما وهنت بل ناضلت وناضلت وأبدلت بعد قرون
من الكفاح تهميشها إلى بروتوكولات دولية تعنى بحقوقها معنونة
بالعدالة والمساواة، فكيف بالمرأة العربية والمسلمة التي ما عانت
أيًا من هذه الانتهاكات إلا في عصر مؤطر بالجاهلية!؟! وقد صبغ

عليها الإسلام مفهوم الإنسانية.. وهو الخلق الأول من نفس واحدة، ثم ما شرع لها حقوقا وواجبات، فكانت المرأة المشاركة في السياسة والاقتصاد بل وفي الحرب، وكانت إحدى أركانها ودعمها اللوجستي ولم يكن ذلك حكرا على المرأة المسلمة وحسب بل المرأة بشكل عام بغض النظر عن شريعتها وديانتها فقد اكتسبت ذات الحقوق والواجبات، ولم تعتبر قط كائنا ناقصا أو فكرا غابرا، وما ورد في

الشريعة شيء يدل على

الانتقاص من

شخصها. وإن لم يكن في

مجال طرحنا ولكن لا

فكانت المرأة المشاركة في السياسة والاقتصاد بل وفي الحرب، وكانت إحدى أركانها ودعمها اللوجستي ولم يكن ذلك حكرا على المرأة المسلمة

بأس من المرور عليه عابرين، فقد كان ورد مفردة الناقصة ضمن إطار محدد ذي حدود وأصول فيه توجب للرفق بطبيعتها الرقيقة وتكوينها الفسيولوجي، أي احتراما لطبيعتها الأنثوية، ولم يسحب إطلاقا على أي من مجالات مشاركتها الحياتية، وهو الذي غال به الراغبين من الانتقاص من المرأة فيه.

وعبر تاريخ طويل أمضت المرأة فيه جلاً وقتها، واشغلتها وشاغلتها وهو الانكماش مسلوب الإرادة والذي يفهم على أنه قاعدة من التفوق

الذكري، و أجده حرمانا مبيتا ضد المرأة لسلبها حقها في التعليم والتنوير، وهو ما توافق مع الامتداد الاستعماري وسياسة التجهيل التي كانت على المرأة والرجل على حد سواء، ولكن إن اختلفت صور تشكيله فالمرأة حبست بين أربعة جدران جاهلة ممنوعة من طلب العلم، وهو ما طمح إليه المستعمر في ولادة جيل جاهل هش مطموس الهوية.

أما الرجل فقد وفر له سبل المتعة بنشر بائعات الهوى والخيم الحمراء والغواني والخمارات، فعدل الرجل عن دوره البناء إلى الدور الرخيص في الوقوع بشرك الحب والعشق المحرم، وبطريق غير طريق الزوجة وهذا ما اتفق عليه الرجال في الإصرار على عدم خروج المرأة (حرمة المصون) لأنه ببساطة أسقط صورة الشارع والغواني بصورة ما يمكن أن يؤول إليه حال الزوجة والبنات، وبذلك كان لا بد للمرأة أن تخضع (لسي السيد) وتبقى تنظر من المشربية خلسة باحثة عن فارس الأحلام، وهنا قصر التفكير ووجه إلى التعبير عن الرغبة في البحث عن الزوج، عن الحب، بوصفه الخيط الرفيع الذي ستتعلق به لتخرج من عنق الزجاجة.

ولعل قضية الحجاب العدو الأمثل للمرأة بإعتباره المقيد لحريتها وحركات تحررها، وعلى الأغلب هو اللاعب المنتقم من شخصها والمتمتع في قمعها ومحق كينونتها، وهو خلافا لما نُص عليه ليحفظ كرامتها قبل عصور بعيدة، فإن عُدّ سلاحا في تجهيلها وقمع حريتها فقد كان في وقت ما وراء حريتها ونهضتها ليس هذا وحسب بل تفوقها على نفسها وهذا موثق تاريخيا للمشكك في دور المرأة الريادي طيلة عصور النورانية.

ولكن ما غرس في العقل الباطن لكثير من النساء على اختلاف طبقاتهن كان خلاف ذلك، فباتت الحرية بالتخلص من القيد وبات القيد هو الحجاب، وإن لم يكن تسليط الضوء على حقيقة الحجاب موضوع

نقاشنا لكنه الفيروس

الذي نجح فيه المستعمر

وعملأوه، في تضيق

الخناق للكبسولة الزمنية

وضبطها وتوقيت انفجارها، حيث أن أول دعوات التحرر من القيد في خلع الحجاب علانية كانت من قبل المطالبات بالتحرر واستكملن

ولكن ما غرس في العقل الباطن لكثير من النساء على اختلاف طبقاتهن كان خلاف ذلك، فباتت الحرية بالتخلص من القيد وبات القيد هو الحجاب،

دورهن بالدوس عليه، وإن كنت أنكر عليهن فعل ذلك يجد الكثيرون ذلك الحدث تاريخيا وتطورا نوعيا في صعود المرأة إلى ساحة الحياة.

وهذا التفكير بالفعل قد أضر بوضع المرأة، فما كان الحجاب هو الذريعة لإقصاء الحرية بل كان عاملا من عوامل نجاح العلاقات الاجتماعية، والذي تقوم عليه أي شراكة فعلية في محيط العمل على

أسس من الشفافية

واحترام الآخر، على

اعتبار أن الجسد هو

جسد مصون لا يمكن

وهذا التفكير بالفعل قد أضر بوضع المرأة، فما كان الحجاب هو الذريعة لإقصاء الحرية بل كان عاملا من عوامل نجاح العلاقات الاجتماعية

تجريده عن العقل والفكر وحسن التصرف.

ولست هنا مدافعة عن الحجاب أو غيره، لكنني أمضي قدما للدفاع عن المرأة بكافة وجهات النظر وفي هذا إحقاق للعدالة والمساواة التي هي أسس أي ثورة فكرية، وقد غدا الحجاب والتجرد منه عنوة قضية العصر، في اشتراط حصول المرأة المسلمة على حقوقها في التعليم والعمل أو التمثيل السياسي.

وعلى عجلة نستعرض النساء بموسعة الحضارات حول العالم، والتي انتهجت رسماً مقدساً لصورة المرأة، وهو ما نجده في الفلكلور الشعبي لأي شعب من هذه الشعوب واللباس التقليدي لهذه الأمم، وقد اصطلح على تسمية الأسرة بالأسرة المحافظة، وما كانت دون ذلك فهي الخادمة أو المنزوع منها شرف الرقي بالعائلة.

وما كان الحكيم ليفرط في طرحه فهو بأسلوبه أرغم المرأة على مناظرة نظيرتها مما رسمه في سطورهِ للعلاقات ذات الدرجة العالية

من القدسية، وهي

العلاقات الزوجية، وأباح

لها أن تنتقد سلوكها

وطريقة حياتها وحوارها

وما كان الحكيم ليفرط في طرحه فهو بأسلوبه أرغم المرأة على مناظرة نظيرتها مما رسمه في سطورهِ للعلاقات ذات الدرجة العالية من القدسية

مع الزوج، وتلك العلاقات الباردة والأسرة الرخامية، و الأجدر بها

أن تكون علاقات ذات كينونة متفردة كأساس للبنىوية المجتمعية.

وإني لأجدني تلميذة للحكيم، أتتلمذ على يديه في الأسس العلمية

لبناء الشخصية وتلقي دروساً عميقة في العلاقات الإنسانية، وهو ما

نحن أحوج إليه في عصر تكالبت عليه مفردات دخيلة تحمل فيروساً

قاتلا، يمضي بمبضعه في القلب الإنساني وموسيقا نشازا عن فلسفة
مجتمعاتنا، ولا يكفينا التمني لنبض الحكيم في زماننا يصوغ أبجديات
الرسالة الأولى لمعنى المرأة في النصوص التاريخية والواقع
الملموس.

[رجوع للفهرس](#)

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة



ما ظل راسخا
حتى يومنا
هذا: "أن الأرض
هي العرض"..
صوّر التاريخ
الكثيرين ممن
قضوا وهم

قابضون على حفنة التراب، ويستصرخ الكثيرون: "أموت دونك.. يا
أرضي وعرضي وأنت عليّ أعلى من ولدي".

أهي مجرد حفنات تراب تنقلها الريح إلى حيث تشاء؟ لكنها ما
تستطيع أن تنقل منها إلى أبعد من بوصة، وإن تحالفت قوى الطبيعة
على جرفها إلى قيعان موات، فإنها تتأبى على الحراك بل تراها
تناضل هنا وتتسمر في مكانها هناك.. هي الأرض والبيت والحببية

والأم، هي كل مفردات يمكن أن تتوشح في حبها حسناء والحنين
دوما لأول منزلي..

الوطن لغةً: هو المكان الذي يسكنه الإنسان ويقيم فيه. جاء في
مختار الصحاح

واصطلاحاً: هو البلد الذي تسكنه أمة تشعر المرء بارتباطه بها
وانتمائه إليها.

أو هو بقعة الأرض التي تولد عليها وتستقر فيها جماعة ما، وتكوّن
هذه البقعة بيئة حاضنة دائمة لأفراد الجماعة مستقلين ومجتمعين .

في اللغة قال ابن منظور في لسان العرب الوطن : المنزل تقيم فيه ،
وهو موطن الإنسان ، ومحلّه يقال : أو وطن فلان أرض كذا، وكذا
أي اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيه .

وعند الرجوع إلى كتب المعاجم ، والموسوعات ، وخاصة السياسية
منها نجد أنها لا تختلف عن المعنى اللغوي .

(أ) ففي المعجم الفلسفي: الوطن بالمعنى العام منزل الإقامة، والوطن
الأصلي : هو المكان الذي ولد فيه الإنسان، أو نشأ فيه.

(ب) في معجم المصطلحات السياسية الدولية: الوطن هو البلد الذي تسكنه أمة يشعر المرء بارتباطه بها، وانتهائه إليها.

من هذا نجد تباين تعريف الوطن من منظور لآخر، لكنها جميعا في

النهاية اشتركت: "بأنه

البقعة الجغرافية التي

يمتد إليها انتماء الإنسان

وجذوره، بيد أني أضيف

إليه: أنه ليس من الضرورة التواجد المادي في الأرض وإنما يكون

الارتباط الروحي والمعنوي هو الأهم.

وفي هذا إنصاف معقول للذين شردوا من ديارهم، من الأجيال

المنكوبة التي وجدت نفسها في بلاد وأراض غير تلك التي دون

مساها في جوازات سفرهم.

أهو ثمن اغترابهم أن نجردهم من حق التسمية وحق الحنين واللهفة

إلى تلك البقعة الصغيرة على الأرض، التي تشغل ملء أنفاسهم

ومشرئبة في حواسهم، وتسري في دمائهم بل ينبض بها قلبهم

الجريح؟؟؟.

فلسطين المغتصبة، بوعد مزعوم لتمثيل حقيقي للوجود الصهيوني بصفة حق مزيف، قد تجتمع عوامل عديدة في حرمان المرء من أرضه ووطنه، وليس بالضرورة أن تكون له الموافقة أو الدراية أو القوة لمقاومة هذا الاغتصاب العلني للأرض أو حق تقرير المصير، ولا بد من ربط هذا المفهوم بآخر قد انسلخ عن الوطن، وهو مفهوم المواطنة والوطنية...

فالمواطنة تعبير قومي يعني حب الشخص ، وإخلاصه لوطنه .
(الموسوعة العربية العالمية)

وتعرف الموسوعة العربية العالمية المواطنة بأنها: "اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن" (1996م، ص 311). وفي قاموس علم الاجتماع تم تعريفها على أنها: مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة)، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق القانون" (غيث، 1995م، ص 56). وينظر إليها فتحي هلال وآخرون من منظور نفسي بأنها الشعور بالانتماء والولاء للوطن وللقيادة السياسية التي هي مصدر

الإشباع للحاجات الأساسية وحماية الذات من الأخطار المصيرية"
(هلال، 2000م، ص 25) 0.

أما التعريف الإسلامي للمواطنة فينطلق من خلال القواعد والأسس التي تتبني عليها الرؤية الإسلامية لعنصري المواطنة وهما الوطن والمواطن، وبالتالي فإن

الشريعة الإسلامية ترى أن المواطنة هي: تعبير عن الصلة التي تربط بين

أما التعريف الإسلامي للمواطنة فينطلق من خلال القواعد والأسس التي تتبني عليها الرؤية الإسلامية لعنصري المواطنة وهما الوطن والمواطن

المسلم كفرد وعناصر الأمة، وهي الأفراد المسلمون، والحاكم والإمام، وتُتوج هذه الصلات جميعاً الصلة التي تجمع بين المسلمين وحكامهم من جهة، وبين الأرض التي يقيمون عليها من جهة أخرى.

وبمعنى آخر فإن المواطنة هي: تعبير عن طبيعة وجوهر الصلات القائمة بين دار الإسلام وهي (وطن الإسلام) وبين من يقيمون على هذا الوطن أو هذه الدار من المسلمين وغيرهم (هويدي، 1995م، ص13).

إن مفهوم المواطنة يتضمن حقوقاً يتمتع بها جميع المواطنين، وهي في نفس الوقت واجبات على الدولة والمجتمع منها:

1. أن يحفظ له الدين.
2. حفظ حقوقه الخاصة.
3. توفير التعليم.
4. تقديم الرعاية الصحية.
5. تقديم الخدمات الأساسية.
6. توفير الحياة الكريمة.
7. العدل والمساواة.

الحرية الشخصية وتشمل حرية التملك، وحرية العمل، وحرية الاعتقاد، وحرية الرأي.

وهذه الحقوق يجب أن يتمتع بها جميع المواطنين بدون استثناء سواء أكانوا مسلمين أم أهل كتاب أم غيرهم في حدود التعاليم الإسلامية، أي تلك الحرية المكفولة لكل مواطن بغض النظر عن دينه أو عرقه أو لونه، بشرط ألا تتعدى إلى حريات الآخرين أو الإساءة إلى الدين الإسلامي.

• الواجبات:

تختلف الدول عن بعضها البعض في تحديد الواجبات المترتبة على المواطن باختلاف الفلسفة التي تقوم عليها الدولة، فبعض الدول ترى أن المشاركة السياسية

إذا هي مفاهيم أيولوجية اجتماعية لا يمكن فصل عناصرها عن بعضها البعض، على الرغم من اختلاف التيارات والتوجهات والأيدلوجيات

في الانتخابات واجب وطني، والبعض الآخر لا يراها كذلك، كاحترام

النظام و التصدي للشائعات المغرضة وعدم خيانة الوطن والدفاع عنه وتنميته.

إذا هي مفاهيم أيولوجية اجتماعية لا يمكن فصل عناصرها عن بعضها البعض، على الرغم من اختلاف التيارات والتوجهات والأيدلوجيات، لأنها تشترك بالشروط والرغبات المشكلة للعناصر الأساسية لتشكيل الوطن والمواطنة.

أم هي حسب المتغيرات الجديدة والصراعات والتهجير القسري التي قد غيرت مفهومها؟؟ حيث أصبح الوطن: هو مكان العمل والمال وهو هوية الولاء والانتماء.

أم أن الفقر والجهل في الوطن أصبح غربة بحضور المادية وغياب الثقافة التقليدية وتلاشي معنى الأرض على اعتبارها الوطن تبعا للمتغيرات المعاصرة؟؟؟

وعلى مر العصور عانى كل من وجهي العملة لمد وجزر وقبول ورفض متمثل بالثورات والنزاعات، ويمكننا أن نعزي هذا نتيجة للخلل الذي أفرزه العجز الاقتصادي في الوطن ضمن بقعته الجغرافية، التي يفترض أن توفر أدنى مستويات المستوى المعيشي للفرد، نتيجة تشغيل الأيدي العاملة بكافة مستوياتها في العملية الإنتاجية، والتي بدورها هي استغلال للموارد الأساسية من العوامل المشكلة للاقتصاد من رأس المال والمواد الخام والتكنولوجيا والوفرة في الأيدي العاملة والوقت والقدرة التشغيلية في التصنيع، وإيجاد مشاريع أممية لتشغيل المقدرات الاقتصادية الأساسية، التي تشترك فيها الدولة كاملة بجميع مؤسساتها، ضمن استراتيجيات وخطط طويلة الأمد والتي تساهم في تعزيز الولاء والانتماء لأبناء الأمة الواحدة، ضمن حدودها الجغرافية وتدافع عنها كمشاريع تشكل الهوية الفردية أولا لأنها تمثل تحقيقا لذاته وذات الوطن معا، بيد أن أي خلل ضمن هذه الأساسيات يعني: إحداث خلل عميق على

المستوى المعيشي على اعتباره المحصلة النهائية، أو انعكاسا لنجاح صورة النماء الاقتصادي لأي دولة.

ولعلنا نعزي أهمية الاستقرار السياسي أو الاجتماعي بتوازنه، القائم على الاستقرار الاقتصادي ومدى التقدم فيه، بتباين أوجه نشاطه المختلفة، والتي قد ترتفع بالمستوى التعليمي أو قد تنتقص منه، لذا

كان من الممكن إدخال

المستوى المعيشي

الأفضل على التعريف

الحديث للوطن، بل قد

ولعلنا نعزي أهمية الاستقرار السياسي أو الاجتماعي بتوازنه، القائم على الاستقرار الاقتصادي ومدى التقدم فيه

يتعدى ذلك ليقدم احترام الفرد وكفالته من البطالة، وتوزيع عادل للدخل والذي يعتبر أساسا في الحكم والتنمية وتحقيق العدالة ومساواة الفرص، الذي يشكل القاعدة الأساسية في استمرارية أي نظام سياسي وتثبيت وجوده مع تحقيق كافة شروط الدفاع عنه من معززات الولاء والانتماء، دون تنمية طبقة بذاتها دون الطبقات الأخرى.

ما عدا ذلك يؤدي إلى إيجاد هوة اجتماعية كبيرة بين الغنى الفاحش والفقير المدقع، مع انعدام التكافل الاجتماعي أو ضمور دوره إلى أدنى المستويات، ولن تكتمل الصورة إلا باندماج فعلي فطري بين هذه المفاهيم جميعها لنخلص للوطن النموذج والمواطن النموذج.

وتبرز هنا مبررات دخيلة لتغير مفهوم الوطن وأهميته ك: وطن بلا مال غربة وغربة بمال وطن..

ويمكن أن نعزي ذلك للعامل النفسي، إذ أن الكدح في إطار البقعة الجغرافية التي سماها وطن دون أن يقدم الوطن أي من مفردات الحياة الكريمة كلقمة الخبز، وأي من حقوق المواطنة.. والتي ربطت دوما بالكرامة، لأنها وإن طُعِمَت بها الأفواه فهي مغمسة بالذل والمهانة، ولن تفرز غير أفراد ناقمين مخربين وهم عبارة: عن خلايا نائمة تسهم بفاعلية في خلق الاضطراب وركوب أي موجة من الفوضى في حال عدم خروجهم طلبا للرزق في بلاد أخرى أو توفير أدنى مستويات المعيشة لهم، وهم إن زادت أعدادهم سيشكلون بمساهمتهم السلبية زيادة في نسبة الجريمة، وهي أول خطوات

ضياح الوطن وتسليمه لعصابات أو قوى هي بنظرهم المخلص من الحالة المزرية التي يعيشونها من تجويع وإذلال..

وعلى الحكومات أن تتعامل مع هذه الفئات ايجابيا وأن تتلمس أوجاعهم وآلامهم وأن تحاول جادة إلى إعادتهم إلى مدارها كلبنات صالحة قادرة على البناء، بل ومشاركتهم مشاركة حيوية في العملية التنموية الإنتاجية.

ولا يمكننا أن نستثني الفئة المتبقية وهي الطبقة الوسطى، التي تشكلت ضمن تسلسل منطقي على مدى عصور قد مضت بعد الإقطاعية والبرجوازية والارستقراطية، وقد قدر لها أن تبصر النور بعد تقلص تلك نتيجة لثورات

وعلى الحكومات أن تتعامل مع هذه الفئات ايجابيا وأن تتلمس أوجاعهم وآلامهم وأن تحاول جادة إلى إعادتهم إلى مدارها

الحقوق المتلاحقة، والتي أضعفت تلك القوى وقوضت مدى سيطرتها

الذي أدى لوجود هذه الطبقة الوسطى، ولكنها نتيجة للضغوط المتعاقبة عليها قد تآكلت في كثير من الدول، وهي بكافة مستوياتها

تحافظ على أولوياتها بالحقا برغيف الخبز، والتي وافقت كثيرا من السياسات الاستعمارية.

مع تلازم نشر سياسة التثبيط عن طريق نشر الأمثال في اللغة الدارئة لكثير من المجتمعات والتي درج على تسميتها لغة الشارع أو العوام، وهو إقرار صريح بعدم جدوى المطالبة بالحقوق أو التغير الفعلي الذي يمكن أن يشكل سياسة الخنوع والإذلال وضمان التبعية، لأن حصيلة التوزيع العادل للوفرة المالية والازدهار الاقتصادي، هو رفع المستوى المعيشي والتعليمي وزيادة مدى وعي المواطن بحقوقه وتوسيع أفقه، ليتعلم المزيد ويطالب بالمزيد وفرصا متوهجة لعصر من الازدهار الفكري والعلمي والأدبي، والذي يفرز وعيا للمواطن رفع وعيه السياسي .

ومن جهة أخرى نتساءل: هل يؤمن العمل أو الارتزاق في بلد غير الوطن لقمة العيش الكريمة على اعتبارها مفتاح الكنز؟ وهل يمكن التجاوز عن أي خلل في ميزان الحقوق والواجبات لضمان أمن الوطن؟؟؟

وقد بقيت معاناة الشاعر تحكي قصته في أبيات ما زادته إلا إيلا ما
من قلب موجوع ووطن ملتهب بين ثناياه..

بلادي وإن جارت على عزيزة .. وأهلي وإن ضنوا على كرام

بلادي وأن هانت على عزيزة ولو إنني أعري بها وأجوع

ولى كف ضرغام أصول ببطشها وأشرى بها بين الورى وأبيع

تظل ملوك الأرض تلثم ظهرها وفى بطنها للمجدبين ربيع

أجعلها تحت الثرى ثم أبتغى خلاصا لها؟ أني إذن لوضيع

وما أنا إلا المسك في كل بلدة أضوع وأما عندكم فأضيع

[رجوع للفهرس](#)

نفر من الجن...خروج عن المألوف ..واستقراء إلى ما بعد المستقبل



"قرأ السورة كاملة وأنا أردد خلفه آية آية..ثم انتحى جانبا ونظر إلي متحديا ونظر إلي متحديا ومتشوقا في الآن نفسه: "هه..والآن هل يمكنك أن تعيدها كاملة". 46"

عندما تذوبك النسائم الحارقة لتلفحك

أخرى باردة، فتتمثل بين كفيها تمثالا

شمعيا بلا حراك.. وثم تسوقك انهيارات من تلك الأوتاد المعانقة

جباها البيوت المتدلّية من السماء.. فتصير لزجا تارة متهشما

تارات.. وأنت أنت ما زلت غير مدرك لما أنت كائن فيه.. نحو الجرف

كان انحدارك دون أن تتصاعد أنفاسك المحترقة.. والوهج مازال

ينظر إليك بعين ثاقبة..فأنت حينئذ بطل في ملحمة.. في فن الهزيمة

ولعبة الحرب..

ففي لعبة الحرب دوما هناك خاسر، وفي اللعبة ذاتها يحق للمنتصر أن يدون كل شيء بلغته ووجهة نظره ومن حقه أن يستخدم ما يشاء من أسلحة محرمة، لأن الحرب لا شريعة لها ولا قوانين، فهي اعتداء صريح على حياة إنسان مسالم أعزل وسيطرة على مساحات من الأرض بطور جديد من الاغتصاب...وبين الضدين أزداد كثيرة وتجار كثر ممن تصيدوا فن الطيبة لبناء أسطورة الظلم والجبروت،
مهما كلفهم الثمن و لو

تحالفوا مع الشيطان
بذاته أو مع تلامذته من
الجن الكفرة..... إنها

ففي لعبة الحرب دوما هناك خاسر، وفي اللعبة ذاتها يحق للمنتصر أن يدون كل شيء بلغته ووجهة نظره ومن حقه أن يستخدم ما يشاء

رواية نفر من الجن..

وهاهي نفر من الجن تدون رواية فريدة بأبوابها الثلاث.. لتتقلنا ببراعة من نص إلى فهم إلى إدراك وتصور واستقراء إلى ما بعد المستقبل... فهل يبقى الصراع محدودا بين فرق تجاوزت عالم الإنس، أم بين الأزداد جميعهم، ليبسط أحد الفريقين سيطرته على البسيطة.

الروائي أيمن العتوم و قبضته الساحرة أفردتها فنا روائيا غريبا في سطور، كل منها يمثل عالما فريدا ضمن شروط ومنهجية.. فهل كانت آسيار هي من تحالفت مع عابد ومن ثم اقتادت مسعود؟ هل كانت

الجن لتحكم شرورها

وقبضتها لتتصدر

مسارات الرواية؟؟ لأن

الشر حقيقته وحش صار

كلما ذاق الدم اشتهى المزيد، ولما تتبين النفس التواقفة للفجور معنى شهوة الدم تُغيب كل المبادئ فلا يصير غير الشهوة عنوانا

كلما ذاق الدم اشتهى المزيد، ولما تتبين النفس التواقفة للفجور معنى شهوة الدم تُغيب كل المبادئ فلا يصير غير الشهوة عنوانا، ولها صور عديدة فإن كان عابد ذاك الشيخ الذي تواطأ مع آسيار من عالم الجن، شهوته للنساء والسلطة، فلا لشهوة النساء رادع، أتمها مسعود مشتها للسلح والسيطرة .. للقوة.. للذة القتل والتدمير.. كل من شخصيات الرواية لها شهوتها التي لا تجد وازعا أخلاقيا ليردعها. وآسيار بحد ذاتها كانت شهوتها الانتقام ..

فمن أيّة عفة وطهارة نبحت بعد هذا كله...؟؟

إنه (رضى) الذي عاهدته الجن المؤمنون ليحرر الأرض من براثن الشر وسواقيه ومنابعه.. ولكنه في لحظة انتشاء ووحدة مع الخالق، يضع فرصة النورانية لجميع شعوب الأرض التواقاة للطهارة.. ليتعهدا لمسعود الذي يتم نور الضلالة والبؤس والفجور والشقاء..

وهل صراع القوة الأرضية بأنسها وجنّها من كفر منهم ومن آمن يكفل السيادة والسلطة لتقضي في أمر من وطئت قدمه على البسيطة واستقام؟؟ وأين الكلمة الإلهية من هذا كله؟؟.. لمن الملك اليوم قل لله...

"من بعيد بدت الجبال تلبى نداء المشيئة الإلهية، تدرجت قممها أشلاء أجساد أو بقايا أسلحة كل ما على القمم أزيل، كأن قبضة جبارة هرستها ثم رمتها بعيدا، وردمت فوقها كل شيء.. هل كان هذا غضبا أم رحمة؟ لا بد أن ظاهره الغضب وباطنه الرحمة، إنها مرحلة جديدة من الحياة تنتظرنا" (هكذا هتف زوبعة في نفسه.. ص390..)

لم يكن بيان العتوم لشخصياته إلا بيانا جليا وقد جعل لكل منها صعيدا من البلاء، فعابد على سبيل المثال، ما كان الجنس والعهر إلا عنوانا

واضحا لحياته كلها، وكانت هذه انعطافة جديدة في النص الروائي للعتوم بحذاقته الروائية، التي بنى فيها مشهدا كاملا لا كلاما مشكوكا بالشهوة وحسب، العتوم بعد أن كان للحب ناسكا يفرض الحب الروحاني في أجمل تصاويره، وفي نفر من الجن جاء بالصورة الكاملة التي لا تتحقق

وكانت هذه انعطافة جديدة في النص الروائي للعتوم بحذاقته الروائية، التي بنى فيها مشهدا كاملا لا كلاما مشكوكا بالشهوة

دونها، وبذلك كان تميزه،
فمتاريس الفناء الروائية
لمفهوم الجنس و الشهوة

والإسراف فيها نصا إباحيا لا جدل فيه، كان كتابا نقيا أبيحت فيه الشهوة لبيان الصورة واستقراء حقيقتها.. "استرخى وراح يحلم مفتوح العينين، أخذته ذكريات الأيام العصبية، تذكر كيف أنقذت آسيار حياة القافلة، عاد إلى طعم القبلة الأولى غاص في تخيلاته، فجأة تنهى إلى سمعه" الشهوة فح الشياطين." جاءه صوت أخيه. رد عليه دون أن ينبس بحرف: تركت لك ظهر الملائكة، هل من الضروري أن نكون متشابهين!!". 96.

“ستجد أن عدد الرايات مئة، ادخل ذوات الرايات غرفة.. غرفة،
وعاشر الحساء التي تتلوى على سرير الشوق فيها وفي الغرفة
المئة، ستكون فرات بانتظارك "95..

"صدقت آسيار هذه الرايات الحمراء كما قالت تتدلى من فوق الأبواب
وهي تقطر شهوة، مشى الفحل واثق الخطى ودخل الغرفة الأولى،
فوجد المحظية قد نضت ملابسها وهي تدعوه إليها بشغف، ضاجع
تسعا وتسعين امرأة!! 97..

وهل كان كل هذا السخاء دون شروط، إنها اللعبة الكبرى التي لم تعد
نصوصها غائبة عن الأذهان سنكون بجهلنا مباركين، لم تكن لعبة
عايد وآسيار فقد ولم تكن حkra على مسعود وآسيار وبلعام فقط، إنها
لعبة الدول والحكام والقيصرة، إنها لعبة الواقع المرير، الذي ما
رهانه إلا على الشعوب الميتة..

“لنرى ما شرطك.. أعرف أنك تقدمين القبول بالشروط على بنود
الاتفاق" ..

ولكن الشروط وقتما يستفحل الأمر تصبح تقليدا وتكون نتيجتها صفقات مشبوهة، وحبل المشنقة متدل من عليّ.. على المشتهي فقط أن يحكم لفه على عنقه .. " صدقت.. ولكن عهد الشروط وليّ.. سأعرض أنا عليك الصفقة فإن أعجبتك نفذت الشروط" 118

ولا يكون الثمن إلا من أعز ما لديك وأقرب إلى شرايين قلبك.. لكي لا يفيدك الندم عندما لا تجد طوق نجاة.. وهو الواقع في الاختلاف الكبير بين الشيخ صالح وبين الشيخ عايد كل له قبلة هو موليتها، فاستبق الشيخ صالح الخيرات واستبق عايد الخطيئة، فإن لم تنفع الشيخ صالح تلك في نجاته من قتل أخيه له.. "أخي الشيخ صالح ما باله..؟! (رد وهو يبتلع ريقه من الخوف مما سيأتي) تلقي به في البئر التي ألقيتني فيه عندما كنت آسيا..!! 119

وتسول له نفسه قتل أخيه.. " تحسدني !! لا شك أن قلبك يأكل بعضه كالنار من الغل.. 128..

ليكون رد أخيه.. "المجد لا يبني على أكتاف الآخرين يا أخي...!! خدعتك الشياطين يا مسكين حين تهب الريح على كل هذا

الذي تسميه ملكا لا يزول، ماذا سيتبقى منك او لك؟ لن يبقى لك من
المرء إلا الذكر الطيب."128

أتراها تجارة الطيبين هي الخاسرة؟؟ القلب الطيب والذكر الطيب..
والشر مفتاحه بسيط أن تكسر طوق
البراءة..القواعد..القوانين..التقاليد، لتكون اللذة عارمة.. فليس
صالح ولا شروف ولا رضى هم المقصودين بحد ذاتهم، لكن بما
يمثلونه من منظومة قيمية بمقدورها أن تستحوذ على التقديس
والقبول المجتمعي، وبقتلهم يكون بناء إمبراطورية الشيطان أكثر
جدوى، بعد إفناء المسميات.. ويكون التاريخ حينذاك بقلاع وقصور
وامتداد في البر والبحر، إلى أن يجاوز ما وراء الأفق، إلى البعيد
البعيد.. حيث لا تغيب الشمس عن الملك.. ملك في رمال تبنيه الجن.
"العفاريت تشق الأنهار وتسقي الأرض البوار، الجان يبني الأسوار
والمردة القلاع ...أريد أن أرى أعظم مملكة، تبني خلال ستة أيام لا
يصل إليها أوسع خيال بشري..."122

ومن أشد من هؤلاء كفرا؟؟ من يريد أن يشابه خلق الله.. وإطفاء نوره.. ،بإتباعهم الطاغوت ولكن الله هو مالك الأكوان ومن فيها، وقد سبقت كلمته.. " بعد ستة أيام انتشرنا في الأرض وسرنا في مناكبها، نبحث عن رزقنا وعن تحقيق آمالنا، بعضها قد بدا عصيا على التفسير ...وبعضه كان جديدا أوحى لنا به نفوسنا القارة بين جنبينا." 391

وهل يكفي ما فعله عايد من انصياع تام لمطالب آسيار لتطمئن وتركن ساكنة في قلعة نارها..؟؟ "سأجعلك تنفرد بحكم هذه المملكة وحين تظن أنك قادر على كل شيء، سيأتيك البأس من كل مكان..وهو عذاب لا ينتهي" .."37

وهل يكفي ما فعله عايد من انصياع تام لمطالب آسيار لتطمئن وتركن ساكنة في قلعة نارها..؟؟ "سأجعلك تنفرد بحكم هذه المملكة

هل كان الخوف ما يكفيه؟! لكن الخوف يمكن تجنبه، إلا إذا كان مصدر الخوف هو جلد الذات وضريبته العقاب .."على أحدنا أن يموت من أجل أن يولد الآخر" 37 .

إنها لعبة السياسة وانصياع ساستها في تمثيليتهم لسيناريو
الصالونات الاستعمارية.. ليتحركوا كدمى على مسرح جلُّ مشاهديه
جوعى...

"ما الخطيئة التي تستوجب كل هذا المد المتتابع من اللعنات!!.." 99
"أكله الجرب في البداية فصار يحك جلده، حتى تفسخ وسال الدم منه
... يضع القطران الأسود على جلده المتفسخ فيها قليلا... صار القيح
ينفر من جسده سيلا يملأ أنفه وعينه... 100"

.... "بهينة كلب أسود مألوف المنظر.. كان الشيخ إذا رآه يستكين،
ولا يستطيع أن يفعل شيئا، يعرف أن المقاومة لا فائدة منها .. يقضم
الكلب إصبعاً من أصابع الشيخ يلوكها ثم يقذف ما تبقى منها في
وجهه... ذعر الشيخ عندما رأى عضوه قد أصابه ما أصاب جسده،
ذهبت فحولته في لحظة غادرة بكى مسح دمه.. هجرته
النساء.. 101"

لم يكن مسعود ليبقي لذة الانتقام في صدره، الانتقام لجسد أمه الذي
امتهن العهر لعاید ليعيش الولد على حسابها، ترضى الأم البائسة بأن

تكون عاهرة لترتحل فوق الأمواج بابنها الصغير ثم ترضى أن تكون واحدة من محظيات عايد.. أوليس لكل هذا ثمن في نفس مسعود التواقة لقتل الماضي بل ودثره..؟؟ " ..بعد ثلاث سنوات رآها (عايد) في إحدى جولاته على المزارع فخطفت قلبه، كان في تلك الأيام مغرماً حد الهوس والجنون بالحبشيات، كان مستعداً ليركع أمام جسد يلمع سواده على ضوء غرفة خافتة تمارس فيها كل الرذائل "116.. لتستعطف الأم لابنها.. "قالت الأم: وابني يا سيدي؟! "ما شأنه؟! لن أتركه هنا أجابته.."

وابنك معك يا أميرتي"
نظر إليها وعيناه تقطران

حد الهوس والجنون بالحبشيات، كان مستعداً ليركع أمام جسد يلمع سواده على ضوء غرفة خافتة تمارس فيها كل الرذائل

بالشهوة."116

فيصبح ابن العاهرة إلها يحي ويميت، ليشهد كل من حبا على أربع أنه إله قادر على أن يفني كل شيء بقولة منه وحسب ..

نفر من الجن جين قرآني فالاستناد للرؤية القرآنية تميزت بمشدهه .." وكان مسعود يقول : لقد أوى إلى أحد الكهوف ليناجي السماء وسيعود بعد أربعين يوماً."100.. " من غرائزهم لما هبطوا من

عليائهم"125!!..."أترى هذا الملك العظيم؟ ما أظن أن يبید هذا
أبدا.128..."و حدد يوم الزينة.."76..."لم يخلُ عالم الجن من
التكنولوجيا والتفوق النوعي...ويحتاج المصراع الواحد منه إلى
عصبة من الرجال الإنس ليفتحوه، ولكنه كان يفتح
بالبصمة..124..."... "الأسماء كلها.."156.."وقال لي اقرأ فقرأت
خلفه، قال لي: هذه الكلمة السر من قرأ انكشف له السر لم اقرأ إلا
ما قال لي.."158.."تعلمنا منطق الإنس والجن والملائكة
والحيوان.."161. " سهل الحصان وتحرك من تحت قائده... لم
ينج من الرحيل أحد.."

163..."نحن محتاجون

إلى أربعين ليلة مثل تلك

الليلة، لتعلم العلم الكافي لمواجهته.."161 "أن تتخذ لك

حواريين.."180

وقد جاوز النص المنظور البشري ليرتقي إلى أسلوب الأسطورة.."

قيل أن روحا بعد شهر خرجت من ذلك الوادي، وهي تنشد كلمات

على إيقاع حزين ترثي بها ما آل إليه الحال في المملكة، وتستنهد

الملك الغائب أن يعود .. وترفع الروح بالنشيد ثم ترفع صوتها حتى يتوافد الجن، فيجلسوا في صفوف متراسة على طرفي الوادي يلقون بهاماتهم على صدورهم وهم يبكون لما يسمعون.. "134.." خارت بصوت الزعيق وأسلمت الروح، لكن دون قطرة دم واحدة.. "136... الأرواح التي ودعت الحياة أدركت في لحظة الفراق، أن كلمة إيمان واحدة قادرة على أن تخلصهم من هذه النقم.." 141.

ولم تكن نفر من الجن لتخلو من قانون الجهل وهو قانون الخزعبلات.. " بعض النساء هوين على قدميه يقبلانها التماسا للبركة، أخريات مددن أيديهن إلى جيوبهن وأخرجن بعض الأقط لتزداد كف الإمام مسحا على ابنها فتزداد البركة، رأيت الإمام اللعين يمسح بتلك اليد اللعينة على رأس الصبي وتهوي لتصل إلى صدر أمه ناظرا نحوها بعينين تبرقان شهوة ..55.." والقضية الأشد خطورة هي تدين الملاعين الذين يتخللون الصفوف بنصوص وتعاليم يحرفونها بأيديهم ليشغلوا الناس بشائكة الفتاوى، بل ويلعبون دورها هاما في تجيش جيل غض بمفاهيم متطرفة وإرهابية تززع ثقتهم

بأوطانهم.. فيميلون كل الميل لإزهاق الرواح وإقامة دولة العدل التي ما أقيمت إلا على كذب وهراء.. ومثل هؤلاء أشد فتكا بنسيج الأمة من غيرهم من أعدائها.. "في صلاة الفجر الأولى صلى خلفه ثلاثة، أحدهم (علام) قرأ الفاتحة فلحن في كل آية، ثم بدأ بالقصار من بعد، فلم يتم آيتين من سورة الناس حتى ارتج عليه.. هذا ليس بإمام... لو صلى بنا (رضى) لأتقن الصلاة أكثر منه... يا سيدي لو صلينا خلف شيطان لربما قبل الله صلاتنا أكثر من صلاتنا خلف هذا المعتوه 56" ..

وأين رضى من هذا
كله؟؟؟ طفل فقير رث
الحال، طاهر القلب،

.. ثم تطور مفهوم الأسئلة فقد أصبحت أكثر
جدية وشائكية " ألن نستخدم الصواريخ
العابرة للكواكب

صافي الذهن، أسئلته البريئة بدأت منذ نعومة أظفاره :- " لماذا يركب
التيس العنزة؟ تساءلت مندهشا.. وهذا الديك أيضا يفعل هذا من أجل
أن تستمر الحياة؟ "38.. "والرجل هل هو للذكر من الجن والإنس
والمرأة هل هي للأنثى من الجن والإنس؟" .. ثم تطور مفهوم الأسئلة
فقد أصبحت أكثر جدية وشائكية " ألن نستخدم الصواريخ العابرة

للكواكب أو الحرب الالكترونية أو الحرب الجرثومية ... والصواريخ
العابرة للكوكب استخدمها الجن قبل ملايين السنين.. " 180

"كانت الأم مازالت تراقب المشهد، رأيت دموعها تسيل من عينيها،
انحرفت الصورة في ذهني، ولم أتخلص منها طوال حياتي.. " 42 ..
"من يدلني عليكي شروف حيث لا نور إلا نور الواهب.. " 51 ..
"حفظتها من أول مرة قاطعتهما ... أنت جني، غير معقول أن تكون
بشرا.. " 61 .. وفي كل ثانية من حياته يكون اغترابه وذاته التائهة
.. هو من وابن من؟؟؟ .. ليجيء الاعتراف من أم سليم.. " إنها ابنة
ملك يبرين الكبرى وجدتك إحدى ملكات الجن.. " 144 .. "هل أبي
حي أم ميت ..؟ غاب أبوك عن البيت فجأة، الناجي قال: أن الشيخ
عايد قد طلب أن يلتقيه في مكان بعيد.. " 144...

.. إنه ابن الشيخ الورع صالح .. وهو على العكس تماما من سرمد
ولد عايد.. الذي كانت كل الخطايا من أجل أن يكون الوارث لملك قد
بنته الجن فينتهي.. أمره بأمر الجن .. وهذه هي الحقيقة... " سأسميه
سرمد حتى لا يموت.. " 107

"ولم تنل عصا المقرئ من أحد كما نالت من قدمي سرمد، لم يكن يحفظ آية واحدة من كتب الله ولا بيتا يتيما من الشعر.. " 24... "
ازدادت رجفته وراح يهتز كورقة في مهب ريح عاصف، فتح فمه على اتساعه وصرخ صرخة انشق لها سكون الفضاء.. "
28... " .. لينتهي أمره على يديّ الإمام .. " جاؤوا بالولد موثقا .. بزغ من الأرض جذع نخلة جرداء... همهم الإمام بكلمات غير مفهومة من جديد .. السحر والسحرة " هيز امرا هوه... بدأت صرخات الولد .. صاح .. استجد... نزلت الأفاعي من العصا .. دخلت من منخره وخرجت من آخر، راح القيح يخرج من آذانه وانسكب القطران من عينيه، بعد ثلاثة أيام شاهد الصبية

سرمد مشنوقا تتدلى
رقبته من إحدى النخلات
عند البئر العذبة... " 65-

لقد داعب العتوم مشاعرنا وعقولنا بما ألفته
نفوسنا من حقائق، وأرفقها بصور فنية رائعة
ضمنها السكينة في المبادئ

..70

لقد داعب العتوم مشاعرنا وعقولنا بما ألفته نفوسنا من حقائق،
وأرفقها بصور فنية رائعة ضمنها السكينة في المبادئ .. كالحجر

الأسود وماهيته.. " اقتربت من الحجر الأسود درت حوله دورة كاملة، قبل أن أتوقف من جديد، نظرت إليه مليا مسحت على جانبه الأملس ففاحت رائحة مألوفة بالنسبة لي... "47....." في أحد الأضلاع المثلثة ويضع حجرا أسود.. لم يكن يعرف سر الحجر غير (أصر) هذا و(آسيار). حجر لا يدري أحد من أين جاء، ولا كيف تشكل.. "124..

في القسم الأول تميز العتوم ببراعته الروائية، ببراعة ونصية روائية متفوقة، كما برع فيها العتوم مهندسا معماريا يحسب بدقائق الأمور.. " كل عمود بارتفاع 12 نخلة وبقطر ثلاث.. " ..122..

.. "وطول القطر والنسبة الرياضية باي ..قلعة ثمانية الأضلاع بزوايا منفرجة متساوية كل ضلع تمتد مترين عرضا وستين مترا ارتفاعا.. " .. 123..

وجاء القسم الثاني كمنقلة نوعية، تنحى منحى جديدا وهو التبيان والاستقراء لواقعين.. واقع البشر الذي تفوق بعد مئات الآف من السنين.. ببعض ما قد آل إليهم من عالم الجن، الذي تميز بتفوقه التكنولوجي والمعرفي، ومدى الانجاز عندهم والعبقرية.. فكان

اختيار (رضى) الذي تميز عن البشر بذكائه الفكري النوعي الغير بشري، وتميزه بأن أخواله من الجن، فكان كتلميذ نجيب تتلمذ على أصول الدين والتفكر بالملكوت والتفرد في البحث، وهو عبور للفكر الأرضي روحا وجسدا، إلى الروحانية السماوية والتفكر بسنن الأولين.. واقع التفوق التكنولوجي لعالم الجن.. " مررت بالآف النجوم أو الملايين، وأنى لي أن أدري وأنا أسبح في الفضاء المذهل.. "

..155

"امتدت الجدران معها امتداد السماء السابعة.. " 157.... وقد أفرد لنا تصورا لماهية التسابق البشري إلا وهو ..الوقوف أمام الموت.. فيما يسرده اللوح من قصص ومثلات من أقوام، قد سلفوا واتوا بسجال عقيم مع الموت رغم التطور التكنولوجي، وهي الرغبة في الخلود بعد الفناء أو الإفناء وهو الهروب من الموت حتى لو كان صناعة الحياة.. "كل من عليها فان.. " 167"

فكان كتلميذ نجيب تتلمذ على أصول الدين والتفكر بالملكوت والتفرد في البحث، وهو عبور للفكر الأرضي روحا وجسدا

"..واختلطت الألوان كلها فتشكلت كتلة إهليجية كثيفة من النجوم ذات الألوان البديعة الممزوجة من كل لون.. " 176 ولكن مهما امتدت قدرتنا لتتجاوز السماء، فلن نتحايل على الموت فالموت حقيقة، شئنا أم أبينا هو السبيل إلى نهاية أكثر عدالة.. " مساكين هؤلاء البشر إن أكثر اختراعاتهم تطورا، هي التي تخلينا عنها نحن لرداءتها أو لبطأها منذ الآف السنين" ..

التتلمذ على التعليم
الإلهي المنزه عن
الماديات والشهوات

"تغير العالم بعيني بعدما تعلمته أصبح لكل شيء روح، هذه الروح تستتر عن البشر في عالمهم المحجوب، نصفي الجني ساعدني

والزهد لتستقيم النفس وتعيش أوج روحانيتها وإحساسها بمهمتها في الأرض...

"تغير العالم بعيني بعدما تعلمته أصبح لكل شيء روح، هذه الروح تستتر عن البشر في عالمهم المحجوب، نصفي الجني ساعدني على أن أخلق هذه الحجب، وأن أرى روح الكلمات!..." 160

وللتتلمذ الإلهي قوانين وخطوات ليصل إلى أعلى مستويات الزهد والقبول وتحمل المسؤولية فكانت.. " لا حرمان إلا بعد

استعجال"161... "تجرد من أنسيك لتكون مؤهلا لتلقي
المزيد.."161... " "الرحلة إلى الله.." ما فائدة قيام هذا البيت
على أربع إن كان بيتك الداخلي مهدما خربا .."169... إنه فن
التصالح مع الذات بعيدا عن الهزيمة وأطوارها.

ومن ثم وحدانية الأديان.." على العمود الأول نقش القرآن بحروف
لا يمكن أن تمحى مهما تقادم الزمن، ومهما تغيرت ظروف الطبيعة
وأحوالها، وعلى الثاني نقشت التوراة كما في الألواح وعلى الثالث
نقش الإنجيل كما في التعاليم السماوية، وعلى الرابع نقش الزبور
كما في المزامير هل الكتب السماوية موجودة قبل وجود
أنبيائها؟!!!"171.. "التجرد أول أبواب العلم.."171

والقرنين..لحمائته.." راضي قريني من الجن ورضوان قريني من
ملائكة.."172.. والحواريون أجناد الله في أرضه..وهي حقيقة
تحقيق الوصول إلى الهدف المقدس "كانوا اثني عشر حواريا"180
بكامل جهوزيتهم العلمية والعملية وتسليحهم..

ثم تأتي الحقيقة أن لكل منا غاية يتم تنفيذها في خدمة الله وليس
السر المقدس هو الشرط الرئيس في تحقيقها من عدمه..."بمقدور

الإنسان أن يخدم الله حتى وإن لم يكن صاحب سر مقدس، وخدم الله هم أولياؤه.. " 172...

طقوس من الروحانية بعيدا عن الحقد بعيدا عن الضياع في عالم الغفلة، حيث تضيع الحقوق ومن ثم يضيع كل شيء.. " حين تسمو الروح سمو النور الأعظم الموجود في اللوح المحفوظ كان القرين الملائكي يأتيني بلحم الطير المشوي من جنات الخلد.. " 173 .."تلك العذابات التي يغرسها الشيطان الأكبر فيه بالحسد أو الحقد أو الكبر أو الغرور أو الكذب.. " 175..

كلها أبواب الشياطين.. فمن أيِّ منها سيكون ولوجنا أو مسعانا للخروج، وكلها باتت معجونة بمائنا فأنى لنا من فرار.. "أعطني ما يدلني عليك يا آخذا بناصية كل شيء حرر ناصيتي من يد الشيطان الأكبر.. " 177

ثم يأتي الروائي بفرز الأزمات العالمية وكقضايا الأمن والأمن الغذائي والأمن البيئي العالمي.. كالاكتباس الحراري وأزمة الطاقة والنفايات الالكترونية، القنابل النووية وتشوهات الجنس البشري.. بأسلوب

مبتكر.. فلم يكتفي بالتعداد بل بحث أبجديات الحل.. بناء على حقيقة أن العلم والحضارة، الحروب وويلاتها ومخلفات الثورة التكنولوجية قد تسبب فيها البشر أنفسهم ولم تكن دخيلة عليهم... "النفائات الإلكترونية تزداد سنة بعد سنة وهي مخلفات تراكمية، أصبحت تحتوي على ما هو أخطر من القنبلة النووية في عرف البشر أو الذرية بمئات المرات، إنها تحتوي على الرصاص والكروم والكاديوم والزنبق والبولي فينيل كلوريد .." ..وبين مخاطرها .." فهي تتسبب في السرطانات التي لم يعرفها البشر من قبل، وتتسبب في تلف المخ وأمراض الكلى إضافة

إلى التشوهات الخلقية وهي عبارة عن قنابل موقوتة.. " 178... "

فلم يكتفي بالتعداد بل بحث أبجديات الحل.. بناء على حقيقة أن العلم والحضارة، الحروب وويلاتها ومخلفات الثورة التكنولوجية

لدرجة أننا ظننا أن الأرض لنا وحدنا، ونسينا أنه يقاسمنا الحياة فوقها ملايين الأنواع الحية، وما نحن إلا نوع واحد منها..." 179.. كما عرض مشاكل الكساد العالمي والتضخم الاقتصادي مع انخفاض المستوى المعيشي ومعدلات الدخل الفردي، وتزايد حجم الإنفاق وتزايد المديونية ووضع حلا منطقيا.... " في نهاية كل شهر

كان النظام يقضي بتخفيض قيمة كل سلعة إلى النصف من أجل تمكين ذوي الدخل المحدود، من شراء ما يحتاجون، كان هذا يحدث في آخر كل سبت من كل شهر ولمدة ست ساعات.. " 236.. .. فقط المشكلة تكمن في تحديد التوقيت كحل منطقي، لكن المعضلة المعهودة تكمن في رجعية وتزمت الحكومات، فأنصاف الحلول لا تأتي بأكلها إلا في خلق حالة من الفوضى و الهيجان والضوضاء وهي فرضية سلوك الجماعة.. وفرضية الخيانة التي ليس لها حل إلا بمكافحتها وإباحة تجريمها وقتلها.. "نحن الآن أمام متجر البركة في القاهرة والساعة الآن هي العاشرة وقد احتشد أمام المتجر، قرابة أربعة آلاف مواطن بدؤوا بالتوافد منذ ساعات الفجر الأولى.. " 238.. " وبدا أن التدمير سيد الموقف .. " ..سنموت من الجوع أيها التجار الذين تمتصون دماء الناس: الرحمة.. " 238 .. " وبعد ثلاث ساعات تم السيطرة على الموقف، ولكن بفقدان أرواح عشرين آخرين.. " 239.. فيبقى البلاء سيد المشهد فهل يكفي الدعاء عند الابتلاء.. " يا رب كلمتك مصباح لخطانا ونور سبيلنا فلا تحرمنا خيرك.. " 240 ..

والقضية الحثيثة التي تعتبر قضية القرن الثالث، الاحتباس الحراري وفي نوبان القطبين وغرق الكوكب بما فيه.. ليفجر لنا العتوم حلا نموذجيا لم نخبره من قبل.. " سيبتلنا الطوفان القادم من الشمال.. إذا (أجبتة باستسلام) ..كلا إنه عهد الخيرات هذا الذوبان الجليدي الذي سببه الإحترار.. سيكون خيرا على البشرية وليس وبالا عليها.. كما صورته وسائل الإعلام الكاذبة، وإن الاحتباس الحراري الذي دأب العلماء على تخويف الناس من نتائجه الكارثية.. سيكون ذا فوائد تفوق التصور إن أحسن استثمارة .."241-242.. كان الحل في استثمار الفيضانات من القطب الشمالي في : ملء خزانات هائلة

بالمياه وسحبها للمناطق

الأكثر جفافا، من ناحية

علمية لا يبدو هذا الأمر

مستحيلا مع التطور

التكنولوجي الذي وصل

إليه راسمو خرائط السياسة العالمية، أما بالنسبة للأرض الجرداء

المنحسرة عنها المياه فهي أرض خصبة مع .." ..إمكانية تفتيت

صخورها ...يحولها إلى أماكن زراعية خصبة.. " 244... لتصبح

سيكون خيرا على البشرية وليس وبالا عليها..

كما صورته وسائل الإعلام الكاذبة، وإن

الاحتباس الحراري الذي دأب العلماء على

تخويف الناس من نتائجه الكارثية

ملجأ لساكنين جدد وإمدادا لمخزون الغذاء العالمي، أما بالنسبة لقضية الحيوانات القطبية فكان الحل .."قرر زوبعة أن يبقى على بعض قطع الثلج على هيئة لوح منبسط بسمك 25 سنتيمترا لتكون مركبا أو قاربا تتمتع الدببة بالانتقال فوقه من مكان إلى آخر في المحيط، ولكي يحافظ على بقاء هذا النوع الأبيض الجميل من هذه الدببة، حقن هذه المراكب الثلجية ببعض المواد الكيماوية التي تحافظ على كتلتها دون الذوبان، حتى لو ارتفعت درجة الحرارة هناك إلى 20 أو 25 درجة!!.." 245

إن ما وثقته نفر من الجن في فرضية: أن الوحشية والدمار مسكنها نفر من الجن بذاتهم المنفردة أو متواطئة مع مرادة من الإنس ...هي حقيقة أن الإنسان بطبيعته يحمل جين الشهوة للسلطة والجسد.. وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها وقد بينها الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه. فأما عن حقيقة تعاونهم مع الجن بغض النظر عن كونها مجرد فرضية أم في جعلها إدعاء..فإن ما نقرؤه من كتاب نوعي، بين أدينا في أن شياطين الإنس لم يتركوا لشياطين الجن شيئا ليتعلموه

في عوالم من الصراعات والقتل والتدمير والاعتصاب وهتك أستار
مسالمة..

ونأتي على المفردة التي وضعت تساؤلا كبيرا.. هل الهوة في العلاقات
تشمل العلاقات النورانية؟؟" رغما عن أن (رضى) يعرف تمام
المعرفة الحواريين.. " هل هذا أنموذج حقيقي لتمكن مرده الإنس
من طمس البصيرة بالسماح لمسعود بأن يلج بينهم فيفرقهم وكأنه
تعلم ما أنزل على الملكين هاروت وماروت .." لقد استرقت السمع
أنهم يذكرونها في صلواتهم الطيبات كل ليلة تقريبا، ويعدون العدة
ويسألون الله الشهادة فيها لأنها أرض البركة والملحمة الكبرى..
كانت هذه أول مرة أتيقن فيها من أن مهمة الحواريين في هبوطهم
معي، تنحصر ربما في

الإعداد لهذه المعركة
الفاصلة.. " 236.. قد
نعتبر هذا منطقي لمن

ونأتي على المفردة التي وضعت تساؤلا
كبيرا.. هل الهوة في العلاقات تشمل العلاقات
النورانية

جبل بطينة الأرض ولكن لمن تتلمذ إليها ففيه قول آخر..

وفي القسم الثالث كان التأكيد على استقرار ما بعد المستقبل و رسم
المعركة الحاسمة، موقعا وتعبية و جهوزية.. تلك المعركة الحاسمة..
إن فلسطين هي أرض الميعاد.. " قال: إنها أرض الملحمة، وإنني
أمرت أن أبنى فيها كهفا واسعا ذا غور تضل الأعين منتهاه! "245
..وكانت قيمة الكهف في مرحلة الإنقاذ فيما بعد . " توجه أحدها
غربا باتجاه جبل كنعان والثاني باتجاه المنصورة والثالث باتجاه جبل
الجرمق واثنان بقيا في المحيط الضيق لمدينة صفد ... "357

إن ما سلط العتوم عليه الضوء هي ماهية الحروب.. ولعل من أهم
أسبابها الجفاف والرغبة في امتلاك منابع المياه والسعي للسيطرة
عليها، ولكن بما أن الحل كان باستغلال المياه الذائبة من القطب
الشمالي، فقد انتفت الحاجة لتوفير مخزون عادل من المياه لكل دولة
من دول العالم وبالأخص الدول الأقل حظا فيها، ولكن عندما يمتلك
الشر زمام الأمور وينفخ الشيطان في قرب الهلاك تكون الطامة
الكبرى، والمعضلة الكبرى في تخلي المخلص عن مسؤوليته
واختياره الرهينة على القيادة راغبا في التنزه عن الماديات، وتولية
الأمر لمن لم يعرف سرائرهم تكون النهاية بقيادة الشيطان نفسه،

من المؤسف عدم إيلاء (رضى) عدم موافقة الأستاذ وابتعاد
الحواريين عنه أهمية.. " وكنت أرى في مسعود بطبيعته القيادية
شخصية جديرة بهذا المنصب.. "248.. ألم يشكل ذلك مفصلا خطيرا
ليرجع عن قراره؟؟؟ "انصرف الحواريون إلى شؤون حياتهم
وغادروا جميعا.. " 248 .. ويتشابه مفهوم الإبادة عند كليهما مع
الاختلاف في الغاية، فأما نظرة مسعود للحرب إبادة الطرف
الآخر.. لسيطرة الشيطان .. "هذا مصير كل خائن، الحرب الكونية لا
تتسع للخونة.. " 360.. "

ومن القضايا المهمة هو تضارب العقيدة
الإيمانية ما بين التوجه العقلي والتوجه
المادي، يكون التنافس غير المشروع واللعب
بالأوراق

أمر (رضى) قائد كل
سرب أن يبدأ بتمشيط
المناطق الجنوبية من

مدينة صفد وألا يرحم أحدا.. " 360

إذا هل عشر سنوات كافية لتتسلخ يا إنسان من ماهيتك...؟؟!

ومن القضايا المهمة هو تضارب العقيدة الإيمانية ما بين التوجه
العقلي والتوجه المادي، يكون التنافس غير المشروع واللعب
بالأوراق.. فليس في انتصار الجانب الروحي تنصلا عن الجانب

المادي.. مادامت المهمة سعادة البشرية ..فلم تكن لأطماع مسعود في بناء دولة حدودا أو نهايات أو أطماع مشروعة..بل كانت بلا سقف يوقفها فلها أديانها وأشباعها وعقائدها المتحررة فكريا مع حرية التملك والتصرف، وكانت بذلك بداية لتفويض سلطة (رضى) الصورية وانتقالها إلى مسعود بشكل راديكالي بانقلاب عسكري ضمنى...

كان تبرير رضى واهنا حينذاك " كان قراري بتفويض سلطاتي لمسعود سببه أن قلبي لا يتسع لأعباء السياسة وتوابعها.. " 253.. على الرغم من أن.. "غير أن سامع ظل من أمر مسعود في خيفه ولم يرتح في يوم من الأيام لما يحدث " 253

فهل يكتفي القائد بهذا تصور؟؟ وقد بلغ رسالة سماوية تتلمذ عليها عشرات السنين من منظور التعداد البشري للزمن.. هل يكون ملجؤه الدعاء وهو صاحب الرسالة في نشر المحبة ونبذ الظلم والشر.. " لا بد أن أدع إلى الخير والمحبة وأبشر الناس بكلمة الله.. "254..

وقد تناول العتوم ملف البطانة الفاسدة وهي أشد وبالا على الأمة وملوكها، ناهيك عن كونها أساس فساد الملوك وسقوط الحضارات.. " وهؤلاء ما امتدت أيديهم إلى طعام إلا أفسدته.. " 59 هل يمكن لحبات الرمل أن تخون؟؟ قد يكون لتفكك حباتها دور في خيانتها ولكن على النقيض من ذلك فقد امتنعت عن النكران وترفعت عن الخيانة رغما عن تفكك حباتها.. " الرمل صديق من يعرف

مجازي وحاضر طول

العشرة معه تمنعه أن

يخون.. " 63

أين هي عين اليقين عند اختيار البطانة...
عندما تجاوز مسعود حدود الشرائع بزراعة
والاتجار بالمخدرات وصنوفها والأسلحة على
اختلاف أشكالها

أين هي عين اليقين عند

اختيار البطانة... عندما تجاوز مسعود حدود الشرائع بزراعة

والاتجار بالمخدرات وصنوفها والأسلحة على اختلاف أشكالها من

كيميائية إلى بيولوجية وجرثومية ثم اختلاط الأجناس والانحلال

الخلقي والحرية الجنسية وتجويع البشر، ليكونوا وحوشا بلا رحمة..

فلم يكن هذا النجاح ليكون لولا تحالف مع الجن الكفرة الممثل بأسيار

وبلغام... فخلق وحوش السلطة ينمي بإعطائهم العنان وإغفال الرقابة

عنهم وتصديقهم فيما يقولون... فليس ذنب القاتل أو السارق فعلته

بل يتحمل المسؤول جزءا كبيرا منه.. "قال له بلعام: هذا سلاح
جرثومي فتاك كل قطرة واحدة منه تحوي عشرة ملايين جرثومة كل
جرثومة قادرة على قتل نفس بشرية يمكن زرعه في القذائف والقنابل
الجرثومية266.. " انه التحالف مع الشيطان..

فهل يكفي رضى الندم؟؟

فما كان من رضى إلا الندم حين لا ينفعه... " لقد هلكت وأهلكت
مزمجرا لمسعود وراغبا في سحب البساط من تحت قدميه، ولكن رد
مسعود: لم يعد مرحبا بك بعد اليوم في مملكتي، أخرج من هنا فريدا
شريدا.. " 270..

ولتفشل بذلك أول مواجهة بين نفر من الجن الكفرة ونفر من الجن
المؤمنين، بين رضى وسامع والحواريين مسعود وآسيار وبلعام..
وثنم التفريط بالمسؤولية عظيم " ها أنذا أدفع الثمن ليأتي أدفعه
وحدى، يبدو أن البشرية ستدفعه معي... " 271 ..

إن ما قدمه العتوم هو نقلة نوعية نحو استقراء المستقبل ومصير
البشرية وهو الفناء وما كان الاقتتال على منابع الثروات والتسارع
النوعي في التسلح إلا تباشير لنهاية عظيمة، مع ظهور مسميات

الدين السياسي وأئمة الساسة والنفاق السياسي، والأفكار المتحررة من الدين كالعلمانية والانقلابات السياسية كطموح محرم مبعثه النزعة التطرفية.

وماذا بعد التقدم التكنولوجي؟؟ هل هي ثورة الأشباه على مفردات الطبيعة؟؟ وأن للمعركة لها ما يبررها والأبرياء أرخص سلعة لديها هو الإنسان ..

لقد اكتشف النفط في مرحلة متأخرة جداً، وقد سبقها سباق هائل في التسلح حتى وصل إلى السلاح الجرثومي، فكانت مهمة الذهب الأسود مجرد احتياطي للوقود عالمي، وشتان بين الواقع وبين النص الروائي.. " وأنه سيقوم بتشغيل كل المعدات الحربية بدلاً من الغاز فضلا عن تشغيله لآليات

الإنتاج الغذائي في المصانع الكبرى .. "280

لقد اكتشف النفط في مرحلة متأخرة جداً، وقد سبقها سباق هائل في التسلح حتى وصل إلى السلاح الجرثومي

وأين الغلابة من هذا كله؟

أين هي الطبقات المسحوقة؟ أين الفقر والجوع والمهانة للغالبية العظمى لشعوب الأرض؟؟.. إنها ثورة الجياع "أريدك أن تهياً لثورة

قادمة هي ثورة الجياع الذين سلب حقوقهم على حساب شهوته
الفظيعة للقتل والاستبداد.. " 319 وأيهما أشد بلاء الحرب أم الجوع
؟ وأين المفر ..؟؟ التعويل على قدرة فائقة لنيل الحرية دوما البحث
عن قائد وإذا انعدم القادة هل يكون الموت؟؟

ويبقى السؤال في مخيلة العصاة .. هل هناك من إله غيري..؟
.. "أجابه وزير البيئية: يد الله لا ترد وإذا بطش كان الهول أكبر من
أن تحتمله عقول البشر وقلوبهم مجتمعين.. " 296

ولكن السؤال الأكثر جدلا..

"الآن عصر الأنبياء قد انتهى فقد انتهى معه عصر التبشير بها.."
281 .. هل يكفي الشر بأن يكون على شكل صيغة التقاعس عن عمل
الخير، وازدواجية الشعور بين الرغبة وتجنبها؟؟..

"لا بد أن يكن غلاما نبويا أو فتى مطهرا هو وحده من سيكون مهيا
لتحمل تبعات التغيير وأثقال المواجهة... " 337

ويمكننا أن نحصد من هذا كله أنه لا أصل لما يبرر فكرة القتل..
وعلىنا استنكار مسمياته: القتل الرحيم.. أو عدم الإسراف في
استخدام القوة.. فالقتل هو القتل مهما تعددت أسبابه وأغراضه يبقى
قتلا فما مبرره؟؟.. وهو يزهق الأرواح جزافا.. " ليست الجيوش
بمسمياتها إلا لكونها جيشا للحق لا لفئة ولا لطائفة وليست لشعب
إنما للأرض .. "339

..ولكنه يسوغ لصاحبه بأن يفعل السوء فيما يشاء وقتما يشاء دون

أن تكون لأحد سيطرة

عليه والرفض للدين هو

أول بوادر الهيمنة،

فنزعة الإلوهية والتفرد

فالقتل هو القتل مهما تعددت أسبابه وأغراضه
يبقى قتلا فما مبرره؟؟.. وهو يزهق الأرواح
جزافا

منذ الأزل للمردة من الإنس.. فهو المحي والمميت .."جيء (بخير

الله) إلى الغاشية رفع عاريا على الصليب وسطها، ودقت كل يد على

خشبة من الخشبتيين الممتدتين بمسامير كبيرة... " "تعالوا اسجدوا

عند قدمي .." ..ولم تكن للآلهة طريقة واحدة للتعذيب بل جعل

التعذيب فنا لا يضاويه فيه أحد " " بل للخالق أن يأمر بما يشاء

أليس كل الكون عبدا له..وأنا الذي أحيي وأميت.. " 295 وقد تفوقت
فنونه في أكل اللحم البشري ناضجا "وقال لآسيار: أشهى وجبة
يقدمها إلي السيد الكريم هذا العام.."316

تبقى الأسطورة سيدة المشهد ليبعث مزيدا من الخوف.. إنها ملح
السفهاء .."ظل مسعود يتفنن في وسائل التنكيل بمعارضيه حتى
دارت حوله الأساطير، لكن النتيجة أنها ذنوب البشر اجتمعت في
مخلوق ما فتشكنت على هيئة هذا الذي يسمى مسعودا.." 333

"أكان استدراج الإنسان الأول للقتل سببه حسد الشيطان إذ رأى
غريمه"...

ناهيك عن قتل الرموز الدينية والتنكيل بها .." فيقتطع اللحم وسرحان
ينظر إلى الكلاب تتناهبه وهو يبتسم ودماءه تتعب من كل جزء منه.." "
321.. "وهو يرى جسد القديس يتلاشى بين أفواه الكلاب الجائعة.." "
..322...

الخطورة تكمن في احتكار السلطة، عندما يسيطر الطمع وإعدام
الرأي الآخر والاستهانة بالحقوق وزوال العدل والبطانة الفاحشة

المتكالبية على المصالح، يكون المشهد السياسي الذي لا مفر منه ..
"إنها عقيدة العسكر التي تظن أن السلاح وحده قادر على أن يحسم
الموقف لصالحه، وأن أي قوة أخرى للفكر أو المنهج أو إرادة الناس،
يجب أن تتراجع أمامه.. " 326

.. غير أن الحياة بعد هذا كله.. ليست هدوءاً أو ركونا للتعب، وهو
مدعاة للدعة والتخلي عن الرسالة والتسليم بالقدر، هذا ليس قدراً
بقدر ما هو خيانة للأمانة، بل صدعا في صورة الحق ودعامة للباطل،
وهي ليست اعتزالاً للشر والفتنة بل محاولة للقضاء على مفهوم
الإنسانية.. فليس الدين تعباً وتبتلاً ونسكاً فلا تميتوا علينا ديننا..
لقد كشف العتوم عن حقيقتين، فقد خلص إلى حقيقة ثابتة في أن
العلم هو أساس كل شيء وهو الركيزة الأساسية للبناء والتعمير..

والثانية هي أن
المعارضة موجودة
بحقيقة ثابتة.. فلتكن لغير

.. غير أن الحياة بعد هذا كله.. ليست هدوءاً أو
ركونا للتعب، وهو مدعاة للدعة والتخلي عن
الرسالة والتسليم بالقدر

غاية المعارضة وحسب، فدون إيجاد البدائل أو المساهمة في البحث
عن الحلول، يكونون عبئاً على الهوية الوطنية.. وهي ظاهرة قد

تفشت في مجتمعاتنا فكانت سببا في هزلة التطبيق للمشاريع الإصلاحية.. و من الخطورة تأييدها أو دعمها أو الترويج لها لغايات ومصالح شخصية، فإن كان لا بد من دعمها كدلالة على صحة المجتمعات فلتتخذ مسارا أكثر جدة وأكثر إثراء ومنهجية لتصبح رديفا في العملية التنموية والإصلاحية" ..إن حياتنا ليست بيدك، وأن قرارنا ليس مرهونا بإرادتك" .. " 379

2222 إيدان ببداية المعركة...

"كان يوم السابع من تموز في العام، 2222 بعد ميلاد السيد المسيح إيدانا إلهيا بانطلاق العاصفة.. 355" معركة بأبعادها التفوقية.. الالكترونية والميكانيكية والجرثومية..من العدة والعتاد..

.. "مع بزوغ خيوط الفجر الأولى بعد الليلة الدامية كانت آليات رضى تعسكر على ضفاف بحيرة طبريا.. " 361..وقد اعتبرت الحرب المعلوماتية هي أساس الحرب الكونية " ..فمن لا يملك المعلومة لا يملك القوة ومن يفقد الصورة يفقد القدرة على القتال.. "363 ..وتكون النهاية باستخدام الأسلحة الجرثومية.. "بدت أجساد المؤمنين تذوب وبعضها يتفسخ والبعيد عن مركز الاستهداف

يختنق370.. " ..وكان الكهف هو مأوى المؤمنين من الهزيمة.. "الكهف.. إلى الكهف أيها المؤمنون اتبعوني إلى الكهف.. إنه لم يبق من الصالحين غير هؤلاء، فإن تهلك فإن الشيطان سيعبد من دونك، فأبي مصر سينتظر البشرية حينئذ؟! "374.. وكانت معركة اختبار الصبر والنفس المؤمنة.. صبر الخمسين يوماً.. الخمسون العجاف بل الخمسون.. المقاطعة.. الخمسون بداية لعصر جديد.. " ..الموت البطيء يعني الموت في كل لحظة، لم يعد هناك

من فرق كبير بين

وكان الكهف هو مأوى المؤمنين من الهزيمة.. "الكهف.. إلى الكهف أيها المؤمنون اتبعوني إلى الكهف..

الموتين.. "381

وكانها سفينة نوح

تتلاطمها الأمواج.. ليجيء أمر الله و يحق الحق بكلماته و يقيم العدل وينسف الظلم، ليخسف بالأرض أما ويحي أخرى " ..كانت السماء كلها مغطاة بطيور سوداء في حجم العقاب ..لم يدر أحد من أهل الأرض يومها من أين جاءت، أنها جاءت وحسب.. "385 .."ظلت السماء تبكي على المخلوقات فوق الأرض ليلة كاملة.. "390.. " من

بعيد بدت الجبال تلبى نداء المشيئة الإلهية، تدرجت من قممها
أشلاء أجساد أو بقايا أسلحة.. " 390

..لتصحو الأرض على هيئة جديدة من بداية التكوين وكانت بداية
الخلق بوجود امرأة حبلت تحت الشجرة برمزية على استمرارية
الحياة بولادة طفلة لتكون أولى النطف لخلق اختير ليستخلف في
الأرض وليحمل رسالة البناء والاعمار....

ومع هذا كله فالمعركة الأخيرة " المعركة الأخيرة لم تأت بعد !!
391"

المعركة التي لا ظلم بعدها وسيقودها المسيح بنفسه " إنما علمها
عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ... "392

عبر392 (صفحة) من الورق المتوسط، كنا مع العتوم كروائي
وباحث في المنظومة العلمية والبيئية والثقافية، وكنا معه فيما بعد
المستقبل، استقراء في نص من أروع النصوص..

نفر من الجن...

لم تكن البشرية بحاجة لهم للتدمير بقدر ما كانوا بحاجة لنفر من
الجن المصدقين...

في نص أكثر من رواية تفوق فيها العتوم على نفسه، ليستحق لقب
(روائي القرن) بما أتحف الأجيال به من بداية جديدة للتفكير الإبداعي
والقيمي من حقائق وأفكار، بعقلانية وحيادية ومنطقية وشمولية
لحقيقة الحال ورسم المآل...

[رجوع للفهرس](#)

مجرد فكرة



الجدلي في الأمر أننا نبرز
المشاكل الوافر وجودها بكل
نواحي الحياة بشتى الطرق،
مبرزين العنوان الأكثر
رواجا وبيعا وهو العنوان
السلبى لا غير، وتبقى جُلُّ

الرسائل والأبحاث بكاتبها صفة أكاديمية، يمكن ببساطة النظر إليها
على اعتبارها هامشا، للصورة المثالية للمجالس والكوفي شوب،
وتبقى الفكرة أن المواطن هو الضحية وهو طرف المعادلة الأضعف.
وأن جميع التفاعلات الكيميائية تصب جام غضبها عليه، وتبقى
الآمال معلقة بتلك المشاريع التي تومض وتختفي مع الحكومات
المتعاقبة، ولن تتوقف الحقيقة عند هذه النقطة بل بما ستؤول إليه
الأمور..

فالمواطن مهما اختلف تصورنا له باختلاف نوعي أو طبوغرافي أو ديمغرافي أو جغرافي أو جيوسياسي، يبقى مواطنا له أحقيته في الحصول على الخدمات التي هي جزء واضح من تلك الحقوق التي كفلها له الدستور، وكون المفروض هو وجود الخدمة ومن ثم الحصول عليها فالصورة النموذجية أن لا تكون هناك تشوهات في الصورة المتفق عليها مسبقا، ولكن القتامة أمر مفروض على مجتمعاتنا إن شئنا أم أبينا لأسباب كثيرة، وإن كان العجز أو التقصير في هذه الصورة النموذجية.. فهل يبقى التقليد أن المواطن هو الضحية؟؟ ولما لا يكون عليه أن يمك بزمام الأمور كونه ركنا أساسا في بنيان الدولة، وأن يرقى بمستوى المواطنة، لأن الحقيقة لا تتضمن في نصوصها

فكرة الوطن البديل..إنما قد يكون هناك وضع بديل..

فالمواطن مهما اختلف تصورنا له باختلاف نوعي أو طبوغرافي أو ديمغرافي أو جغرافي أو جيوسياسي

وكون الشباب هم الفئة الأكثر تمثيلا للمجتمعات، فإن قضاياهم هي من ستؤثر سلبا أو إيجابا على سير مجتمعاتهم، ولما كانت القضايا الاجتماعية هي الأصعب من ناحية الحل كونها تخرق حاجز

الخصوصية والنسيج المجتمعي الحساس، وهي المؤشر الحيوي على كفاءة المجتمع وفاعليته، كمشكّلي الزواج والعزوف عنه والطلاق على سبيل المثال لا الحصر، فكل منها يصب في الآخر وقد تكون معظم هذه الأسباب سببا مباشرا أو غير مباشر في تناسبها الطردي مع أي من هذه القضايا التي يعد أغلبها ذا منحى تكنولوجي:

1- انتشار استخدام الانترنت.

2- الاستخدام المفرط لشبكات التواصل الاجتماعي ك الفيس بوك.

الهواتف الذكية وسوء استخدامها. 3-

ثقافي كالمسلسلات المدبلجة.. أو

أو اجتماعي...كقلة الثقافة الاجتماعية المتعلقة بالأسرة حقوقا وواجبات.

وعدم القدرة على تقبل الآخر و التدخلات السلبية لذوي الطرفين أو المحيط الاجتماعي.

أو اقتصادي:

كانخفاض معدلات التوازن الاقتصادي (البطالة، عدم التكافؤ الاقتصادي، المستوى المعيشي، الغلاء والمغالاة في المهور..)..
أو دينيا..كالوازع الديني وضعف التمسك الديني.
. أو فكريا..كالتطرف الفكري

القضية الأولى العزوبية :

لقد تأثر الواقع

الاجتماعي على نحو كبير

بالتغيرات الأيدلوجية

والطبوغرافية

والاقتصادية وحتى السياسية التي شكلت بمجموعها علامات فارقة في الشخصية الشابة... فلم يعد المحور الاقتصادي على سبيل المثال أساسا لضعف أو لعدم الإقدام على الزواج بل أصبح جزءا من منظومة متكاملة..، فإن كانت الوظيفة هي العائق فيما مضى فهي كذلك اليوم، إذ لم يتغير شيء غير ازدياد الأمر سوءا..

من زيادة الأعباء الاقتصادية المرتبطة بقضايا الكساد والتضخم..والتي عادت الطريق المعقد أمام طالبي الزواج بزيادة

الفجوة الاقتصادية وملاستها للحياة اليومية للأسرة في ضعف المستوى المعيشي الذي كان متلازما مع ارتفاع معدلات البطالة .. وإن توفر سوق العمالة فهو صورة سلبية للبطالة المقنعة، خلافا لكونه لا يساهم في حل المشكلة بل قد يزيدا صعوبة وبخاصة مع ارتفاع المعدل الضريبي وارتفاع أسعار المواد الاستهلاكية المرتبطة بشكل كبير مع سوق المشتقات النفطية وإغلاق الأسواق التصديرية ومجال الاستيراد المترامن مع والحروب والإرهاب.. جميعها أثرت في إضعاف الموارد النقدي للدولة، ومن ثم سحبه على المواطن وهو الضحية الأولى لكافة السياسات الاقتصادية السلبية .. إذا يمكن أن نعتبر المورد المالي الأساس التقويمي لنجاح أي تعايش سلمي بين مجموعة من الأطراف وبغض النظر عن دحضه أو إثباته يبقى جزء من المعضلة.. وهذه حقيقة لا يمكن نفيها أو تجاوزها..

ولا يمكن الوقوف عند هذه النقطة مكتوفي الأيدي.. فلا بد من وجود حل ما.. بأي صورة منطقية عقلانية... وعند اختبار مدى نجاعة الحل أو فشله فلا بد من دراسته على منطقة ذات صفات مشتركة أو ضمن إطار جغرافي معين..

فعد النظر للخريطة الجغرافية الأردنية فللصحراء نصيب وافر فيها، ولكن عدم توافر أقل مستويات البنية التحتية والخدمية فيها جعلها منطقة منفرة للتواجد السكاني أو الاستثماري حالها كحال معظم صحارى الدول العربية، ..وبقيت المدن الرئيسة تحظى بأعلى تواجدهم للثنيين معا..

ولكن الطريف في الموضوع: أن معدل الاستثمار وإن زاد فهو مقتصر على الاستثمار الاستهلاكي وإن تداخلت الاستثمارات في

التكنولوجيا والاتصال

والبرمجة تبقى إلى حد

كبير تأشيرة لإضافة

عبء جديد على الدولة

ولكن الطريف في الموضوع: أن معدل الاستثمار وإن زاد فهو مقتصر على الاستثمار الاستهلاكي وإن تداخلت الاستثمارات في التكنولوجيا

الأردنية، لأن إحدى هاتين المعضلتين ستكون كارثية كصغر السوق

المحلي وعدم استيعابه.. وتبقى المنطقة الاستثمارية استثمارية

للمستهلك فقط كمادة وليس كإنتاج، وما أضفته الحكومة من استثمار

في المشاريع الإنتاجية والتنموية، لم يكن سوى استثمارا في سلع

غذائية استهلاكية، تخضع لقانون الاستيراد والتصدير على حساب

حاجة السوق المحلي..

أو استثمار في البوتاس والاسمنت التي بيعت أسهمها لشركات أجنبية بنسبة تحصيلية محدودة. وبذلك يبقى الحال كما هو عليه بل إلى الأسوأ...

وعند النظر ثانية للصحراء فنجدها بيئة ملائمة لزراعة الآف الهكتارات من نبات الجاجوبا الذي يحتاج لحرارة عالية لإنباته وهو نبات سريع الانتشار، وكذلك استخراج مادة التفت البركاني التي تتوافر بكمية كبيرة في الصحراء..

وإنشاء محطات التكرير فيها، إذ أن محطات التكرير تواجهها مشكلتان: الأولى الرائحة الكريهة الملوثة للأجواء والمؤذية لصحة التجمعات السكنية المجاورة وتكاثر الآفات الحشرية ..

وتعتبر الجاجوبا والتفت البركاني مادتان أوليتان لمعالجة مشاكل محطات التكرير..

ومن أبرز القضايا التي علينا محاربتها هي ثقافة العيب..

بحيث يبقى هذا الحل الذي يوفر نسبة عالية من الوظائف ومن التدريب ومن الاستثمار التنموي طويل الأمد مجرد فكرة في الأذهان.. من هنا نحن نحتاج لقوى شبابية تحمل على عاتقها هم الوطن

والسعي لبنائه، والمشاركة الفاعلة في مشاريع تنموية، باعتباره ليس حلا دائما كونه يضمن سلسلة من المشاريع التي تستغل الموارد الطبيعية فإن كان استخراج الصخر الزيتي اقتصادا وطنيا فإن المشاريع السياحية تشكل بمجمعتها موردا آخر من خلال إقامة مشاريع التفرّيك ومشاريع المصائد المائية عند كل كيلو متر بدلا من الهروب المائي.. والاستثمار في الألواح الزجاجية لتخزين الطاقة الشمسية..

فعندما نستعرض الخارطة الجيولوجية نجد مخزونا لا بأس فيه من كل شيء، فلنأخذ على

سبيل المثال الصخر الزيتي الذي يعتبر بديلا مستقبليا قليل التكلفة

المشاريع السياحية تشكل بمجمعتها موردا آخر من خلال إقامة مشاريع التفرّيك ومشاريع المصائد المائية عند كل كيلو متر

والتلوث، ليكون داعما بديلا للطاقة وتكمن الأولوية في هذه المشاريع في تشغيل الأيدي العاملة وتدريبها.

ومن الجدير بالذكر أن هكذا مشاريع في تكلفتها الأساسية وهي بالمجمل كلفة ثابتة للسنوات الطويلة التي يخدمها.. على مساحة

الأردن وطاقته الاستيعابية كبديل للكهرباء وأقل تكلفة لمستهلكات الموازنة في مشاريع الطاقة بمشروع الطاقة البديلة... كما يعني بنية تحتية مرتبطة بالأفراد والمجموعات التي تؤهل للدخول في هذا الاستثمار...

إذا تابعنا حديثنا السابق عن استثمار الصحراء في مشروع الجاجوبا والتفت البركاني.. نكون قد شغلنا أيد عاملة وطنية على اعتباره مشرعا وطنيا صرفا يعنى بالتنمية، والذي يقصد منه تسويق الأردن

على كافة الأصعدة ليس

على الصعيد الدولي

وحسب بل على الصعيد

المحلي

وتكمن أهمية هذا المشروع بتوفير البنية التحتية للعاملين والذي يترافق مع مشاريع استصلاح الأراضي

وتكمن أهمية هذا المشروع بتوفير البنية التحتية للعاملين والذي يترافق مع مشاريع استصلاح الأراضي وتخفيض نسبة الملوحة فيها بزراعة محاصيل زراعية قادرة على تحمل درجات الحرارة المرتفعة، وعمل مسح جيولوجي للبحث عن مياه ارتوازية أو الاستعاضة عنه في إنشاء برك اصطناعية يستفاد منها في جذب الامتداد السكاني

وتوفير طرق المواصلات المؤدية للتجمعات السكانية والتي بدورها تحتاج إلى مشاريع ترفيهية وهكذا من سلسلة للمشاريع التي تركز في أساسها على إشراك المواطن والشباب بشكل خاص في العملية التنموية كشريك استراتيجي نهضوي يقلص من جميع القضايا التي تعاني منها المجتمعات..

[رجوع للفهرس](#)

لم يكن مالكا لواقع ملموس بقدر ما كان
مسهبا في عالمه الخيالي و لم يعد مع
الوقت قادرا على الفصل بينهما، فكان
هو من بقي بين الضفتين لا يقوى
على الولوج لأي منهما. لقد امتدت
رغبة واثق ابن أم الكروم في البحث عن
تشكيلة ما تعينه في بنوية شخصيته
التي تتميز بعدم وضوح رؤيتها
المستقبلية

المؤلف

علاج سرير الحياة

يسقط الموت

رولا حسينات

نوع العمل: مجموعة قصصية

اسم العمل: على سرير الحياة يسقط الموت

اسم المؤلف: رولا حسينات

الناشر: حروف منثورة للنشر الإلكتروني

الطبعة: الأولى أكتوبر 2016

تصميم الغلاف: مروان محمد

تدقيق لغوي: رولا حسينات

تفضلوا بزيارة موقعنا حروف منثورة للنشر الإلكتروني من
خلال الضغط على الرابط التالي:

<http://herufmansoura2011.wix.com/ebook>

كما يمكنكم متابعتنا من خلال صفحتنا الرسمية على الفيس بوك
من خلال الضغط على الرابط التالي:

<http://facebook.com/herufmansoura>

كما يمكنكم مراسلاتنا بأعمالكم و مقترحاتكم على الإيميل التالي:

Herufmansoura2011@gmail.com

دار حروف منشورة هي دار نشر إلكترونية لخدمات النشر
الإلكتروني ولا تتحمل أي مسؤولية تجاه المحتوى الذي يتحمل
مسئوليته الكاتب وحده فقط وله حق استغلاله كيفما يشاء

على سرير الحياة يسقط الموت

رولا حسينات

الفهرس

6	الصفیح المحترق
18	البيت الرملي
24	المهاجر
36	منعرجات النسيان
42	مدينة الأشباه
49	على سرير الحياة يسقط الموت
55	على طريق الرمال الذهبية
59	فوضى الحواس

الصفیح المحترق

لملم أشلاءها الممزقة وطار بقدميه لا يثنيه وقع القنابل ولا القصف، وأيُّ مما يحيطه من بقايا أناس قريته، اصطكاك قدميه والدم المنشخب منهما، والمترهل من بدنه قد تعرى مما تمزق من قميصه المائل للصفرة، ولكنه قد مال لحمرة قانية...

صوتها يصيح في أذنه: " كامل الشيخ عبد السلام رزق بولد ليلة أمس حين غاب الديك عن الصياح، كان وليمة حساء لزوجته نصرية.. "

أوما برأسه وقد فهم، لما فاتته صلاة الفجر؟؟ فقد أولم الشيخ عليه حساء لزوجته النفساء، ولكنه لم يولم اليوم؟؟ قطعت حبل أفكاره وهي تحمل حقيبتة، وشفاتها المكتنزتين ما زالتا تتحركان بصفوف الكلام: " لقد شحذت لك السكين، قول الله على رزقك ورزق العيال.. "

نظر على احتراز حوله، دار صامتا في نفسه: " العيال كم تحبين ترديد هذي الكلمة يا زريفة؟ "

تمتم في نفسه وهي تلهو بجديلتها وتلملم شعراتها الشقراء عن جلبابه الأزرق الذي يغطي ثوبه البني يرتديه في الشتاء، وفي الصيف يعدل عنه لقميص مائل للصفرة..

" وهو الذي تمزق من ثقل جسدك، زريفة تحبين الزلابية الممتلئة بالقطر وتتوهمين أنه الوحام لقد تورد وجهك زريفة، صرت يا امرأة أحلى وأجمل، ما أحلاها يدك الزبدة عندما تدفعين بها جسدي، فتظل تعمل فيه دوائر من الذبذبات.."

ولكن الحي معتم هذا الصباح وبيت الشيخ عبد السلام بلا أفراح ولا زغاريد، أتراها حلمت بمنام زريفة وروته له حقيقة، ولكن الوجوه عابسة تطل إليه تتمايزه وهو يحمل حقيبتة، وفيها عدة الرزق: الموس والقطن والمطهر والشاش..، ولكن العيون الحانقة تشكه في الأرض كدبوس وما يرمقه من تحت أكوام اللحم المتهدل على الجفن، تنخره نظرات الشيخ فتحي..

"عجبا ما لي لا أكاد أفهمهم اليوم نهاري عدم، دون صلاة الفجر، ولا عجب أن زريفة شكت من شخيري.. يقيم الميت من بعد الممات.. " تتم حين تعلق قدمه بالخف البلاستيكي الأزرق أول درجات الدار الخمس، كانوا جميعا مطأطين الرؤوس، لا أحد يريد أن ينبس بحرف، سلم وإجابات متلعثمة ردت عليه بفتور هنا، واكتفت بالإنصات هناك..

غفت الشمس في مكانها فلم تبارحه طيلة ساعات من بعيد
صحتها..

"اليوم غريب.. " همس وهو يلوح بيده كمروحة ليزيح الثقل عن
صدره، أصوات النسوة شق جدار الصمت صياح وعويل، وأرجع
الرجال أصداؤها وأخذت تتقلب أكفهم ذات اليمين وذات
الشمال.. تلهج أسنتهم: " لا حول ولا قوة إلا بالله، لحقت بالولد.. "
أدرك كامل المطهر أن الولد قد مات فجرا، ولحقت أمه بعد ساعات
حين أكتفت الشمس بوشاحها الأسود، وبينهما أولم على الديك، وما
استيقظ لصلاة الفجر.. "

ومن بعيد دوى انفجار كبير رج الدار وتخلخت عظامهم من
مفاصلها، والدخان الأسود بدا يعتلي أسطح المنازل عند البيرة وهم
في قريتهم دير نظام على بعد ساعتين من قلبها ومساكن الأتقياء
والشيخ يوسف، بالسيارة المتهالكة التي يبقي أبو جابر يومه
يحركها على المناويل، وفوق ذلك يكس فيها الكتل البشرية فوق
بعضها، مع أكوام البيض وأقفاص الدجاج البلدي، ولم يكن هناك
ديوك غير ديك الشيخ عبد السلام الذي قد ذهب ضحية لوليمة بفرح
مسروق، والمنسوجات تتطاير عند كل عثرة في الطريق الترابي،

وصياح الحاجة رملية خوفا على منسوجاتها يتراشق مع بعض التعنيف، كل منهم يريد أن يعرض ما لديه في السوق الكبير عند الجامع القديم وبير الماء، وفرصة للتبرك بقبور الأولياء الشيخ شيبان والشيخ يوسف، ولكن سالم دوما يجلس القرفصاء بمؤخرة السيارة الصالون مع أكوام الأقفاص، دوما متكلا على جسده قابع في صمت دفين، النظرات تمزقه.. " مال سالم والبيرة؟؟ أين يذهب ساعات يختفي عن أنظارهم وهم يحملون بضائعهم، كأنه فص ملح وذاب؟؟!"

ولكن زريفة دوما تقول عند سالم حكاية وحكاية كبيرة كثير، عندما ذهبت وكامل للتبرك عند الشيخ يوسف ولتشرب من ماء الحياة عند البير، وما تزال تذكره في كل حين وهي تحرك السكر في استكانة الشاي، قبل الخلود للنوم دوما تقول: " جدتي أم الحنايا، كانت داية والنسوان يشكون قلة الحمل والخلفة فتصح بكوب الشاي الثقيل قبل النوم.."

لكن كامل لم يجد علاقة منطقية بين كوب الشاي الثقيل والخلفة، وزريفة تعشق العيال في باكورة كل صباح تفتح قن الدجاجات وتتفقد منهن من فقست بيضها ومن لم تفعل، فتهرع ببقايا كسر الخبز المبيت المشبع بالماء، تضعه أمامها لتطعم صيصانها..

زريفة لم تكمل الثامنة عشر وتزوجها كامل وهو في أواخر
الثلاثين، فقد مات والديها في طريق العودة من تجارتهم بالدجاج
على طريق البيرة، بتفجير قنابل نسفت الطريق ومن عليه قيل: "
لم تكن هناك أشلاء لتجمع، فلم يدفن أحد حينها.."

كان ذلك قبل ثلاث سنين ولم يبقى لها غير محمود وهو في القدس،
معلم شاب تخرج من الأزهر الشريف بعد أن درس في مدارس
البيرة، محمود يحمل أفكارا عدائية للإنجليز وللصهاينة، وينادي
بالجهاد يروي قصصا حدثت، لكن كامل كان منشغلا بتطهير
الصبيان دقيق في عمله يكسبه المال صنعة ورثه عن أبيه، ولكن
والد محمود ملك المال ليذهب به ولده إلى الأزهر، ويتعلم ليصبح
معلما في القدس أو البيرة، قصصه عن عز الدين القسام أثارت
حميته وكاد أن يحمل موسى ويقطع به الرؤوس، ويهوي مشرعا
جسد العدو المستوطن أرضه، وتاه أياما وليال في المنام، وهو يشد
على زريفة بقبضته وهي تصيح وهو في المنام يركض وزريفة
تصيح وهو يلهث والعرق يتصفد على جبينه وكرشه يتصاعد ثم
يكرع كسنسلة سقطت من دوي ما، وانتصر وما بيد زريفة غير أن
تنشب أسنانها في يده ليخلي سبيلها، فقد تحطمت عظامها من
الضرب والركل.. أخذ شخيرته يتصاعد وهي تزيد بالعض حتى

استيقظ كامل من نومه العميق وبدا كالغارق في الماء، عيناه الدائرتين تقطران وحمرة تملؤهما، وشعره المتبقي الملتصق على صلعته قد انزلق على جبينه، نظر إليها وعلامات الغرابة قد صكت وجهه، وهي ما زالت منشبة أسنانها في يده، وقد تلاقت العينان، فانسحبت ولسان حاله ينبض بالشك حول رغبتها في إيذائه وهي تتأوه من ضرباته الموجعة ومتيقنة أنه يؤذيها، وكيف لها أن ترزق بالولد وكامل يركلها؟؟ ولكنها اعتادت عليه وهو اعتاد على الحلم، فبات يمثل دور المنتصر منذ البداية، ومحمود يلصق أحلاما عن البطولة، وأن الإنجليز اندحروا بهمة الأبطال ولكن الصهاينة حلوا مكانهم..

فما تراه يفعل كامل؟؟!

فليس معه غير الموس وصنعتة..

بات الوضع مقلقا والخوف يزعزع فيه كل قوته، هو يخاف من الموت ولكن زريفة تملئ عينيها بالحياة والموت معا، فهي تريد الولد فقط تكويرة صغير تكفيها، ثم تموت وما تفتأ تذكره أن يحسن ظهوره وغسلها..

ولكن لماذا لا يند لها جفن عند ذكر الموت؟ لماذا هي أقوى منه؟؟

بات القصف أشد والناس بدؤوا ينفرون.. كل لوجهته والنساء يتصايحن وخرجن من بيت الشيخ عبد السلام، والطفل والزوجة يصيحان: " إكرام الميت دفته.. "

لكنه أمام أن يموت إلى جنبهما متوكئ على أحزانه العرجاء، حلمه بالولد خمسة عشر عاما انقضت في ليلة، وما أطل الفجر إلا بعرس ميت، وقضت نصرية وانتهت المسرحية وما عاد غيره البطل، والقصف يشتد والسماء ملبدة بالغيم الأسود سراعا يمضي إلى أرضهم ينتشر وبندقيته في صدر المضافة، حيث يستعيد ذكريات بطولة أبيه وجدته في دحر الإنجليز والكمائن لعصابات الهاغانا، ولكنه هو هنا وهي معلقة تناديه طيلة تلك السنين، ما عاد يربطه بالحياة شيء وكل ما عليها انتهى، وقلب أرضه ينزف وبندقيته معلقة، بدت الصورة أكثر وضوحا ومعالم الطريق قد برز على طولها الدخان المتصاعد، كغيمة عالقة بين السماء والأرض، رفع يديه ليلتقط البندقية فارتمت بين أحضانه، تشكو الفراق..

وظاف بعينه مودعا الوليد ونصرية وخرج، وما أن خرج من الدار حتى فجرتها قنبلة هوت عليها دون سواها ..

تمتم بجلادة القتل: " ها هو يا نصرية إكرام الميت.. "

ولم يجد الشيخ عبد السلام نفسه وحيدا أمام الطريق المعبد
بالدبابات، بل كانت كتفاه متلاصقة مع الكثير من رجالات قريتهم
وحتى النساء خرجن، كل خرج من داره والقصف يشتد ودمدمة
الساعة بدت أقرب وأقرب، وبدا الليل أقرب منه إلى النهار، فقد
اشتعلت الشمس وغابت بلا عودة هذا الصباح، فهو ليس كغيره من
الصباحات..

فلم تظن زريفة أن تعطر ثوبه المائل للصفرة فهو سيعيد ارتداؤه
فهي إطلالة شمس الصيف حين تخرج الحياة بكل دفئها إلى السطح،
عندما عاد من كثرة القصف ليطمئن عليها كانت تجلجل بصوت
متهدج وتروح جيئة وذهابا في أنحاء غرفتهم المغلقة، ضيقة الدار
كما هي ضيقة عليه اليوم، وما أن أحست به.. كان قد نزع رداؤه
الثقيل وقد وقع بصره عليها على غير حالها قفزت من مكانها وهي
تتأمله ملتصقا به جسده، أخذت تئن بصوتها المتهدج: " إنه وقت
الفراق إنه وقت الفراق يا كامل، ولم يأت الولد بعد، وسأموت قبل
أن تطهره.."

أصمته الموت، رائحته تفوح في المكان وهي تشعل ناره في
صدره..: " سأخرج بسكين لأقتص لدم أبوي، هاهم قتلته جاؤوا إلى
حتفهم.."

أخذت تهرول إلى النافذة الصغيرة المقوسة..: " هاهم هاهي دباباتهم تعوي كالذئاب تهوي لقصعتها.. " وهي تلوح إليه ليأتي ويرى الصورة كاملة، ولكنه قد عرف ذلك قبل أن تتفوه به فهو يراهم أمامه كما في الحلم، كل تفاصيله أمامه، تعاد بنفس الترتيب، وهاهو يستل موسى من حقيبته ليؤوي لجدار سميك، ثم ينقض على الصهيوني ويقتلع عينيه، ثم يقطع شرايين الحياة وأوردتها، وهاهي تفر زريفة كما النسيم يقبله قبلة الوداع إلى الموت، حيث ستدافع عن كل ما فيها من حفنات للتراب، ولتمت بعد ذلك فلن تهوي لتغتصب هكذا أمام أعين الكون الأبكم، هي ستموت لتعيش أجيال بعدها ثم تموت ولتعش أخرى، وهو ينظر إليها هاربا من صمته وقلة حيلته، ليقف أمام الكون بصورة أكثر واقعية دون أن يبالغ في وضع المؤثرات..

هي كما هي بمؤثراتها وبموسيقاها الملهبة للحماس، حيث تهوى الرؤوس وتقتل الأنفس أمام المدافع والرشاشات، فلا يبين ضوء النهار..

وهاهو يركض رشيقا كما لو لم تكن تملئ حشاياه الشحوم، ما باله غير أن يعمل بموسه قتلا في الصفوف، هو يقاتل بموسه المدافع والوجوه الجزعة من وراء الصفيح المحترق، وهو العالق بين

أنفاس الموت والحياة، وكذا هم جميعا يتراكمون هنا وهناك بكل ما لديهم، ومن بين فسحة الدخان الأسود كان سالم من وراء الجدران يطلق القنابل..

سالم لديه قنابل وهي تهوي على الدبابة فتفجرها وتحرق قنابله الأرتال المتتابعة، وهاهم أهل قرية يضرمون النيران ببنادقهم، وبسكاكينهم يبقرن بطون أولئك الصهاينة، وهو يفعل فعلهم وصرخات زريفة تقتل هنا وتقتل بسكينها هناك، صيحاتها تشد من أزره والدخان يحرق أفئدتهم ويخنق أنفاسهم، لتدوي قنبلة المدفعية بين صفوفه، جعلتهم يتطايرون كالورق الهش إلى أشلاء مبعثرة، تلاصقت وأجساد الأحياء والجدران والصخر على جنبات الطريق الترابي، ورائحة الدم تزكم الأنوف المسكونة بوشاح السواد..

طفق يبحث كامل عن زريفة ولم تبين صيحاتها، وقلبه اهتز بين جدرانه وأخذ يقلب الأشلاء لم يدرك منهم شيئا، هذه يد الشيخ عبد السلام من الخاتم ذي الفص الزمردي وهذه قدم الحاجة رملية، فقدمها صغيرة وحذاؤها ذو وردة حمراء..

ولكن أين زريفة؟؟ هذا البطن الصغير المتكور يعرفه، بل قد إلفه
إنه جزؤها العلوي، وقد تناثرت ساقاها إلى حيث أصبحت أوتادا
لحرب أخرى..

هو لن يكتفي بالركض يحملها والحلم في أحشائها وشعرها الأشقر
المغمس بالدم يتهدل على كتفه، ودمائها تملئ ثوبه المائل
للصفرة...

أخذ يصيح السمع والبطن المتكورة ترتل..: "إلا تحزن أبي فادفني
في رحم أمي الأرض.. تلك أشهر معدودة ثم ستلذني حين المخاض
والآلاف مثلي..."

[رجوع للفهرس](#)

البيت الرملي

إليك قاتلتي أٌزجي بخلوصِ المتيم
خنجرُك الرابضُ في عميقِ السديم
أُقيتُ فيه استغفرُ باسمِك بالمدام
قطراتُ دمي النازفةُ وأهاتي والنديم

أنطقت قلمها ليفيض بأوجاعها الموصدة في خوالج الروح، حين
رأتُ في محياه لهيبَ الحب من نوع آخر، من صور أخرى من صور
الجمال المبعثر على النواصي وعلى الرمال عند الشاطئ الأزرق،
حيث لا أثواب ولا تجلة ولا قيود بل كل يتضور من بضع أستار
شفيفة يصفدها على مكاره الجسد.

وأنت يا قلبي لاه هناك بلا فواتير تدفعها لنادل، ملاصقا لأبراج
الحرية وأطياف الحسنات، غشاوةً مبيضةً خُطت دفاتري
والأقلام..

تتندر ضاحكا تراك أشرق وأُغرب فلا وابل ولا ظل؟؟

تناكفني حين تبين بضع شعيرات، التصقت بحبات العرق المصفد
على الجبين المغطس بالملح ومعشق بالكدح، حين بنينا معا بيتنا

الصغير من الرمال، وعشقناه بالأصداف المختلصة الرواح من
غياهب البحر ولججه، ليذيقها المد لذة العاشقين وصحبة في
الخلاء، لتتعري أمامه من حر الذهب، وتتموج تتراقص.. ملتبهة
على أمواجه ويخونه الجزر، فيتأوه صارخا من جزعه يمد سبل
الشقاء لعناق أبدي، لكنه القدر من تراهن على البعاد، وأنى من
قرايين لشهوة أخرى فقد فات الأوان..

رهبتي فيك منك خفوق الغريق بلا غلواء خيفة الحتف، ألم نتعاهد
على الموت متعريين من أصداف الدنيا وما خطه البشر؟؟

أتماري الآن شهوتك في حين تأزرت فيّ في الركن القبلي لبيت
الرمال خاصتنا، حينها غصت فيّ وما أدركت الصدود، وكيف أصدك
وأنت حبيبي وأنا الغائمة في روحك؟؟

أؤنب نفسي لأنني أشتهيك؟؟

أأغتسل بماء الشعور لأتطهر من كينونتي كأنثى..؟؟

لما عليّ أن أقضي صلواتي وأنت على جنابة بقربي؟؟

ما أسجدت وجهك حمدا لله على فضي بشهوة ذاك النهار..؟؟

رمقتني بعد غياب وما اشتهيتني ثانية، لَمَّا كان بيننا كتاب وأرقام،
طوحت حينها رأسك بالهواء وتثاءبت وكأنك ما نمت لدهور،
أخذت في الحياء.. وخليتني؟؟؟

بل ما ينفعني كُرُّ الشهور وقد قطع حبل الوريد.. واصبحت عاهرة
أمامك، وأنت زوجي أمام الله، و مناصفة أمام الخلق.

أهويت كالخيل على كلاكها بنهم حينها وخليتني حين شبعت..؟؟

وها أنا ضمخة اليوم بأوجاع وسهد، وتتدح أوراقى على صفحة
العمر سوداء بالية، سدقاتُ سماءكِ والرياحين أدلجت في الهيام
قوت السنين، وها أنا في دهاليز الظلام امرأة قد غدوت بلحظة
طيش، قدتني إليها يا زوج المستقبل بصوتي الرخيم قلتها لك
حينذاك، وبخنفرة من صوت نبع من داخلك أجش، لأول مرة اسمعه
وبعينين زجاجيتين زارت: المحيط الهادر هاهنا أبحري فيه.؟؟

وأين رخاوة الزمن والزرابي المبتوثة والنمارق المصفوفة؟؟

أما كانت تلك أركان بيتنا الرملي ..؟؟

أقعبت على جدار الزمن ارتجي السيارة، وأنى لي بهم.

وي كأي صريعة على جدار عفن، كالماء القراح أتبختر بجراحي
المالحة، معذرة لإبطائي يا سيف الخلق لتعمل فيّ تفصيلاً، فإني
كالماخوذة بصعقة تتأبى على النسيان.

ليته الحلم يا قلبي الذي خلاّ البيت الرملي قاعاً صفصفاً، يأخذ وإياه
كابوسي!!

لأظل قديسة المعبد وقد تقدست نفسي عن الشهوات، طواعية
انعتاقي للمحراب، لكن اصطكاك أسناني وضمير الوجنتين وقد
غارت العينين في بحر الأبدية، من جعل مستقري مشكوكاً في
الأرض تدورني الأفلاك مكاني، أتأجج بقراحتي وقد تألّبت
والمقاصل عليّ.

وخلتك يا دنيء وقد روغتني ويحي فيك مبكاي جروحا وانكساري..

أسعف فمي والروح فقثيلك رهين الظلام!!

بل أسعفني ولا تذرني كؤوداً أصارع التروس والخوذ!!

فكوة أبوابي والمزاليق بيدك، وقشة الحياة عالقة بين العار
والقدسية..

ألا ترأف بحالي وقد طفحت عيني بدموع المحار؟؟

تتضحك بل تشهق حتى بهذي تعيرني دموع التماسيح؟؟

أو بعد كل هذا وبيت الرمل تطويني كورقة وقد هويت كطائر مذبح،
أيقظني فأنا لا أعرف التحليق دونك، هكذا كنت ترتل على مسامعي
وقد فتحت لي قلبك وأريتني النقش على بابه، لم أكن أعلم حينها
أنك مزيف وذهبك رخيص، سأستعير دمائي لتغدو مدادا لتواتيني
شجاعة المسير وحدي، وقد تغيرت بكليتي بعد حرية أوصدت
يتيمتي بفجائع، وقد أوهمتني بالعاجل وقتلت ما قد تأجل..

ها أنا أراك وأنت عار تماما أمامهن أبله أخرق، بل نذل دنيء ليتيني
رأيتك يا خفقات مهجتي والمدلسات من قبل هكذا؟؟

وأنا أنحت حجر البيت الرملي وأنفخ فيه لأبتعث فيه الحياة..ونقشت
على تاجه اسمك من دمي..سهوا سهوا صليتُ وصمتُ ووطئتُ
بالحسام أحلام زاهية وعبثًا لونتها.

وغدوتُ بلا بصيرةٍ أبوحُ بولهٍ للنجم، أراقصُ القلاصَ ربوعًا قتيلًا
بالسهام، دُس عليّ فرق فيّ كُلي فأنا بك حطام يا قدرِي..

وها أنا اغتسل بالماء والثلج والبرد، أرجو رحمته وأخاف عذابه،
إن عذاب ربك كان محذورا..

أوليس الله بكاف عبده..؟؟؟! [رجوع للفهرس](#)

المهاجر

قصة " المهاجر " للأديبة / رولا عبدالرؤوف حسينات/ الاردن
الفائزة بالمركز الأول في مسابقة المدونة " المستوي الأول "

رمى السجارة من فمه وداسها بقدمه، وأمال قبعته مخفيا قسماته
الكئيبة، ودس يديه في جيبه.

انكمش جسدا ضئيلا من شدة البرد، حينها هاج موج البحر،
وتلاطمت تتلقف السفينة جيئة وذهابا.

تتادت الأصوات: " هلموا ايها البحارة شدوا الأشرعة، عاصفة
تقترب".

رمقه القبطان غاضبا وتعالت الشتائم: " ايها الغر هلم إلى حزم
الأشرعة، ويك من صعلوك جاحد.

ما همه كآبة السماء، فأين هي من ظلمة وجهه المليء بأشواك
لحيته؟ التي نسي مذمتى كانت آخر مرة رأى فيها شفرة الحلاقة.
أخذ يمشي الهوينى هازئا بكل المخاطر فإن إتقمه البحر ودفنه في
غياهب ظلماته فأمره بالحياة والممات سيان.

سقطت منه كل مفردات التفاؤل.

أخذ يحزم الأشرعة مع الآخرين بحسرة يطوي دفاتر أيامه، ما
رمته أمواج الدنيا إلا حاصلا على تفوق في الحساب، وما راودته

الوظيفة عن نفسه بل عشقت ثملي المادة وعشاق الزيف
والخداع.

أخذت الأمطار تلفهم والبحر بغطاء من فيضان الأنفس، لتتضح
بكل أسى فيهم.

تعلقوا بالصواري وكثير منهم غاص، ومن موج البحر هاجت
الأرواح متضرعة بالوصول لبر الأمان.

وأي عذاب يأتيهم بعد هذا ليكشف سوءاتهم؟؟ تملقوا السماء
بضراعة، حينها أغمض عينيه وتعلق بأخر أمل له في الدنيا،
طريدة المعشوقة رباب.

أين عنتره منه؟ بل هل يجاربه مجنون ليلى؟؟ بل هو إبراهيم
(مجنون رباب).

وما ارتمائهم جوف الموت إلا حسرات على من تلقفها زواج
ضرع الغنى، فارة من فقير الفقر هازئة بكل تعاليم الحب التي
حفظها معا.

فماذا بعد؟ فقير يلفه جناح القتامة بكل خطى حياته.

فما يظنيه عن هجره مرفأ البلاد؟.

صمم في نفسه حين التجأ إلى البحر بحارا، أن يسرد قصته عند
خلجان الغربية، ما تعيقه الأسوار.

مضت ساعات طوال وهم في هيجان البحر الغاضب وسأم السماء،
غمرتهم الأمواه بشراسة فما استطاعوا طلب النجاة.

و مد البحر بعد حين حملهم إلى صخور الشاطئ بلا أشرة ولا
صواري باسقات.

صحا على صوت النورس محلقا في السماء الزرقاء تيقظت
حواسه، وهو يرمق بغشاوة العين خليج وبيوت قابعات، ما هذي
البلاد بلاده؟؟

إنها حلم مستقبليه، بالكاد أفلت قيده من الماضي التليد، محررا
روحه من سقمه، ناظرا إلى الأمل يلوح في الأفق، أبحر بجسده
في المياه الضحلة، غير آبه لرفاق السفر فما تعارفهم سوى أشهر
قليلات.

وصل مبتغاه وهذا الأهم، حظ براحلة قدميه القواعد الأسمنتية، ما
درى أين يشير عقرب بوصلته؟؟

البرد قارص يجمد الأوصال المشرئبة بالمياه. بدأ المسير وبدأت
الغيوم بالتكاثر ناشطات.

بحث في جيبه عن علبة السجائر وجدها غارقة بالمياه، ألقاها
شامتا الحظ العاثر، وسوء الطالع يلاحقه حتى في غربة أسفاره.
ومن بين المحال المتناثرة الجأ نفسه إلى محل رمق فيه ما يسد
جوع ليال.

قطعة من الحلوى بتسولها، فالجيب ينتفض من بور أرضه.
مشى متثاقلا، وقف أمام الزجاج، لم يطق رفع عينيه فقد أعجزه
السؤال، حينها فتح الباب ورنّت أجراسه، إذ بها تنتظره فكأنما تعد
خطاه. استقبلته أما، وكأنما عرفها منذ سنين سيدة ما وجد السواد
له محلا بين الخصيلات البيضاء.

ووجهها المستدير بعينين ضاحكتين، وكأنهما تحكيان قصص
التائهين في الخلجان، بقصرها وسمنتها توصي بكرم الضيافة
للمنسين.

أجأته تائبا طالبا غفران المستعطفين.
أجلسته إلى كرسي خشبي وبابتسامة قدمت له فنجان الشوكولاته
الساخنة، وقطعة الحلوى المنقشة بالسكر.

دعته برقة ووداعة تأخذ بما أفضى إليها من ذكريات، فقص عليها
ما قد سلف من نكران الزمان.

تأوهت وأبكتها العين بحرقة، فقد تذكرت حبيبا سكنت روحه في
جدران المكان، لكم تافت الروح لحبيبها، هكذا وقعت عليه أول
مرة عابرا الشيطان.

فتاة شقراء أوقعها في شباكه الصياد وأدخله أبوها حماه فلاذ
بقلبها من أول مرة وما لها من كرة.

فقد سلب المفتاح، وعاشا معا دهرا ذابا في حزن الكد ودفئهما
حبا ذائبا بعرق الرزق.

أخذت تمر بأناملها على الزجاج تروي حكايا الحلوى الذائبة
بالعسل والمحلاة بالحبّة السوداء، وغيرها مما زاده لصنعتها في
بحر الحلوى المغربية المنصهرة بالحلوى الإيطالية.

صمتت وهمست: " لقد دفن جسدا وروحه ذابت وجدران المكان،
اشتتم أنفاسه".

انهمرت دموعها انهارا وهي تبعثر بأناملها في أحد الأركان،
أخرجتها من عتيق الذكريات علبة سجائر، ما كان غيرها يتمايل
بين الشفاه.

أمسكها وكأنما أمسك عشيقه تاه عنها بحرا من السنوات، غمزته
وكانها تقول: " نصيبك خبيء لك".

لقد أعجبها اسمه فقد كانت حالمة بين جنباته (إبراهيم رسول
كريم).

وكانها ما فوتت حرفا من الحروف، مسيحية تقبل أديان السماء،
ما تميزها عن نساء المغرب بلكنتها ومزحاتها وبريح حلواها،
وكانما جبلت بذرة وساقها في أرض الله.

صمتت ونبتت وكانما عجلت بذكر خيفة النسيان.

ولجت إلى الحاسبة بكبر حجمها، وعزمت أمرها أن لك هاهنا
طيب المقام، متديرا صالح أمره وأمرهم.

تركته أمينا في المحل، ودخلت بابا موصدا أغلقت وراءها ريحا
دافئة.

اذرف دمع العين: " وي كأنه وميض الأمل يسقط عند قدميه على
استحياء".

ما أطالت مكوثه وذكرياته، جالبة ملابس دفيئة ستجمع صبر
الأيام، انسل خلف الستارة يلقي غارق الثياب مرتديا ما يدفىء به
البدن.

حط قبعته جانبا، فانزلق شعره ناعما يصل الكتفين، وارى الستارة
جانبا، وما أن وقعت عيناها عليه حتى صفقت وحضنت كفيها: "أه
ما أجملك، تنضح بالفتوة والشباب".

حينها رنت أجراس الباب، وفتاة شقراء تهدل شعرها الذهبي مثقلا
بحبات المطر، ومسحت أنامل الريح على وجنتيها حمرة فأضحت
حورية في سبيل الحوريات.

هللت السيدة العجوز بها، وبلغتها الإيطالية جمعت لها الحروف
والكلمات مبعثرة، عرفتھا بالشاب إبراهيم، وجم حينها وتاه في
زرقة السماء، وسهما وقع في صدره قطع القلب أشلاء.

وتنادى اسمها (غريتا) نجوم الليل وضوء القمر.

واشتهاها حبيبة تشق بريحها همس الندى، لامست أناملها أنامله،
تلاصقتا معا وكأننا قدر قدر حبا أبديا.

أين رباب من غريتا؟ أين الثرى من الثريا؟؟

ومرت الأيام تلعب أنامله على كبسات الحاسبة ضربا على مفاتيح البيانو.

وجلس يوما ظهره إلى باب الزجاج، عاملا أنامله راسما وجوها تقف تتلقف لهفة العشاق أمواج البحر.

أخذت أعينهم تناظره رساما قد أبدع، فجعلوه محجا لأوتار الرسم، وشاهدا على اليوم وتاريخه.

وعلى قماشة ألوانه تناثرت الروبيات تتلأأ صادحة في الصدى. كل يوم حاله جامعا المال بمهنة وهواية.

ليحفل بغريتا عروسا في حجرة، سقفاها الفضا وجدراؤها همس الليل وقطرات الندى، يلتحفان السما ووسادتهما خيوط القمر نورا يلفهما نورا.

وفي يوم جاء يشق سكون الفجر، فرأى الباب موصدا وعلت الشمس على استحياء، أرسلت نورها فما نبس الباب بكلمة.

مرت ايام وجم القلب، وتاه في السبل حائرا. أتراه حبا طعن في السراب وتلاشى؟؟

حينها على الطرقات جلس، يتم حب العاشقين بلهفة قيد لا يمحي،
وجعل ليله يعتل البضائع المتكدسة في الميناء.

هناك رمق أولئك من كانوا بحارة رفقاء ماجوا وموج البحر
غرقى، يعتلون أكداسا تناثرت على الجنبيين تنوء من أثقالها
الأجساد.

وصف له الألم بردا في رئتيه، فسقمتا تتأوهان بالبلغم والصديد
وليفا أياما، وتلاشى من السقم بين الأكداس مستجدا، جلدا يتبدل
جلدا.

وفي سقمه رسم رسمها من خلجات نفسها، تضلعت لوحة ولا
أجمل (غريتا يا ضوء القمر).

حج إلى المحل فجرا، وضعها أمانة الباب الزجاجي الموصل،
شاهدا على حب أذن له أن يتبعثر.

ومضى يشق سبيله في الدنا، مضى هو، وابتغى غريتا وأمها ابنتين
من (ميلانو).

فقد طارت برقية إلى الأنامل، أخ سلبه الموت موضعا، ولو أنهن
ظلمن أنفسهن بميعاد فما خسرن القيا.

لقد كانت ثروة طالتهما بعد دهور في الفقر قاصرات، وقفن ينظرن
لهفة العاشق، تنبس بها كل ظلة في الوجه.

وناظرتها عين ثالثة معهما، يسرها القدر ناقد باحث في الأرجاء
عن مبدع لقد صرخ: "إنها تحفة (المولينيزا) تولد من جديد.

وتلقفها واضعا إياها في متحف الفن، ووزنت بقدر دافق من
المال، عنون لإبراهيم.

طفقت تجد تجول في الطرقات، شكت لرمل الشاطئ وعشاق
المكان، فوصفوه لها جالسا يرسم هاهنا.

فافترشت الأسوار، وقد تقاسمت: "أن بلهفتها تنجو من سخط
عاشق، ودموع عينيها تشق الوجنتين".

بلهيب العشق مضت ساعات، وما أتى أزف الليل أن يستر ظلمة
المكان ظلمة غيمه.

آذن لها هيجان البحر العودة، لفت نفسها بنفسها هائمة في
الطرقات تتلاشى، ما أوقفها سوى صدى حسيس الخطى، تلفتت
فما أخطأت رسم الخطى، عاشقا ثملا بالانكسار.

ارتمت عند قدميه باكية، تمطرها السماء تغسل ما يشوب النفس
من الأوجاع.

تلقفها جاثمة يداعب خصلاتها الذهبية، مقبلا الجبين يلفها
مندسين في حب فار فما اهتدى.

حينها آذن زواجهما إكليلا فكانت جائزته ثمنا لشرعية وجوده،
بذرة لأبناء تجنسوا وتجانسوا في تراب الغربة أجسادا وأرواحا.
فتلك ترتيلة مهاجر رسمت له تقاسيم القدر أهلا ومستقبلا، ما كان
ليكون له في ارض منبته حتى لو سقم.

[رجوع للفهرس](#)

منعرجات النسيان

تفل بصاقه في المغسلة الصدئة أمامه وقد التصقت به دماء سوداء،
متقوسة أماله وقد هُزم سلطان النوم أمام طبول النهار، التي ما
تلبث أن تنتزع منه أجمل أحلامه المسروقة، منكمشا على ذاته
المطعونة بتشوهات مجتمع نتن.

تأمل وجهه المليء بأشواك ما وجدت الشفرة البادحة، طريقا لها
بين ما شاك كغابة شعناء، رماها بكل قوته فانكسرت على البلاطات
المتلاصقة بقذارة صفراء، جعلت قطرات الماء تنزُّ من الصنبور،
وقد أمال جسده فاتحا يديه لعله يملؤهما بما يشطف به وجهه المائل
للسواد، ما استطاع أن يبيح لنفسه القليل بعد لعله يغير شيئا في
تلك البقعة السوداء، التي التصقت بوجهه منذ سنوات خلت، يوم
أخذت النيران تلتهم دكان أبي سعدون الاسكافي من ابريموس
الشاي، وقد ذابت قداحته قريبا من المنضدة الخشبية والتي ارتكز
عليها البابور، كل شيء كان عاديا قبلها وهو يركز عينيه على تلك
الفتاة الملفوفة بالشال الأحمر تتمايل في الطريق أمامه المكتظ
بالدكاكين، ما استطاع أن يميزها عن حبات المانجا بين يديه يرتبها
في الصناديق المصطفة فوق بعضها البعض، و لم تكن كالتفاحة
الحمراء في شكلها لكنها برائحتها ولونها تحكي الكثير عن كل فنون
العشق، أخذت تتخاطر في باله تمر مرَّ السحاب.

الحب أتراه أم العشق ذلك الجمال كله يدبُّ على الرصيف الممتلئة
زواياه بالكثير من بقع الماء؟؟ عائمة على الطريق تلتصق بأحذية
المارة، تزدهم بهم الدكاكين على الجانبين والطريق الضيق يطوي
بُعد المسافات لوحده، يعبث بنظراته جسدها الغض وطرفة عينها
الكحيلة تذبجه بل أخذت تخزُّ بظرها في قلبه الوحيد.

أي قدر كتبه له هذا الجمال وتلك النظرة الذبابة، ليته تعلم نظم
الشعر في المدرسة ومشط شعره بمشط ذهبي و غير حياته كلها،
لكنه اتخذ من الدكان بين الصناديق المرصوفة بدلا مشكوكا
كدبوس في الإسفلت، فعصا عمه أبي قعدة ما فتئت تدق رأسه كلما
أطل بخياله عبر الطريق ليشتتم ريح الفول والطعمية من دكان جابر
الفوال وهباله الساخن يتراقص كأفاح تسرقها الأنوف العابرة،
والتي تزدهم بها دكانه وتلك الأيدي تتدافع كلُّ بقطعة النقدية
لصحن فول وعليه رشة من الكمون وقطع البقدونس الخضراء
ورشة الزيت الأصفر تلتمع على صفحته

البنية كدراهم ذهبية، وما طال بخياله ليزاحم الأجساد المتلاصقة
والأنفاس المتداخلة فقط عيناه من توغلنا لتلمظ لقيمات من هناك،
كان يكفيه برتقالة ناعسة، ما كان يكفيه سوى الصمت أن يصمت
كل الوقت وهو يتعلم الحساب وأسعار الصناديق وطبشة الميزان،

لكنه ذاب بهذا الجمال الذي تهافتت روحه عليه مجرد أن داست
بقدميها، وقد بانت سيقانها من الشرخ الطويل في فستانها المقلم
الضيق، جعلت أحلامه اليتيمة على وصادته تتجمع أمامه كحورية
عارية في الجنان وهو يسترها بجسده ليتذوق وإياها التفاحة،
ويعرفا مفاتن الدنيا كلها ويعبرا المرج الذهبي ليتعمدا في ماء الرب
في النهر المقدس، والريح تغني بقصيدة غزل تائهة مع خرير
منساب إلى حيث يذوب سحرهما في بحر يلاصق بزرقته صفحة
السماء، ليته همس الليالي الخوالي من ما يشفع له بحب عذري!
تلهبه رقتها بقبلة عابرة من عينيها، ثوان فقط تلك التي رمتها بين
أحضانها كأبي زيد ينتزعها من لسعات اللهب وألسنة النار تقبض
على ثوبها، أطفالها بجسده وتلك القطع الجلدية تتناثر وتلتصق بكل
الدكان وتلك القطعة السوداء اتخذت من وجهه ملاذا أبديا لها،
لتنغمس في لحمه وهي تذوب بين يديه جسدها مكور غض، يضغط
عليه بين يديه، له وحده دون غيره يطفئه بنيران حبه، سيله العرم
يغرقها مذ أن احتلم وهو يمج من القناديل المعلقة في حلقة الليل،
ما لوحه به ضوء النهار.

واعتقها من النار وأباها مازال يضرب الكف بالكف والنيران
تستعر بشهوانية تلتقف بدخانها الأسود كل ما تبقى، كل شيء أمام

النيران غدا ضعيفا، حتى تلك الأمواه التي تراقصت على استحياء
نوت، وقد أفضت الدكان خالية مما كان فيها، وهو ناره ما فتنت
تستعر من لهيبها يقلبها كيفما يشاء وهي ملتصقة فيه، وكأنما تلاقيا
من بعد فراق، وأودعها بين الصناديق في مخدعها يدخل عليها
وقتما يشاء.

جعل يقلبها وهي تتوارى بالحجاب وقطع خلوتها صوت أبيها
يسوقه وجعه لوجع ابنته و قد لفتها النيران، سراب كل ما كان.."
ليتني أفيق من كابوس." همس الكلمات انتشلها من بئر العميق،
وحده يستشعر ألم ما التصق في وجهه بقعة أبدية وصمته كتميمة
العمر المارق على عجالة، يستأنس بوميض اللحظات.

وها هو اليوم يقلب نظراته العاجزة في المرأة ما تفيده أن يتفل هنا
وهناك وقد انتهى كل شيء لقد تاه حلم وصادته، ليغترف من حفقات
النور المتساقطة على بصيص ذكرياته الصائمة، مغاريف من سوء
على سوء عندما أغلق باب أبيها، حبيبته ونحيبها يخرق سكون
الليل البارد ورفات عظامه تذروه الرياح، وتسقيه المزن لينبت كل
كراهية لعذرية الزمن الذي أقض مضجعه، لقد فهم أخيرا مسألة
المقامات، فهي تفسير لنظرات أبي جرجس الأرمني الأمرد وصفحة
وجهه البيضاء قد غارت بهما عينان صغيرتان بتجويف زمني،

وحاجبين قد غطتهما عمامته البيضاء التي لا تفارق رأسه منذ عرفه، عندما جاء لأول مرة وفتح إلى جوار دكان الجزار سنقر محلا للطور، والذباب يتراكم على تلك اللحوم العفنة التي يبيعهها وتلك الطور التي تلهب حواس النساء فتراهن كالحجيج إلى دكانه، وعلى الضفة الأخرى أقمشة حريرية ذات ألوان زاهية، تزيد الجميلات حسنا وجمالا، ودكان ودكان سوق طويل كطول عمره عرفه مذ كان صغيرا يُضرب بالعصا، وهاهي تلك الحسناء توصل نافذتها، وقلبه الثائر في جوفه ينسجها فتلة فتلة ثائرا على وسادته الخالية في منحرجات النسيان بلا حب..

[رجوع للفهرس](#)

مدينة الأشباه

هَلْ كَانَتْ آخِرَ أَنْفَاسِكَ مَا تَسَاقَطَتْ مَدْوِيَةً فِي نَفْسِي الْمَشْرُوبَةِ
بِالْأَحْزَانِ ؟ لَكُمْ ثَقْتُ لِنَطْقِهَا أَمَامَكَ دُونَ أَنْ تُبَارِحَنِي تَفَاصِيلَ خَجَلَةٍ
، أَنِّي مَا زَالَتْ أَنْتَاكَ الْحَبِيسَةَ بَيْنَ ثَنَائِكَ الدَافئةِ ؟ لَكِنِّي الْآنَ قَدْ
سَقَطْتُ ، نَعَمْ ، سَقَطْتُ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَدَثَّرْتُ بِوِشَاحِكَ الْأَبْيَضِ وَتَكَفَّنْتُ
بِالْمَوْتِ بَدَلًا مِنْ عِشْقِي وَإِيَّاكَ .. لَمَّا فَعَلْتِ هَذَا أَتْرَانِي قَصَّرْتِ فِي
ثَمِّ قَلْبٍ كَمَا جَعَلَ الْمَوْتَ غِلَافًا لِقَلْبِكَ ..؟ حِينَمَا كُتِبَ عَلَيَّ أَنْ أُودَعَكَ
لَمْ أَجِدْكَ ، كَمَا أَنْتِ دَافِي ، كُلُّ شَيْءٍ فِيكَ بَارِدٌ ..

رَحْمَةً حَبِئًا الْوَاسِعَةَ تَصَلَّبَتْ فَلَيْسَ لَهَا مِنْ نَجَاةٍ . أَطْرَافُكَ ، مِعْصَمُكَ
الْأَبْيَضِ ، أَرْبَعَةُ أَنْفُكَ الْوَرْدِيَّةِ بَدَتْ أَشَدَّ بَيَاضًا ، شَعْرُكَ الْمُرْتَجِفَةُ
أَوْصَالَهُ مُنَاجَاةً لِلرِّيحِ ، جَمَدَ الْيَوْمِ ..

كَمَا أَرَدْتِ .. أَصْبَحْتُ صَلْبًا قَوِيًّا لَا يَهْتَرُّ لَكَ طَرْفَ بَلَا حُمْرَةَ لِأَرْنَبَتِكَ
.. وَلَوْ أُوْدَعْتُكَ خَاتِمَكَ ذِي الْجَوْهَرَةِ الْفَيْرُوزِيَّةِ ، حِينَهَا تَتَوَقَّفُ سَاعَةً
الزَّمَنِ لِمُهَاتَرَاتِ الْمَارِقِينَ لِتُوصِدَ رُوحُكَ ..

لَقَدْ انْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ عَزِيزِي وَلَمْ تُخْبِرْنِي عَنْ قَرَارِكَ لِناقِشِنَاهُ سَوِيَّةً
، بَلَا شَحْنَاءَ هَذِهِ الْمَرَّةِ ، أَعَدَّكَ رَنَا الْحَمَقَاءِ لَنْ تَتَفَوَّهَ بِكَلِمَةٍ تَغْضِبُكَ
سَاحَتْسِي الْقَلِيلِ مِنَ الْفُودِكَ لِتُشْعِرُنِي بِالْدَفْعِ لَكِنِّي سَابِقِي أَتْرَاقِصُ

وإياك، حَتَّى الْفَجْرِ لِيَسْتَعِيدُ سَرَّاجُ الظُّلْمَةِ رَوْنَقَهُ مُنْسَابًا بَيْنَ يَدَيْهَا
أشْرَعَةَ الشَّمْسِ الْمُجَنِّحَةَ..

لَا تَخَفُ سَاوِي لِمَخْدَعِكَ إِلَى جُنُونِ الْحَبِّ فِيكَ .. دَعْنَا نَثْمِلُ ثَانِيَةً
هاهي أرضية الصَّمْتِ تُنْذِرُ بِرَصِيفِ آخِرِ وَقَارِعَةٍ عِنْدَ كُلِّ نَافِذَةٍ ..
مِنْ سَنَةِ جَدِيدَةٍ ..

لَا تَعَشَّقَنِي بَعْدَ الْيَوْمِ فَإِنِّي غَاضِبَةٌ لَا لِن تَغْمُضَ عَيْنَيْكَ عَنِّي.. وَقُلْ
لِي الْحَقِيقَةَ حَقِيقَةً الْغَمَامِ الْأَسْوَدِ الَّذِي تَأْرَجُ، عِنْدَ أَوَّلِ لِقَاءِ لَنَا عِنْدَ
الطَّرِيقِ الْمُتَعَرِّجِ..

أَتَزْعَمُ أَنَّكَ لَمْ تُسْمِعْنِي.. بَلَى لَقَدْ فَعَلْتِ.. أَنْصَتِ لِي قَلِيلًا أَنْصَتِ كَمَا
تُفَعِّلُ الْجَدَاوِلَ الْمَارِقَةَ فِي زَحْمَةِ الْأَمْوَاهِ الطَّلِيقَةِ وَأَنْ وَضَعْتَ
وَشَاخَكَ اللَّازُورِدي.. فَقَدْ أَقْسَمْتَ تَقَاسِيمَكَ الصَّامِتَةَ أَنْ تُذِيبَ كَتَلِ
الْجَلِيدِ عَن خَبَايَا قُنْبُلَةٍ مَوْفُوتَةٍ، لَا تَرَأْفَ بِحَالِي فَسَارِيحِكَ مِنْ رُؤْيَتِي
إِلَى الْأَبَدِ كَمَا فَعَلْتِ لَا تَأْخُذُ بِبَالِكَ..

فَإِنَّمَا هُوَ الْكُحْلُ يُورِّقُ عَيْنِي لِتُدْمَعِ سَائِلًا مَالِحًا يَحْرِقُنِي .. تَشْبُهُ
الرَّمَادِ عَيْنِي لَكِنِّي سَاهُجِرُ الْكُحْلُ إِلَى الْأَبَدِ.. حَبِيبِي..

فَلَا تُحْزِنُ سَارَاكَ يَوْمًا فَلَا تَتَّبِعْ عَزْمَكَ بِامْرَأَةِ أُخْرَى فِي عَلِيَانِكَ
عِدْنِي إِلَّا تُفَعِّلُ ...

وَقَفَلَتْ تَحْمُلُهَا قَدَمَاهَا الْمُنْهَكَتَيْنِ، بِقِوَافِلِ مَالِحَةٍ تُوجِّجُ جِرَاحَاتِ
الرُّوحِ مِنْهَا قَبْلَ الْجَسَدِ، وَمَاذَا بَعْدَ؟؟

بَعْدَ أَنْ تَمْضِيَ كُلَّ هَذِهِ السِّنِّينِ لَوَحْدَهَا، سَتُغْنِي الْعَصَافِيرُ لَحْنَ الْعَامِّ
الْجَدِيدِ بَعْدَ أَيَّامِ مَعْدُودَةٍ بَلْ سَاعَاتِ مَقِيَّتَةٍ، مَمْلُوءَةٌ بِالْمَخَافِ مِنْ
تَقْيِيدِهَا بِتَهَكُّمِ إِلَى فَاتُورَةٍ جَدِيدَةٍ مِنَ التَّعَاسَةِ ..

لَمَلَمَتْ جَسَدَهَا الرَّقِيقَ كُومَةً مِنْ عِظَامٍ مَبْلُولَةٍ بِقِشْرَةٍ بَيْضَاءَ كَمَاءِ
النَّجِّجِ .. فِي مَعْطَفِهَا الْبُنْيِّ الْمَوْشَحِ بِنِقَاطِ سَوْدَاءِ دَائِرِيَّةٍ تَقَطُّعُ تَمُوجَهُ
بِفَتْرَاتٍ مُنْتَظِمَةٍ .. شِعْرَهَا الْأَشْقَرُ مَتَهْدِلُ كَأَصَابِعِ حُورِيَّةٍ تُفَكِّ
جَدِيلَتَهَا، تَحْتَ شُعَاعِ الشَّمْسِ الذَّهَبِيِّ لِتَغْتَسِلَ بِالنُّورِ ..

كُلَّ مَا فِيهَا يُنْطِقُ بِالْجَزَعِ الْقَتِيلِ بِنِوَاصِلِ الْفِرَاقِ .. أترد على أعقاب
الزَّمَنِ لِتَمْضِيَ بِحُمْرَةِ شَفْتَيْهَا الْمُكْتَنِزَتَيْنِ وَالْحُمْرَةِ الذَائِبَةِ، بِأَصِيصِ
زُهْرٍ خُدَيْهَا، كَحَلِّ عَيْنَيْهَا كَزُرْقَةِ الْبَحْرِ الْمَائِجِ؟؟؟ لِتَتَوَسَّطُ الطَّرِيقَاتِ
لِتَتَرَاقِصُ عَلَى أَنْغَامِ مُوسِيقَى الْعَالَمِ، عَالَمِهَا هِيَ يَضِجُ بِجَوْقَةِ الْحَبِّ
الْأَبْدِيِّ، كَمَا تَلْمِيزُهُ بَيْنَ يَدَيِ الْقَدْرِ ..

لَامَسَتْ عَيْنَاهَا أَفْقَ الْبَحْرِ الصَّامِتِ، رَاكِدَةً كَمَا نَفْسُهَا بَلَا زَوَابِعِ
تُنْهَضُ فِيهِ الْحَيَاةُ مِنْ مُهْدِهَا .. صَفْحَتَهُ الْمُتَلَازِمَةَ بِسِيَّاحِ الْمُحِبَّةِ
الْبَارِدِ مَعَ السَّمَاءِ الرَّمَادِيَّةِ ..

مُكْتَنِرَ أَنْتِ يَا بَحْرَ بِقَوَارِبِ أَنْاسِكَ الْوُرْقِيَّةِ يَتَبَادَلُونَ وَإِيَّاكَ صَفَحَاتِ
مِنْ صُكُوكِ الْغُفْرَانِ..

اعجيز أنت أن تغفري ولم لا تصنع قرابين المعروف، لتكن إنسانا بلا
طوايع بريديّة..؟؟

قَطَعَ خِلْوَتَهَا أَنْفَاسَ كَمَا لَوْ عَرَفْتَهَا مِنْ قَبْلِ، بَدَتْ أَكْثَرَ حَمِيمِيَّةً،
ذَاتَهُ عَطِرَ يَنْشَلِخَ لَهُ هَيْجَانَهَا رَغْبَةً فِيهِ .. قَدْ رَاوَدَتْهَا نَفْسُهَا أَنْ
تَنْظُرَ نَاحِيَّتَهُ، لَكِنَّهُ هَجِينَ تَفْكِيرَهَا الْغَضَّ تَمَثَالَ حَسْرَتِهَا تَنْطِقُهُ لَحْمًا
وَدَمًا، وَكَذَا الْأَنْفَاسَ تُنْفِخُهَا فِيهِ لِتَمَهِّدَ لَهُ قَدْرِيَّةَ الْحَيَاةِ ..

مَا أَجْمَلَ أَنْ تَنْبِضَ شَرَايِنِكَ بِالْحَيَاةِ مِدَادًا كَمَا الْبَحْرَ ؟؟

ذَاتَهُ النَّهْمَ لِلْحَيَاةِ فِيهِ.. عِنْدَمَا نَعَسَتْ أَوَّلَ نَعْسَاتِهَا مَعَهُ فِي هَذِهِ
الْمَدِينَةِ الْوَارِفَةِ ظِلَالَهَا بِالسُّنَّةِ مِنْ شَطَايَا الْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ .. لَمْ أَكُنْ
أَدْرِكُ كَمْ أَنْتِ بَعِيدَا يَا بَحْرَ بِقَدْرِ مَا أَرَاكَ الْيَوْمَ مِدَادًا مِدَادًا .. لِحَيَاةِ
مَوْلَعَةٍ بِبِثُورِ الْقَسْوَةِ .. هَمَسْتَ، أَخَذْتَ تَلَوُّحَ لِلْمَوْتِ بِضَجِيجِ
هَمْسَاتِهَا لِقَوَانِينِ الْحِجَارَةِ الْعَالِقَةِ بِأَطْرِ الْعَوْغَانِيَّةِ .. فِي فِضَاءَاتِ
مُظْلَمَةٍ .. احْتَسَبْتَ أَنْفَاسَهُ ذَاتَهَا، بِجَانِبِهَا تَتَلَصَّصُ عَلَى أَفْنَانِ رُوحِهَا
الْمَعْشُوقَةِ بِمَاءِ الْبَحْرِ وَجُنُونِهِ .. تَنْهَدُ وَقَعَتْ فِي شَطَانِهَا الْمَهْجُورَةِ
.. رَمَقَتْهُ وَوَشَّاحَهَا الْأَحْمَرَ يَتَأَرَّجِحُ وَخُصَلَاتِ شَعْرِهَا الْكُسْتَنَائِيَّةِ ..

خَرَّتْ دُمُوعَهَا صَرِيْعَةً .. لَقَدْ آنَ أَوَانَ جُنُونَهَا .. قَلْبَتْ مَوَاعِينُ
غَضَبَهَا وَرَتَلَتْ خُطُواتُ ثابِتَةٍ إِلَى الْهُرُوبِ، مِنْ الْبَعْثِ إِلَى أَحْضَانِ
غَرَامِهِ الَّتِي لِلتَّوِّ وَدَعْتَهَا بَلْ أَوْدَعْتَهَا جُذْرَانَ صَامِتَةٍ بَلَّا مَارِقِينَ ..

أَخَذَتْ تَتَدَفَّعُ وَالرَّيْحَ الْخَرِيفِيَّةَ تَلَوْنَ صُفْحَةَ وَجْهَهَا الرَّجَاجِيَّةَ،
بِخَرِيفِيَّةٍ مُمْتَدَّةٍ إِلَى حَدِّ الْجُنُونِ تَتَسَاقُطُ وَأُورَاقُهُ الْعَتِيْقَةُ ... فَارِقَتْهَا
قَدَمَاهَا لِتَنَازَعَهَا لِتُمِدَّ شَطَايَاها الْمُتَبَقِّيَّةَ عَلَى الْوِاحِ الرَّصِيفِ ..
تَأَوَّهَتْ لِأَوْلَهِيَّةِ الْمَاءِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجُنُونِ، شَعْرَةٌ طَوْلُهُ تَقَاطِيعُ
وَجْهَهَا كَتَفَّاهُ الْعَرِيضِينَ وَحِمَّةً عَلَى خَدِّهِ الْأَيْسَرِ.... وَمَاذَا بَعْدَ لِلتَّوِّ
تَحْتَ الثَّرَى تَأْرَجَحُ بَيْنَ يَدَيِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلَائِكَةِ الْمُخْمَلِيَّةِ هُمْ مَنْزِلَقًا
بِقُرْبِهَا لَكِنِهَا إِنْدَفَعَتْ حِينِهَا نَاحِيَةَ الْبَحْرِ تَعَرَّتْ مِنْ صُنُوفِ
صَبْنِهَا لِتَسْتَشْعِرُ النَّسَمَاتُ تَدَاعَبَهَا بِسُخْطٍ .. خُلْجَانِهَا الْمَقِيْتَةَ..

رَفَعَتْ يَدَيْهَا لِلسَّمَاءِ لِتَلْتَقِطَ الْمَوْتَ جَائِيَةً تَحْتَ مِظَلَّةِ رَحْمَتِهِ لَنْ
تَسْتَجِدِّي عَفْوَ الذِّكْرِيَّاتِ فِي مَدِينَتِهَا الْمَجْنُونَةِ، وَلَنْ تَمَلَّ إِمْلَاءَ
الْأَوَامِرِ مِنْ عَلَيَّانِهَا عَلَى مَسَاكِينِ الْحُبِّ وَعَبْدَةِ اللُّوعَةِ فِي اللِّقَاءِ.

أَسَدَلَتْ انْعِكَاسَ صُورَتِهَا فِي الْمَوْجِ الْمُتَهَادِي وَكَأَنَّهَا يُشْبِعُهَا قُبْلًا
قَبْلَ الْعُبُورِ فِي لُجَّتِهِ لِيَفُضَّ بِوَدَاعَتِهِ قُبْلَ الْهَيْجَانِ.. تَبَعَثَرَتْ خُصَلَاتُهَا
النُّحَاسِيَّةَ فَوْقَ صَفْحَةِ الْمَاءِ مُوقِعَةً آخِرَ رُتُوشِهَا الْمَجْنُونَةِ لِلْأَبْدِيَّةِ..

أَغْمَضَتْ عَيْنَيْهَا لُتْكَبَلَ تَحْتَ صَفْحَةِ الرَّحْمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ.. أَقْحَمَهَا فِي
عُبابِهِ النَّدَى يَتَقَطَّرُ غُذُوبَةً يَتَرَاشَقُ وَفُسْحَةَ السَّمَاءِ الذَّهَبِيَّةِ.. دَسَّ
الْخَاتَمَ فِي إِصْبَعِهَا وَأَلْتَمَهَا أَنْفَاسَهُ وَخَرَّ الْمَاءُ حِينَهَا صَرِيحًا أَمَامَ
رُجُولَتِهِ..

حَمَلَهَا فَارِسًا يَتَمَاشَى وَمَمَرَ الْحَيَاةِ وَالزَّرْعِ الْأَخْضَرِ.. وَأَمْوَاهِ مِنْ
طِيبٍ أَسْدَلَتْ غَمَامَةً مِنْ رِقَّةٍ.. وَمَنْ أَنْتِ.. قَالَ.. أَنَا غَيْرُهُ، انظُرِي
حَوْلَكَ.. إِنَّكَ فِي مَدِينَةِ الْأَشْبَاهِ..

[رجوع للفهرس](#)

على سرير الحياة يسقط الموت

اعتلت وجوههم غيمة من الصمت وقد تدلت الأنابيب المتعلقة
بأنفاسها، النبض في نزره الأخير و رعشات القلب موج ساده
الصمت، وهي ممددة على السرير الأبيض كتلة متفحمة لا يرجى لها
من بعد الفناء البقاء، تمعنت في صمتهم الميت وغابت في حجرة
قلبها المنكسر، شريط الواقع أيقظته بنداياتها المعتقة بالآهات
والصرخات، زفرات تُصعِدُ غضبها وقد تشابك وطيات نفسها
ولفائف الأحزان..

أمعنت النظر في رمل الطريق والشمس الناعسة تلمم رداءها
الأحمر والرضيع في المهد، أي من نسمات الليل ستغني له؟
أصوات أعادتها للوراء: " لقد كبر بطنك يا بثينة، لا شك أنه موعد
الولادة، الألم يزداد ، لا أستطيع التحمل يا صابر.."
"لكنك ستصبرين يا بثينة، لا تقلقي ستعودين للبيت والرضيع على
صدرك."

الرضيع يبكي فرحا بتقديمه قربانا لأفواه البنادق
والمسلحين... "الطفل يبكي كثيرا يا صابر."

تنفجر أسارير دموعها وهو يكاغي، وكأنما اتفقا على صيغة الحب
الأول، صوت الجدة يقاطع لغة العيون: " تحضري لأسبوع الرضيع

يا بثينة، سنغسله ونعطره ونضع له الحزام وسنبخره، أعلم أنك تتوهمين أن البخور صحراء من المتفجرات، ولكنك ستقطعين الماء أيضا، لا تخش شيئا، فلدي سبحة الألف ألف حبة، سنصلي والنسوة على النبي، لا تقلقي يا صغيرة الجدة زريفة لديها سبحة طويلة فيها ألف ألف حبة، اهتمي فقط بصرر الحلوى تفرحين بها قلوب الصغار..."

بصخب ما بارحت مكانها وهي تفرك اليدين: "سيأتينا الكثير من الزوار يا صابر، ولم أتم إعداد أي شيء."

"لا تقلقي يا بثينة فقط اهتمي بنفسك والصغير.."

الليل يهبط سريعا وطوفان الموت يقترب من البيوت، وأصوات البنادق تعوي كذئاب الليل، والكل نائم يحلم بالشهادة، ولكن الرضيع مستيقظ يكاغي، لما لا يبكي؟؟ لما فجأة توقف عن البكاء؟ أريد أن يلعب لعبة الغميضة مع المستوطنين؟ لا يريدون أن يكتشفوا مهده بسرعة، ليمهلوه بعض الوقت ليشرب الحليب ويتعلق بيد أمه، ليعدّ ضربات قلبها وليضحك، ليجبو ويطلع السلالم، ليشتري الحلوى من دكان أبي سالم عند المقبرة القديمة، ليذهب إلى الأقصى مع صابر ويسبح في سبحة الجدة زريفة، ذات الألف ألف حبة.

"أشم رائحة شواء بشري، يا ويلي..استيقظ يا صابر، إنها قرية
الجدة زريفة إنها تحترق، لقد جفل الليل ونجومه قد أفلت وانجس
القمر شاحبا، أرسل نورا ضئيلا أكلته النيران المتصاعدة، أصوات
النساء تتعالى فوق الشبح القادم ثم تخبو في نيمتها الأبدية،
رصاصات المستوطنين تحملها الرياح ورائحة الشواء. قلبي يكاد
يخرج من بين أضلعي، دعنا نذهب..، دعنا نخرج من الباب الخلفي
إلى أقرب سيارة تقلنا والرضيع، ليعيش الرضيع بلا قيود ولا أسوار
بعيدا عن رائحة الشواء."

امتقع وجهه حينها ونطق بغليل متأجج: "إنها أرضي يا بثينة
وأرضك ألا تذكرين؟ ما لك تنسين؟ ألم نتعلم أن الأرض أعلى من
الولد والنفس والروح؟ أم أن الرضيع أنساك إياها؟؟!"
ارتجفت...: "إني خائفة.."

"لا تخافي أم الرضيع، فإما النصر وإما الشهادة، ردي معي أغنية
الوطن..."

بلادي بلادي بلادي لك حبي وفؤادي..

أرضعيها للصغير وكاغيها له، علميه إياها بألف ألف لغة، فللوطن
لغات عديدة يفهمها كل من دبت قدمه على الأرض.."

الليل يكاد يطوي أستاره ويكشف النهار عن خيوطه البيضاء،
وأنفاسها المختنقة محمومة غدت وقطرات العرق تتصبب على
الجبين..

لوحة القلب قد تغيرت ولفحة من الأمل تسالت بينهم، هاهي تتحرك
تنتفض وهي تصرخ في أعماقها: "آه، لا، لا دعوه لي، إنه صغيري
وليدي الوحيد، دعوه يحبو ويكاغي ويتعلم حروف الوطن، لينقش
اسمه على صدره ترسا يتلقى فيه الرصاصات."

فزة تجر رداء السرير الأبيض، صابر يلهث وراءها ورائحة
الشواء وألسنة اللهب تتراقص في حجرة الوليد، تلتهمه في المهد
وهو يكاغي، لم يتعلم كيف يجري، لم يتعلم أن ينطق الحروف، ولا
نطق الله أكبر..

صرخت بأعلى صوتها المبحوح: "دعني لا تمسك بي، فألسنة
اللهب تداعبني فليس الرضيع أشجع من أمه، ماذا سيقولون حين
أبعث خلقا جديدا؟؟ رمت بابنها في اللهب ومضت إلى البرد
والسلام..، صغيري لا تغادر وتتركني، دعني لتلتهمني النيران وإياه
يا صابر، أدرك أنك ستحترق معنا، سنحترق وليرقص المحتل على
قبرنا، على درج بيتنا، في غرفتنا هذه وعلى رمادنا في البيارات،

فما لنا من آلهة وما لنا من معابد وليس لنا آلهة دون الله لنعبدها
كأمثالهم، لكني فقط أقول الله أكبر..."

خدم الجسد على السرير الأبيض، أرفعوا جهاز التنفس فقد توقف
القلب...

[رجوع للفهرس](#)

على طريق الرمال الذهبية

على طريق الرمال الذهبية انغرزت أخفها وهي تسير
الهوري.. وهي تذوب في الصدى شيء ما جعلها تغيب وراء الشفق
الأحمر، والقافلة غابت بالغمام الأبيض، تمازج صفير الريح العاتية
بضحكات غائمة..

العاصفة.. إنها العاصفة.. صوت الشيخ يعزف لحن الهروب، ولكن
إلى أين؟؟

الغبار يتصاعد عنوة من ثورة الريح اللعينة عليهم..

"سحقا احتموا تحت الجمال.. " صوته غاب مع الرمال التي انسكبت
فوق جسده دفنته إلى حيث لم تبن سوى عيناه ذات الأشجار
المتساقطة، نسي كل ما فيه وتذكرها وهم يرونها تذوب في الغبار
وقد رقصت رقصتها على نعش الحياة وطوتها الرمال الذهبية إلى
حيث لا يمكن حتى للنسيان أن يطالها..

..سلمى..سلمى..وي كأن الريح وهبتها ستارا قد غاب وراء ما لا
يمكن جمعه!..

ساعة واحدة كافية لتخفي أثرهم تحت غطاء الرمال الذهبية.. دفنوا
بالتراب و ذاب الشفق الأحمر في السواد، وباتوا من الماضي لتسود
سطورهم ذاكرة البشر ..

وساد السكون ..

لم يكن بمقدورهم أن يزيحوا ما أحكم نسجه فوقهم.. فرج من السماء
ينتظره الأموات.. حبات متلائة عبرت السكون، لتتراقص فوق الثغر
المبتسم وانسحب القمر ملئما شرائطه الفضية ومضى..

"ياسر إلى أين تنظر..؟"

النيران تلتقط خيالاتهم الهاربة في بهيم الليل، كل ما فيه يحكي
الأسرار.. ولكن سر نجاتهم كان غريبا، لم يعرفه أحد..

"لم يكونوا أحياء، أقسم لكم أنهم قد بعثوا من جديد.. يقولون أن
دموعا قد انهمرت عليهم وهم في طرق العودة.."

ومن أتى في القافلة من حيث غاب القوم ومن جاء معه : "يقسمون
أنهم قد رأوا طيفا تحت ضوء القمر، كان لفتاة حسناء لا بد أن تكون
سلمى، تلك التي ابتلعها الرمال قبل أن يدفن قومها... " وياسر قد
عرف طريق القوافل التي مرت تترا لسنوات من ذاك الطريق،
يجعلون وشاحا أحمر على عصا احكموا تثبيتها في الرمال الذهبية
عرفانا منهم لإنقاذهم، أقسموا أنها تبكي ليلة اكتمال القمر في ذات
الميعاد عندما يغني الزهر والطلع.. لتغفر لها السماء فراقهم.."

"لا تمدن أحلامك ياسر، فهي عشيقة ملك الرمال الذهبية، إننا نراك من الحمقى إذ ترمي بنفسك إلى حيث تسقط أنفاس الحياة.."

ولكنه كان متعلقا بسراويل الأحلام حيث تمتد أحلامه لتلامس سدقات السماء فوق تلك البقعة حيث تبكي كل ليلة ..

لما أحببتها لما تراودني عن نفسي في اليقظة وفي السبات؟؟

عندما كان الفجر يغمس أنفاسه في الليل المنصرم، كان هو يللمم بقايا المبعثرة في ذكريات المكان، أطفئ ما تبقى من شعلته هنا ومضى إلى حيث هناك..

شعر بها حوله ، استيقظ فيه كل شيء، كل ما ظن أنه ليس له، بل هو هبة السماء، ومضى إلى حيث بدأت الرمال الذهبية تكشف خباياه له وحده وتصعدت رائحة البخور وصدح المكان بموسيقاه والغناء..

لما عليه أن يتعثر؟ لا إنه حلمه هو ..سلمى ولا غير..

دس جسده وذاب..

"لقد كان محبا مخلصا ..نعم، فهو يرافقتنا وسلمى في طريق الرمال

الذهبية.. " [رجوع للفهرس](#)

فوضى الحواس

انزلق وجه النهار على عجل خلف الخناجر السوداء، وقد نزف
قرص الشمس وتأبن في ستار الليل، حين امتد سريعا ليسرق
الظلال..

سار موكب الجان مشيعا الوجوم وقد قشر الرؤى تلك القناديل
المتدللية من صفحة السماء، لتحقق بالأخيلة الذائبة في غيمة
الرمال..

تبكي بصمت والريح تعزف فزعة لحن الوداع..

حين اكتهلت مرآة القمر بيتا عتيقا وقد غشيه خيش سميك..

حينما سيق قرص الشمس إلى مقابر قد ارتحل ساكنوها..

ولكن تلك الأرواح المغلقة عليها القوارير النحاسية بإحكام من
رفضت أن ترقد بسلام..

كان شرطها أن تنام بسلام..

دون أن تبلل أذهانها بلعاب الشهوات..

فقط أن ترقد بدفء في القوارير المملوءة بماء الحياة المقطوفة من
قرص الشمس..

ولكنها لم تتم لم ترقد بسلام..

أخذ ماؤها يتجمد وازكمتها رائحة الجيف ..

وما وراء الجدران المتشققة يتنزّه عن الفطرة، ينغرس كأسافين
في الوحل..

ربما نسوا وربما نسيت شيء ما قد أنساها؟؟

ربما ماؤها المتجمد حولها أو ما أصاغت لسمعه من قرع للطبول
أو ذلك النور الذي خبا ساعة النهار؟؟

وقد ماتت عقارب الزمن مشحونة بفوضى الحواس..

حين يموت ناموس الوجود.. ينتهي كل شيء..

أما هو فقد أقعي وكلبه تعبين يتصفد جبينهما عرقا في النهار، الذي
تنوس عينه فلا يبصران المدى..

وكأنهما على قمة بركان كور نفسه على صاحبه، يمسد فراءه وقد
أضجره الأنين خاو الجسد وقد فنيت المآكل وعروشها..

ما عادا يستشعران الشبع كذي قبل في الأحلام المتهادنة مع
الصبر، ما عاد ذاك الثوب من نسيج الصبر يتسرب إلى ذلك الخواء
وقد تصدع من رذاذ صقيع صيفهما..

ما عاد يدفئ الأوصال العارية تلك الأعجاز المتهاوية..

ما اخترم نفسيهما واقسما أنها الحقيقة.. تلك العارية التي يملئ نورها الليل، ويقسم أخرى أنه قد رآها متلحفة بردائها الأبيض..

وأخرى وقد امتطت فرسا مجنحا يرتقي وإياها أدراج السماء إلى ما تكاد أعناقهما تصبوان لدلوكة.. حتى تنن فترجع صدى إلى حيث يجثوان في المغارة الملتصقة بتلك الخناجر..

حيث لا تصل أجفانها الهرمة إلى الأفق، وقد دغدغت الخيوط أهابها الغض أمام هيبة النور ضجت الضلوع بالحنين، لقد استطاع أن يصطاد القليل من الرذاذ الذهبي ويرقده تحت حفنة من التراب، لتتعامد أنواره هازئة من ألوان الكون الباهتة، كشجرة قد تساقطت قصصها المليئة بالأحلام..

لعله الهذيان الذي يحرق جذوره الموودة بقيعان ضحلة.. ما يجعله يشتهي الرغبة ثانية؟؟

أشفقته كانت على كلبه المقعي مجوفا كغصن يابس؟؟ فأين هي المؤن وأين هي الطرائد؟

لقد فرغت حقيبة زمانه فما عادت تخبئ في جوفها غيره العدم.. وتلك القرية قطعت بزمجرتها كل الفرائض..

أيشاطر الشيطان أم يلتمس من جديد لقيمة من موائد اللئام؟؟

تكور على ذكرياته، قرصات عويل النهار والليل سواء، وذاته
صوت السوط ينهب جسده ينز عن دماءه التي تقطر ساخنة ، تُرجع
إليه الرجفة مبتورة فلا وقت للآهات والسوط يمزقه..

أي أيام ترجعه أعجف ثانية غير كلها؟.. فقد دعت قدماه ببئر
الظلم..

أيان تراه ميعاد شربهم.. نجاستهم.. لا يكاد يجزم فالقرية رجز على
رجز، فقد عاقرتة وزنت وإياه واستحالت الفجور فضائل.. إنها
الساعة ينزلق جسده في فوضى للحواس، هذي التي استشرت
كالجذام.. كمنابت الشر.. يذكر يوم هرب كوميض يجعله متكوراً
على نفسه، متقلصاً ليبتلعه خوفه.. وذاك الوفي يتلو خطاه الواسعة
لا يضيع له أثراً كظله بدا..

أتراه يحتمي بمن لا أنياب له ولا مخالب؟ من منا منحته الطبيعة
قوى أكثر إيلاماً وضراوة؟؟ يستجدي عطفاً ببضع لقيمات.. هو لا
يدري كيف نبتت الصداقة بينهما كبذرة انفلقت وشقت الأرض
الصلدة!!

كان يحرسه في كوخه الحقير على أعتاب الحدائق الغناء لقصر
الثلثم ذي الكرش..

أي معاهدة وثقت بينهما من غير شهود ليتقاسما أن يكونا على
الحلوة والمرّة؟؟ وما ذاق إلا أقساها، ذاك السوط الأسود لا يخطئه
ولا يخطئ أذنيه وهو يتم العد لخمسة، لينهال عليه مقشرا جلده
الرقيق..الجلدة تلو الجلدة تهوي تهوي بهذيان، وصوت ذاك الخف
الرنان وقد تعلقت قطع الذهب على جنبيه يتضحك.. أيسعدك أن
تحترق أمامي كما الأمس..؟ فليتهب جسدي بركانا وما أقاسيه
بعد؟! وما بالها عيني تقطر بملوحة لاذعة تستفز تلك الأنفاق في
جسدي الشمعي.. وكأنه السوط ذاته يفجر في صمتي..

وتلك الأكياس المملوءة بالجواهر تتفاخر أمام كيسي العتيق.. أي
شرخ بين الكبر والكبرياء بين الكره والحب؟؟ نطف نزعت منها
الرحمة!؟ أم تعمدت بماء غيره ماء الطمأنينة ..

أن ترحم النفس النفس.. ذاك الشعور الذي تتشارك فيه كائنات
الأرض على حد سواء أم تراها قد تبللت بأمواه قذرة واستحال
طينها لزجا قميئا؟؟ حبلى تلك القرية بالشقاء ما عساه أن يفعل
وكؤوسهم ملأى بالحبر الأحمر.. سكارى هم..

ها قد شخت يا قرية البؤس وقد آتت أرضك أكلها.. لما قلبه ينبض
إذا حرقه؟؟ أهي تلك الكلمات الخمرة ما جعلته لا يراوح التفكير إلا
في سبل العودة؟؟

"أن الأرواح قد جعلت في قوارير نحاسية... تلك الأرواح موصدة
عليها الأبواب وها نحن نتصدر السنين، لقد ملوا من تعاليمها ومن
النبوءات.. ما يردونه بسيط المال والجواري والشراب المزيد من
المجون.. لا شيء سوى هذا أبه كفر؟؟!"

وتنطلق الضحكات كأفاح تلتهم ما تبقى من أنفاس وصوت من هناك
يحتاج.. "خرافات الأرواح.. ما بالهم والتعاليم وتراسيمها؟؟
والآلهة الطيبة لا تبني القصور.."

لقد تقاسموا إلا يضيعوا قولاً أو فعلاً وإن فعلوا فعليهم فلتتساقط
الحجارة من السماء، ثم هاهم يتصيدون لهو الحياة، فقط تلك الروح
العفنة، التي فرت لكنها فرت بلا رذاذ بلا ملحها الذي يمنحها القوة،
فما تستطيع أن تكيل لهم بالصاع..

عندما مد بصره فوق أسياده خرَّ قلبه صريعاً بين قدميه.. أعين
القوم بدت بلا روح زجاجية وحسب وأيديهم متصلبة وتلك الأجساد
يسمع لها الخوار.. وما جريرة البلاء إلا ابتلاء وقدره أن يهرول

على أربع، إلى حيث يعيش دون عبودية دون رجس، أن يقتات
كسرة الحياة والموت سواء..

تلك القمصان الملتصقة بجسده قد نزعها وما بها من محن مائة
فما له من صوامع ولا معابد يتبتل فيها في مهج غادرة مشحونة
بأرياح عتيقة.. خربة تلك الديار..

ترهل كتفاه وانحنى رأسه من زحم أفكاره والمغارة مشرعة أبوابها
للسحب الركام، إذا هي النهاية فلرحمة الله أترانا نصير؟؟

عندما اندلعت النيران في الأرواح وقد تجمد ماؤها، غادرت سجنها
وباتت حرة اليوم فلا قضبان.. هالها ما رأت فكان أجزل مما قد
تصيخه سمعا.. أهكذا يكون العهد القديم والتعاليم والكتاب؟؟ فليحل
العذاب والموت بهؤلاء لكل من داست قدماه هذي الرمال، فليحل
الموت على من تهب عليه رائحته..

شيء ما جعله يرقد بسلام يغفو محتضنا كلبه وعلى محياه
ابتسامة، شيء ما دخل جوفه الصائم وبل ريقه بدفاء.. بلذة تثير
الحواس تجعله يهيم في الأحلام المكتظة بالألوان.. إنه يكاد يقسم
أنه ضمها إليه.. بل توغل نورها إلى جسده.. كان هذا ما تراءى

إليه عندما استيقظ بعد حين على غير تلك الفوضى التي كانت
فوضى للحواس ..

[رجوع للفهرس](#)

اعتلت وجوههم غيمة من الصمت وقد
تدلت الأنابيب المتعلقة بأنفاسها، النبض
في نزره الأخير و رعشات القلب موج
ساده الصمت، وهي ممددة على السرير
الأبيض كتلة متفحمة لا يرجى لها من
بعد الفناء البقاء، تمعت في صمتهم
الميت وغابت في حجرة قلبها المنكسر،
شريط الواقع أيقظته بنداياتها المعتقة
بالآهات والصرخات، زفرات تُصعدُ
غضبها وقد تشابك وطيات نفسها
ولفائف الأحزان..

المؤلف

الزمن قارورة

قصص

دولا حسينات



نوع العمل: مجموعة قصصية

اسم العمل: قارورة الزمن

اسم المؤلف: رولا حسينات

الناشر: حروف منثورة للنشر الإلكتروني

الطبعة: الأولى أغسطس ٢٠١٥

تصميم الغلاف: مروان محمد

تفضلوا بزيارة موقعنا حروف منثورة للنشر الإلكتروني من خلال

الضغط على الرابط التالي:

<http://herufmansoura2011.wix.com/ebook>

كما يمكنكم متابعتنا من خلال صفحتنا الرسمية على الفيس بوك من

خلال الضغط على الرابط التالي:

<http://facebook.com/herufmansoura>

كما يمكنكم مراسلاتنا بأعمالكم على الإيميل التالي:

Herufmansoura2011@gmail.com

قارورة الزمن

رولا حسينات

الفهرس:

- ١- أبو حجلة الوراق
- ٢- المستبصرة
- ٣- سجايا متمرده هائمة بين أمواج البحر
- ٤- قارورة الزمن

أبو حجلة الوراق

في ذاته المكان المظلم بوحشته كان واقفاً، وقد أشرف على الانتهاء من مراسم الحفر، لدفن سيده.

أخذ يرتشف بكم قميصه الذي ملّ الطيات حبات العرق، التي أخذت تتراشق دفقةً من جسده وفي الراحة وقت وضع اليدين مناصفة على الفأس.

جميعهم كانوا بحماسية المشهد يرقبونه، حتى ملّوا طواعية انتظار الدقائق، وهم يرمقون السيد في تابوته خلسة، يستفيقون من وحي الذكريات بصعقة كهربائية تسري في أجسادهم، كثير منهم تعمد السير جيئةً وذهاباً، يرقب غفلة القوم ليلكز التابوت عن اليمين وتارة عن الشمال.

جميعهم اتفقوا بصمت وقد تعولقوا في صميمهم بأهات الخلاص.

أخيرا سحب جميع أوراقه، ووثق بموته نهاية أزمان سيقوا فيها
لمقصلة جرائمهم، معتقل فوضوية منالهم، غناهم وفقدهم بأن واحد
له سواء.

تعذيب النعمة بالنقمة، إقراضهم لمستة السحرية في مسح البصمات
عن المعبودات.

لكنه كان على الرغم من ضعفه أجيرا وراقا تحت نعل السيد من
تلابيب الآباء للأبناء، كان أكثره م ولعا وشغفا في أن يؤول إليه ارثه،
إرث السيد للمسود " لأبي حجلة."

ليته يوصف يوما بالوراق، ليتها تُعبد أنامله كما كانت تعبد أنامل
السيد، ليحبو عدوا نحو القمة يصبو سعادة ملؤها أنس وحبور.

ليتها في لحظة بل في ثواني كلمح البصر، تجثو الغاشية على
أبصارهم سراعا، ليلظم خيط في مسلته التي أضناه البحث عنها في
كومة القش.

لقد ابتاع في صمته جميع مخطوطات السيد وقت سيادته أرض
الإنس والجان، لقد سرق عنوة همس الكلمات.

لكنها تراويل بلا مفتاح، تأوه بصمته: " من أين له بالمفتاح؟؟"
أنهى بأسف شقوة سنينه، ليمضي وثيقة أخرى تُضنيه حتى الممات،
بقفزة واحدة كان فوق.

من تحت التراب إلى وجهه، جعلوا يفسحون له الطريق، بعضهم
استند من تمطيه في جلسته والآخر اكتفى بنفض غبار بدلته، جميعهم
اشتركوا بذاته اللون، أسود حالك وربطة عنق مقلمة بالعرض أسود
وأبيض، كمصفوفات من حجارة الشطرنج.

جميعهم تمرسوا نفس القيافة ونمط تهذيب الشارب، وتجلس طيبة
الشعر، أخذ يدفع التابوت مارا بهم جميعا، جميعهم حينها راعتهم
مشيته، وكأنهم راوه السيد حاضرا، فجأة مارا أمامهم يقلبهم في
مضاجعهم، وقت خلوتهم في أحضان معشوقاتهم، بل في أحضان
دنياهم المعسولة المنقشة بالذهب، لا يرضون عنه بدلا.

هم وقفوا وقد تراصت أجسادهم يمشون الهوينى، تابعين الموكب
الهزيل، ما التصقوا به وقت دفعه التابوت، بل تركوا صفا أو صقين
خاليين.

لكنهم جميعا أكدوا وجود الآخرين أمامهم، لقد تقاسمت تقاسيم وجوههم وتراص أعينهم حيناً وانفراجها بوجل حيناً آخر، شهادة الكثير منهم على ارتطام حذاء أو ذراع أو طرف إصبع منهم جسد آخر إمامهم، لذا تبينوا أن لا مفر من جعل أيديهم متشابكة مع بعضها البعض.

لكم أوسعوا بعضهم شتما ولطما وصياحا بل نعيق اليوم في لقاءاتهم!، بل عند رمقهم أذنان بعض.

ما كانوا يطبقون النظر في سحنة بعضهم، لكنهم في هذه اللحظة رغما عنهم يفعلون، بل وأكثر من ذلك، ما عساها سوى ساعة من نهار وتنطوي تراجيديا استنساخه م لصوصا، موّسع مدى انتشارهم على خارطة المكان.

لكنه كان على عكسهم أزيد عليهم بمثقال، رغبة في بقاء السيد ولو لليلة ليعرف كلمة السر ليجيش جيوش الإنس منهم والجان.

أما استطاع أن يمد في عمره ليلة، ليلة واحدة فقط؟؟

أم تراه ما استطاع إدراك ميعاد موته؟؟

لعله ما ظن أن يموت!!

أو تراه قد اغفل عن تدوين ثوانيه الأخيرة في دفاتر الحسابات!؟!

لعلها تاهت بين الأصفار والأرقام.

أكبر جشع قدر على البسيطة، هاهو ربيبه الوراق يدفع به إلى مثواه الأخير جعل جزءاً بسيطاً منه ليُدلي بطرفه إلى الحفرة، فقد اقتسم مع نفسه جميع الأدوار معلناً رده لجميل سيده، دافنه بين رزم الأوراق والمخطوطات.

يدفن رأسه بين أغبرة المكان التي ما مسحت من سنين، لعلها تلازمت وإياه لإضفاء نوع من الترويع في نفوس الزبائن، من مرتدي البدلات السود.

حفرة تلك التي حفرها وأنزلق فيها، وكأنما نزل واقفاً، أخذ حينها يسحب التابوت بأنامله المتخشبة، بات فوق رأسه وكأنما كتب عليه من سالف الأوان أن يبقى السيد هو مدلياً رجليه على كتفيه هو العبد.

بدأ بتقويس ركبتيه مفرجا بينهما، أخذ بصمت يكيل اللعنات على شحم ذلك السيد الذي أثقل وإياه التابوت.

لكنه فطن لثقله ولذا أخلص في غشه ليكون رقيقا، لا يحتمل أكثر من حملة واحدة، يثقل الكثير مما جناه حلالا في جيبه.

أخيرا جثا واجثى التابوت أمامه من صغر حجم المكان، كان بينهم الفراغ مشبع برطوبة الأرض، التي ما كان ليدوسها الوراق، هكذا دون بساط أحمر، والغايات يتبرجن حوله راقصات عن اليمين واليسار، دون أن يمشي مختالا قدما أو اثنتين ليحمل في الهواء دون البساط ولا جني المصباح.

ويبقى يطير وتبقى الإبصار تطير معه، لكنهم لن يستطيعوا تنفس الصعداء إلا بعد التيقن من دفنه، وكيل التراب ليمحو اسمه من على وجه البسيطة.

جلس القرفصاء ريثما يلتقط الأنفاس، لقد أعجزه عظمه عن حمل الشحم، اخذ يمسح بطرف كفه الذي غدا اقرب للسواد منه لأي تصنيف لوني آخر، لقد هجرته لباقة الخوف، آخذا بكومة البصاق يستجمعها من كافة ثكنات أسنانه المتآكلة، لقد بصقها عن يمينه، وكأنه في تلك اللحظة غير كل معالم البسيطة ومخطوطات حفرت باطن اليد.

لقد استنطق من غير أن يدري كلمات من خاصة، كُتبت طيلة قرون من الزمان، لقد خالف بطرائقه كل ما انتهجته أي نفس سوية، بوضاعته ما خشي الموت، فقد ثملت نفسه رؤيته مع السيد مئات المرات، جرذا في عنق الزجاجة لا خارج جسده ليزوق نصوص الحرية ولا هو أسير عبودية يتم كافة فنون طقوسها.

فقط يتجرع الأنفاس لتبقى زما تتصل بالتنقيط، تتضور من مرآها النفوس، لكنه اليوم ما أدرك ما أتمّ للتو فعله.

لقد استنطق كبير الجان من مقبرته في أقاصي قيعانها الأرض، الذي اخذ يجري منتقضا من مقاييسها سطحية الطبقات، وهو على حاله فاتحا التابوت، ليودع السيد ببصاقه الوداع الأخير.

لقد أخذ يتحسس جسده لعله يعثر على ضالته، التي التصقت بيد السيد عقودا من الزمان، كانت يمناه ما قد تصلبت قبضتها، جعل يكسر أصابعه واحدا تلو الواحد، ولو أنصت قليلا لسمع جهر النواح، تلقفتها منه يمينه الياقوتة الحمراء، ما عُسل ليُجرد من متاع دنياه، فقد طعن من غادر مرتزق جيء به من حيث لا تُعلم له أرض ولا

سماء، ولا محياً أو ملامح معلومة للعيان، ندبٌ من هنا أو شرح
خنجر من هناك.

لقد ضُرج بدمه هكذا بنهاية لم يعلمها هو ولا أوراقه أو لعلها حفظت
سهوا في غيره درج الملمات.

لقد ذاب ذاك القاتل وكأنه ما كان، وعُدَّ السيد بين الملاً شهيدا، عليهم
تصلوا من غسله خشية تدنيس أيديهم بمخاط أو لعاب أو حتى دماء
نجسات.

فهل يطمئن بعد هذا في مضجعه؟؟

أعينهم جامدة في مآقيها وكأنهم شخصوا وقتما تفلَّ بصاقه عن
اليمين، أما أولئك من تقدمت صفوفهم، فقد فقعو له ساجدين من غير
علمه، كانوا ليمينه حاضرين.

لقد أدرك في نفسه أن نصوص السيد قد انتهت وأذن لغيره بحملها،
ولعلمهم قتلوه وقد هُيئ لهم قتله، فهاهو بين ظهرانيه القبر بلا حراك،
موصدا بين جدرانه التابوت الخشبي، يذوب فيه وحيدا بلا متاع
يستقي من قيحه حين يقوم.

همّ بإغلاق التابوت حين سرت في جسده قشعريرة، أهي قشعريرة الوداع الأخير أم الياقوتة التي كسر فيها أنامل السيد، ليلوذ بها سيدا بأطول مفرد هو صانعه.

لكنها لم تكن هذه أو تلك، حينما قام وقد أتم تفل ما استجمعه من بصاق، لكنها على التابوت هذه المرة، حينما انزلت عيناه على انفراج في قاعه القبر، لقد تحطم التابوت ومزق السيد الشهيد إلى مُضغ متلاشيةٍ ضاربةٍ برفاتها في أجزائه المكان.

لقد تمثّل كبير الجان أمامه ماردا بلا مصباح، وما لامست يداه واحدا في سالف الزمان، لقد رآه أمامه وجها لوجه، كما لو أنه في يوم ما تمناه.

كان ذلك في السنين الأولى، عندما عمل خادما للسيد الورّاق لقد أفاده نبش ذاكرته، وما اخطأ يوما ضرب الحواشي.

لقد تعقد لسانه وما عادت عيناه تنطبقان، لقد كان حينها لعبة يسيرها الجان الأعظم، حيثما يشاء ضرب بيده الأرض من حيث جاء، ليتغير

الورّاق النحيل من رثه وجزعه، إلى أبي حجلة الورّاق على سن
ورمح، معبودا في أرض قد تعددت فيها الآلهة.

رفعه بقوته ليعتلي القبر صعودا من غير عناء، بل على الأثير من
غير بساط، حينها خرّ أولئك من شخصت أبصارهم عبدا لوريث
السيد سيدا لا ينازعه في ملك قد تقلده من غير عناء، في أصله إلى
حين خلاصه من تلايبب الخطوط في باطن اليد.

لقد غدا اليوم أبا حجلة الورّاق أعلم أهل الأرض، وأكثرهم قدرة
وجبروتا في خارطة الزمان. لقد تتلمذ على الانعتاق من مواريث
وتقاليد رثة أصابته بالدوار، جُلُّ أيامه ولياليه على اللاشيء سوى أن
يبقى محشورا بين الأرض والسماء.

لكنه الآن قد اعتق ليسود وليسيد ويميد معملا في الأرض، أزيد مما
كان عليه السيد ما استنسخ صورة بل صورا لكل من مشى براحتيه
بسيطة المكان.

لكي لا يجعل على ما اقترفته يداه شهودا، بل تلكم يمينه يشير بها إلى
حيث كان.

صناعا لما يشتهي ما ينبس بالحروف بل ما لأحد جنود الجان عليه
من حسيب أو رقيب.

[رجوع للفهرس](#)

المستبصرة

مضت تتلمسُ خطاها المتقاربة، مرتجفة أوصالها دافعاً إياها، تطأ
سبلاً سابلةً مجردةً من غير سلاح، في الليل البهيم ادلهمت أنوارُ
متلصصة..

همس في أذنها مسوراً يديه حول قدها النحيل متأرجحةً على أغصان
الغضب: " انتشي لذة دمائي.. حلوتي حرّة متلوية ترتوين من
نجيعي" ..

دغدغ مسامعها بهفيف الكلمات، تأنت بالنسيان شاديةً في سكرة
الأحلام لهنيهات، جعلت تبحثُ عنه بأصفاده.. ذاب والسراب في حلقة
السرمد .

التفتت تتلمسه ريحة أنفاسه خمر عرقه المتصيب على خاصرتيها،
تاه وأدراج السكون شاخصةً تنت بثأنةٍ فزعها..

وحش خيالاتها أمنت بوجوده نهاية إطباقه على مسننات حياتها
بقذارتها.

لمن تعتق روحها..؟؟

كم خريف مفندٍ تشتريه؟؟

لقد جعلها ترد التية توثبها حفيف سكناته، عنت والحسيس مؤرجحة
بين الكسف المتكسرة في الدهليز المظلم..

انسلت في طريق موتها فمؤصدة أدرج العودة، ينزفُ بابُ أمنيات
خبالها من قريب وبعيد تُسيّرُها ساقاها، تتضارب وهوة النسيان
منزلة تنصت إلى حسيس خطاه..

لقد اردعها مشاقا فؤادها المتوجع، مشرّعا لها حفائرَ قبرها في
غسق الهزيع ماضية طوّافة بوداعتها..

زُلف الأيام.. التقمه الحوت فما ارتجعه تحت شجر اليقطين أو يخزئها
يوم تبعثُ وما كبلَ يديها؟؟

مآلها.. برزّ وجلّها..صعيد الجرف.. من يكبكِ بالية جسدا فاغرة فاهك
مُسوّا بك بين الفضاء البهيم ووحشة الأض؟؟

أغوصها في نحيبها وشجنُ فجاج سدقات تأويلها ينهي غاية
النهاية؟؟!

حينئذٍ تُولبُ تقاطرَ استبصارها وقد وهنت عروش المستبصرين!!
في العتمةِ تسمرت والقدمين مكبلٌ فيه وحشُّها ملاصقٌ بابَ فرارها..
عجزها..

أتوقها لغور أسبار قاتلها من ينازعها حيناً من ثواني موتها سكينه
إليها مردُّها؟؟؟
قبضت إليها كوت الباب..

أقانصةٌ وحشها أم تراه قانصُها؟؟
دقات قلبها تدافعت وحسيسُ النور الكئيب متأرجحاً يطفحُ بضبابيةٍ
تلطمت وسمكةٍ عالقةٍ بين الصخور..

تأججَ رمقها يجترحُ حبائلَ التفوه بالغوثِ ومن يغيث؟؟
وهنت بتوجسها المرور.. مُفزعُها البصيصُ ومفرها إلى الظلام..
دفعتها بوابةً موتها متطايرةً في الضباب..

أ توخزُها شوكةٌ في غمراتِ خيالاتها لتوقظ سقوطها بالتحليق؟؟!!

صفتها الريحُ تصفرُ بشجيّ الألعان، نائحةً بائسةً يُرجعُ الصدى
بمثقات الغشاوةِ هزيغها الأخير..

ارتطمت بأنياه عاف بؤس ضحاياها، ضلوعهم بانهازامية الهروب،
انزلقت يسلخها و أشلاءها المبتورة..

خرت صريعةً في جوفه وإن قلبت أناملها تند بالصيحات المكتومة..
وشهود الأجداث عرابي ميبتها الأخيرة يتثالبون يشحدون الأنياب
صرعى في رحي معاركهم أمواج اللجي تتزأر بهديرها هالها الجزع
فزعزت من تحتها لتسقط في شقة الموت..

قامت فزعة تتوثب من صنيع هواجسها، تلمست بقاياها المتساقطة،
جعلت توصل قلبها عاجزةً أمام دقاته المتناثرة.. قفزاته بعينه في
أنفاسها، سيلُ عرقها المتساقطِ حمامَ قيامتها..

ألقت جسدها عليها تلوذ بالصبر تهيم وإياه في الأرجاء ودياناً
وشعاباً، تترصدُ الخطى دون احتساب مزالِق نواياهم مفرداتُ
حساباتهم، وحوش أرضها ساكني الأرض الملعونة أم هم من لعنتهم
ولفظتهم قبل آلاف السنين؟؟؟

أغمضت عينيها تاهت في دوامته تارةً أخرى خوَّاءً بما هو ثرٌّ،
واتتها الشجاعةً وانقبض خانقها بين يديها، مزقت أزرار رداها
القرمزي، إنثالت قطراتُ دمائها تحت أظافرها، أنسجةً جلدها
المتمزق، تلمستها تنسابُ مهرولةً من صدرها..

أيقظها خوفها مهرولةً غير ما كانت بتسمرها في أضغاث أحلامها،
فتحت صنبورَ الماء جعلَ يضجُ بدمائها، تأبى و كتمان زرافاتِ
إنبجاسه، أثلجت سقوطه تقافزت أنقاضُ قلبها، وبات على الأطلال
يُنَاطِرُها، خرّت من سقوطها المبتدل في حِمامها ..

أتستعر صرخةً عندَ مناظرتها تفاصيلَ وجهها المبهمة، منكفئةً
بصفرتها ندوبٌ ازرققت واستحالت تميمةً وجهها..

ما درت وهي تركنُ إلى إنبعاث جوفها المنطفئ، متى كانت تتلاشى و
الدُّبالَ المنطفئ من فداحةٍ رمادها، المتناثر في جميع سُبُل حياتها..

لقد هجرها.. نعم، هجرها حبيبها متعة الفراش وتقارب الأبدان،
أودعها تطيبةً لحبيبةٍ أخرى في مكانٍ ما جليسةً قلبه..

أهو الحزنُ الذي غلفَ وجهها أثناءَ الليلِ وأطرافَ النهارِ؟؟

أطمح الربيعُ معاشرًا ميبتها ليفجعها بفراقه، وهو يثلم بوجوده كلَّ
عبراتها وسكناتٍ؟؟

ها هو حزنٌ فيها يخرُّ له قلبها، ما منعه إذ صارحته بمستقبله أن
يتقبلها برفقه أم اقتدَّ قلبه من الصخر؟؟

حينها أوجعه فزعه من نهاية شجرة لبلايه.. تسلقه أوراق لعبه، راح
يهدى أياماً وهي ترمقه ما استطاعت أن تهونَ عليه فشله، ثم ابتدئ
عهدُ إهماله لكيانها..

أيستعرُ بالخناجرِ نواصلاً لتشربَ من دمها الأزرق؟؟
" باردة أنت، وردةٌ عُدِمَ ريحُها.. "

هزها ما فتئ يهزها ثم نثرها تتقياً اللاشيء في جوفها، تمزقت
أحشاؤها ونفثت عُباب صديدها زبدًا على حفافيه ثغرها، وهامت تعباً
بفواجعه بينَ الفينة والأخرى وقد جعلها يدوسها بحجريها الرحي..

لكن ما كانت هذه البداية فقد ابتدئ أمرها، مذ كانت صغيرةً حين
فارقت مرضعتها ممسكةً حبلها السري حتى انقطع، وذابت أمها
وحبات الثرى في كمها على الرغم من صغرها..

حملت حفنةً تذرفُ دموعها حين توحدُها وهو ما استساغتهُ لها
أيامها، ما ارتجت بضعفها مشاركتَهُ حب زوجته ذات الشفاهِ الحمراء
والعينين الكحيلتين، صبح مساءً تلتخُ صفحةً وجهها الضيقة،
واشتهت السجنَ مهرباً من لسعات كبتها في كلِّ رمادِ جسدها، ما
تخفيه مساحيقُ التجميلِ أعظم..

خثرت كرةً ذكرياتها، مشت بحفيف خطاها تشمم نسمات الهواء،
بزوغ الفجر يلامسُ عروسهُ في خدرها يُندي وجنتيها بقبله يُريقُ
ماءهُ في طياتِ أسرارها الكوني..

ما اعتادت عقب أريجها الوردات، فقد اقتيدت إلى السرداب الخلفي،
تحت المداس تسمعُ وقع خطوات زوجته الأب، تؤملُ في الظلام إنارة
الأساطير، تصيدَ النجوم، نيمة العصفورة وقتَ السحر، بكلِّ أنةٍ يخفقُ
الأنين والرقراق، سحابةً تسقي حفنة الثرى في قماشتها المخملية، قد
نقشت اسميهما معاً (منال ومنية)، ومما نيلها مشتىً بتمني
وكلاهما في المؤمل تشتركان..

ومع كلِّ ذرفةٍ تنبتُ ينعاً أخضرَ حتى امتلأ الثرى فيه، ينيرُ السردابَ
الخلفي سجنها الأبدي قضت أسفارَ طفولتها في أحضان بهيميته،

أخذت تُثيرُ ما حولها، بما ليسَ من عُبَابِ أطلاله تستبصرُ وريقاتِ
خريفهم المتساقطة، صفحاتهم المتلاشية السطور، جعلتها على
مقربةٍ من قلبها وأخذت تُثيرُ جلبة الصمت في المكان، خدرها يندُ
الكون، يزمجرُ بعواصفه لتتوه الصرخات ليؤوي إليها هديرها، أمرداً
بلا صدى..

أخذت أدخنة نارها تزحفُ إلى سجنها الأزلي، ووهجُ النار يلسعُ
خديها الوجلتين، تراجعت بخوفها تطوي جذوتها في الينع، عليها تبيحُ
لها أسفاراً في الجنان، حيث أمها ما تفتأ تهمسُ في أسمع العصافير
قبلة اللقاء، لتبيتن في مخدع حنوها الدفين..

فاستحالت عتمتها القسريّة إلى أنوارٍ وهدم الجدار، وارتفعت بها
أرضها المجذوبة إلى غلال النور لتتنفس من حفلات التعذيب.

سرابيلُ الحرية أقضت ساجنتها محترقة، وما استطاعَ أحدٌ أن يناولها
حبائل النجاة فقد تقطعت محترقة قبلَ الولوج في اللهب، لقد نهشها
وأثوابها الخليعة، وأطفئَ كُحلَ عينيها وحمرة الشفتين..

أحاطها والدُّها بذراعيه وضمها إلى صدره لأول مرة، بعد برهة من الزمن تشم ریح الأبوة لم تند لها دمة، فقد ذابت في الصمت الوجوم..

لقد أنير المحرابُ أمامَ عينيها، فعدت عابدةً في محرابه بأثوابِ التجلة، ربيت خاليةً من الأحقاد، تستبصرُ مواعيدَ نشوة الانتصار، بل وأذيالُ الهزيمة للكثيرين ممن يمرون أمامها منكفين على وجوههم، يركنون إلى قياد العقل إلى التهلكة، ما تمضت من شفيتها غيبائهم ومضت ثراودها رؤاهم وهي تتوارى بالحجاب..

إلى أن رآته سجانها حبيبها، دفقُ حبها أمامها، عابرا شطآنًا وقفاراً، ماراً بجانبها بارداً كالعليل، لقد هوى بفأسه ينثرُ عَشَ نُسكِها، ارتعدت صُغت بغبرة استبصارها..

لكنها عشقته من أول وهلة، ارتعد قلبها وارتجفت كلُّ تفاصيل نوازعها متشبثةً فيه، على الرغم من اطلاعها على غيباتٍ مستقبلها، حبها العقيم وما أخصب في ندي قيعانها..

كالمأخوذة تسمرت وهو يلامسُ جسدها بقوةٍ اندلعت جاذبةً إياهما
معاً، توقفَ ونظرَ وأطال النظراتِ..

نبسَ: " معذرة لإبطائي "

همست: "ولو أنك تأخرت لعذلتُ بالحب للقياك " ..

ومن حينها راحت القطراتُ تنزُّ من سراج روحها، بنزرٍ ضئيلٍ يتيه
مُتسرباً في قراحها يتأبى استبصارها على النسيان؟؟

إلثوى نديفُ الثلجِ يُجمدُ صهيرَ حبها .. راعها ما رأتَهُ من أمره .. خلانهُ
تشلخُ أشلاءهُ .. أخبرتهُ بجزع، ما كان منهم وما مكروه من أجله،
ومضى متمراً يسوقُ الحذر في مواضعهِ وقد أمنَّ نفسه وعمله ..
أوراقهُ مشاريعهُ، كُلُّ توقعاتهٍ لمرووسي ه، جعلوا يبدلونَ ويغيرونَ
تكالبوا عليه كما الكلابُ إلى قصعتها، واثق الخطى مضى لا يندُ له
طرفهُ، وعلى الطاولةِ جعلَ موثيقَ أعماله، وفي لمح البرق رجَع
صدى نجاحاتهٍ ولمع نجمهُ، وافلت نجومهم، وتقاطروا يزفون
الخبية، تصطكُ من الغيظِ أسنانهم ..

عاد يومها بأجمل شفيفِ الثيابِ يُغازلُها، واعتادت بعدئذٍ أسمعهُ
على رؤاها، هيئ لها الأسباب، فقط تردُّ ماء راحتها.. غدرانها .. تجدل
ذؤابتها بأيدي النسائم ..وقد لف يديها بالحرير ..وجعل يعلو بعمله
يموج وأمواج السماء، لا يهاب برداً ولا قرأ، وأصك بمنكبيه منكب
السماء وقد أوقد أتونَ النجاح والانتصار في سكراته، وأجراس
طوارقه شغلته عنها أياماً تنازعها

شهور، بين الفينة والفينة يتندرُ بسؤالها، فما ظنُّه أن تزول ممالكهُ
أو يتضعع عرشهُ..

" وما ظنُّك بالزعيم الروحي الجديد ذي العمامة السوداء؟؟

أجابت وهي تفترشُ فحذه بعد طول بُعاد: " ستأفلُ شئرازُ نيرانه ويُجرُ
مُسفراً في الأسواق... "

"وما أدراك؟؟

" ..إني أراهُ وقد جذبت منه اليدين بأصفاذٍ يُجرُ، دماؤه تُرتوي منها
الغريان .. "

"ومن يتلوه ..؟؟"

"قل من استحاله إلى ما آل إليه؟؟"

".. ومن ..؟"

"أعزُّ تابعيه وأقربهم.."

"ومن هو؟؟"

".. إن دقت النظر في عينيه تجده وارقاً في الظلال."

"..ولماذا يفعل هذا؟"

"إنه بخورُ الخيانةِ الذي بدأت حاشيته تُجاجة تجاراً في كلِّ الشعاب .."

"

"وما نهاية سفكهم للدماء ونهبهم للإعراض باسم الدين والرب منهم

بريء؟؟"

".. يعودون إلى جحورهم بقعقةٍ عظيمةٍ، بحشجة المحتضر وتقطعُ

كلُّ جرائرهم .."

"ومتى هذا الوعد..؟؟"

"عساه يكون قريباً..إنه وعد الله الحق .."

و غابَ يُشيعُ في الأتحاء ما كان مغترّاً باستبصاره من مصدرٍ موثوقٍ،
ولمعَ برفقهُ وأنيرت بصورتهِ صفحاتُ الجرائدِ..

هذا ما خشيتهُ منه وأوصته حيناً، بالألا يُقدمَ على مجهولٍ..

ألم يُنبئ بما في الصحف الأولى؟؟

جعلَ يدسُ لها التسجيلَ لحوادثٍ وأزماتٍ، وهي تمارسُ الجهالةَ
بعلومه وفنون احتياله شعاباً ملئت بالأشواكِ، مجرداً إياها فيها، لقد
بدأت بالفتور، انكفاً لونها، بل وتقطعت حيازيمُ جأشها وبنات دوحثها
الفيئانةُ قضباناً من فوقها قضبان، وما يُفتأ لوعتها انهزامهُ فهو
عاجلاً أم أجلاً سيفيضُ بحسرةٍ لا انقضاء لها إلا بالموتِ..

كتاب قضي ما فيه، راودها برداءٍ حبه بزيف طبع القبلات، ثمناً
بخساً لمراده..

" وماذا بعد 11 سبتمبر..؟" نطق بدهاء.

"ويلاتٌ وحروبٌ..؟"

"وهل تُمكنُ لهم القوةُ..!؟!"

"حتى حين ثم إلى قضاءهم يجوزون .. "

"ونهش الأرض والتفريط فيها وأمر العباد؟؟"

"فرقة لا محال أن تشيع في الزرع والأكل والمدافن ومواطئ الأسفار
.."

"كلامك مبهم؟!!"

".. ولما تريدُ تبيانه..؟؟!"

"جلي الأمر خيرٌ من مبهم الكلام..؟"

"أتعرف سمية؟؟" باستطراد فاجأه..

وما كان هذا سؤاله، ردت خنجره في قلبها إلى قلبه.. يُقلب المواضع..
تلعثم وضاعت منه الحروف ..

أردفت: "ألا تعرفها؟؟"

من طرزت اسمها معانقًا اسمك، من صورثها في عينيك .. خصلاتُ
شعرها النحاسي صدرها العاري وأهداب العينين ..!!"
بصوت متهدج نطق: "أنا لا أعرفُ عمّن تتحدثين ..؟؟"

"عن جلساتك معها وسهراتك، وحينًا تنسى أن تبرح عطرَ خدرها
أيامًا وليال.."

هل أفزعك بما أرى وإني أراك و إياها..؟؟"

ضحك ضحكة هستيرية..ومن بين أنيابه نطق مضغ الحروف:" أني
أخافك!! نعم، أخاف منك..كلك.."

لا أطيقُ انتشاءَ ريقك.. فزعًا أتقلبُ في مضجعي، إنسانُ الحبِّ فيك
ميتٌ من أزمان..وما الذي سيؤول إليه برجي العاجي؟؟

فهو يلاطم السحاب.. ومن يقهرني تفجيريين أم مهندسين أم جبلة من
الظلام..؟؟"

أجلستها صراحتُهُ شدوُّ كلماته الشجيِّ، جعلت تترنمُ ما حاكته لها
اليانعاتُ في الحفنةِ من الثرى.. تتمايلُ بكلِّ شغفٍ جسدها..

وهو في تأجج ثورته.. أمسكها وهي تترنمُ..

"وما عساه يؤول إليه حالي؟ بعجرفة وتقرز بسط بسطة قيامته.."

أنطقي بفجورك.. أرعدي أرضي.. قهقري جنوني.. "

من بين يديه انسلت مفترشة البساط المخملي.. "ستهارُ.. " نطقت
وتعودُ كما خُلقت وما لك من كرةٍ لثهيلَ على نفسك التراب.. لا أرغاء
لك ولا زبد.. ولا مناص لك، من فواجع الفضائح ونجعها.. "
أنفتل يصيء كالفأر في المصيدة .. "كاذبة فاجرة .. "بصرختها زلزل
كيان الصمت..

"حبيبتيك من ستشي بلصوصيتك وتلبسك بيديها الأصفاد ..تاجراً
للأكباد غدوت واستشرت الرذيلة تلهب بها كنوزك..
إنها أنتك المشتعلة من تنفت أوارها .. "

جعل ينتفض طاغياً يهيلُ كُلَّ ما يعجزه، بكرهٍ وفره لهكذا ميعاد..
ترنمت بنطقها: " ما عاد لك ضخاخ ماءٍ في الغدير.. أهو زفيف
الريح ما يُغشي مسامعك !؟!

أم دمدمة الرعود ما تُكفِنُ بها جلمود صمودك..!؟!"
وأخذت تتمايلُ بترانيمها العتيقة ، أرسل شواظ غضبه، استحالت
مخالبة تنهشُ جسدها، تفر من الموت إليه..

هام على وجهه، وخرج ببصيرة أيامه، وهي تترنم بماء دماءها
بحراً مسجراً سابحة فيه عبرت زاحفة تنبش عن حفنة الثرى والينع
الأخضر، فوجدته ذاوياً مصفراً، جنثها خاوية على عروشها، ذرفت
قطرة دمها تنوء بملجئها الأخير، انبجست الأرض عن جرف
صخري يغشاه الموج من فوقه سحاب..

زحفت إليه استرسلت بساقيها يسوقها عزف الرياح، كفئها من زغب
البحر، حضرته صخوره السود، تُكشّر عن الأنياب، أخذت أمواجه
تتصارع وأصنام صخوره وأنصال أنيابهم فتجزها لتقع تعوي إلى
الفراغ..

وهي واقفة مشرعة جسدها لعصف المزمجرات، ودّها لذة وشهوة..
رقة أنصالة.. أبقة من شرورهم.. آوية ببصيرتها إليه، تبث بنات
قلبها تشتهي نيمتها على فخذيه الموت، ضناً بذكراها أن تزول،
عرايبها الشمس وهي تأوي إلى خدرها، ماء الحسن يجول في أديم
جنون أمواجه أغمضت عينيها عليها تستبصر فيافي جناتها، تلوت
الأنصال تُسِيلُ اللعاب شهوة تلقفها وسمع حينها هديرٌ جلجل سدقات

السماء، بأولى آيات تفويضهم لله .. وجمدت في محرابها في جوف
الموت تتبتل بأسرارها عنان السماء..

النهاية

[رجوع للفهرس](#)

سجايا متمردة هائمة بين أمواج البحر

التفت بغشاوةٍ غطت أجفانها، وقع خطاهم يقلبون مضاجع قومها
ينهبون عُرِيهم... جوعهم أمنهم، ويمضون تلفهم سحابةً من غدرٍ
سقيم.

جعلت جسدها ضالةً فزعها تُناظر جرجرة الآذى تُلاطم المراكبَ في
غياهب البحر، جمدت في محرابها تُلهبُ وجهها حُرقةً شمس
صحرائها، بنتُ الصحراءِ تجرُ فزعها في كُلِّ غصةٍ فجرِ غائمةٍ في
غصيبٍ لهيبها، عُرِيّ قديمها ولسعات رمالها الذهبية، تتدثرُ بالكثبان
تلمسُ من بين يدي الرياحِ إملاساتها تستقي من عثراتِ هائمةٍ.

رشفةُ الماءِ متضلعةٌ بحسراتها، زفرات تشق سكون هيجان العراءِ،
خيامهم تُمزقها رماح الغاصب صُبْح مساء، تُنتهكُ عذرية العاكفات
في خدرهن.

تراشقت وأمواج البحر تُرسل آمالها إلى البعيد حيث عروس الحرية،
مكدودةً لملت أشلائها.. غطاءً جسدها.. أستار بقاءها .. طوافةً بين
أجنحة الموت.

جعلت تتلصصُ سمكةً فارةً من القيعان العائمة، أخذ جبينها يرفضُ
عرقاً سابحةً في سيلها العرم، الرغبة في الفرار حيث تغلُّ لُقمةً
تستسيغها دون نكدِ الحياةِ إعانة المسترمد.

رمقها من بعيدٍ ومن بين أسنانه سيجار عالق بصفراوية نتانته،
ينفث ريح كيره تعبق في النسيم المثلث الهبات، أبصرها حين أشاعت
الريحُ العاصفُ تدثرها، انحسار غطائها تبينُ الخصلات الحمراء،
وفي جيدها نيطت قلادةً، لسعت مطامعهُ حمولةً قارب الموتى، بيده
أشار لها أدنًا بالاقتراب.

متباطئةً تقدمت الخطى، دقات قلبها المرتجفة تجزُ هضيم الأيام،
انكشيت جسداً ضئيلاً في قارب النجاة، وقد انسلت قلاذتها وديعة
عصورٍ غابت في عاديات الدهر، وحلت جرائرُ مطيتها الوعرة
تسوقها الأمواجُ بين الأجساد.

اندست تحت النعال من بين فُرَجَها المتلاصقة، بصيص نور هائم في
سرمدية سماء ما عُرِفَت من بينها أمواج البحر.

جاوزت الفضا في سويدائه ظبية هاربة من ضيم لهيب الصحراء، لا
غلبة لأحلامها في عرض البحر، أخذت تسقيها أمواجه المتصارعة
على قصعة الجثث.. نعيق اليوم يُداعب استكاك أسنانها..

تتراقص من فيض الماء، بتعبها لاغبة غفت محفوفة بحاشية
الموت، أنست لصرصرة غوائل العاتيات، تنوء عن حلمها عُثانة
الغيوم الظمّانة لالتهام لوعتهم.

بقيت منحسرة تتجاذب أطرافها نوازع الموت والحياة، يطل بصيص
النور بذبوله في ذات الوهلة تقطعت حيازيمها وجئيرهم، سجدت
أدعيثهم ملاصقة منكبيها صفحة السماء، طافت مدامعهم وملوحة
الأذى.

بين يدي الموت يائسة أجسادهم وقد غيضت أرواحهم من فواجع
الحياة للفظّة الإعدام أجدائهم قد حُفرت وسُقيت تُربّها في هيجان
ألسنته الموت.

تبعثرت ابتها لأتهم مع صخب عرس صحبتهم إلى دار السلام، عجز
الكرى حينذاك والرماح نواصل أن يلمم أجفانها.. بعويلها ترتجي
شواظ اللافحة لسمرتها.. راقصة على الرمال الملتهبة..

بدأ النزر الأخير من أشعة السرمد الكامدة، تتخلل بفضول أودية
كفهم، وغدا البحر بعد صخبه وأمواجه الغائيات على أسفارهم،
وعبابه اللاغب على حفافيه جسدها ناسكاً في محرابه..

اختفى كل شيء الأجساد.. الآمال المرتقبة ... الرغيف الأسمر ورشفة
من عذب الرقراق.. كله ذاب في فسحة النور وانطوت دفاترهم في
الخيوط الفاصل بين الحياة والموت، ومضت تتعلق بقشيتها تمررها
أمواجه العاتية بين أسافين السراب..

كما كانت تراه سراب الصحراء باحثة عن رشفة الماء هاهي
تحتضنها الامواه وقد كانت يوماً ساعية في طلبها..

وغابت في السرمد أياماً طوال تناقلت حينها أنباء بين ساكني البحر
وحراسه "مأدبة الفقراء الجياع في مقابر المنسيين".

عند الشاطئ الجنوبي جلس الرسام انجوليان ينقشُ بريشته أمواج
البحر المتراقصة، حاملة في جعبتها صور الآلام، مخاض الأفراح.

تتجاذب فيما بينها تارة وتتنافر أخرى وهو يزاوج الألوان، ومن بين
الغيوم أرسل شعاع الشمس نوراً متلألئاً يسرق من السكون أجمل
آياته، افترَ عن ناجذيه بابتسامةٍ تُعيدُ النبضَ لقلبٍ طريح.

أخذ يختلسُ جمالية المكان.. تلاصق البحر وصفحة السماء.. اختلاط
الأضواء الركام على الشيطان، ألهمته الكومة الممدة على الشاطئ،
تناسقُ الألوان.. الأحمر ينسابُ مطارحاً السّواد كأنما الشفقُ يداعبُ
ستار الليل.

أحدّ النظر في التفاصيل، حورية البحر ثملى يطارحها غرام الخلجان،
استفزته ذكريات الحورية والأمير وحكايا الغانيات يتراقصن فوق
قلوب المحبين، ألقى بريشته فسقطت ملطخة الرصيف بذات صيغة
الألوان.

نهبت قدماهُ الريحَ وسكنتها تلوحُ رداؤهُ الجلدي الأسود، تبعثره في
برودة الأمنيات.. فارق الرصيف والصورة الخلفية، نزل الأدرج
الست وثب قلبه من بين جنباته محاولاً تقمص دور البطولة..

عاشقاً أتراه من قبل أن يُزفَ لحرورية البحر!؟!

إجثتها التي ما استساغ البحر تذوقها.. طعمها اللاذع.. التصقت
الرمالُ المُعشقة بالمياه بقدميه..

متثاقلاً وصل وروحه تسابقهُ إلى، هناك وصل أبعادا غير أبعاد
مؤمله، سقط عندها جثة رفع الخصلات الحمراء عن وجهها..

وجهها ولفحة الصحراء.. زرقة الخدين.. تلمس نبضها.. خفق قلبه
قبل سماع حسيس نبضاتها.. رفعها بساعديه.. و فوق ذراعيه حورية
البحر الغائبة..

وقع غريم غرامها.. استهوته الخالة عند ثغرها فطبع قبلة.. لعله
يوقظها من كيد الساحر ولا يفلح حيث أتى..

برقةٍ فتحت غشاوةَ عينيها.. فيهما رآته كائنًا كما ألفته من ملائكةٍ
أطلقوها من الموت لتوهم بريق قلادتهُ من شق ذاكرتها بصمت،
وأغمضت نبضاتها لتُشعلها أخرى بقوى..

في غرفة العناية الحثيثة جعلت أيدي الأطباء تتسابق لإيقاد أنفاسها
المرهقة، عضلة قلبها المتجمدة..

وهو من وراء الزجاج يود لو يعطيها قسطًا من حُبهِ ليروي ظمائها
انسيابية روحها، لقد عشقها من أول جنوة له عند روحها.. نتوءَ
صدرها ما خفق في قلبه أنوثتها الناعسة..

في صمت الجفون ذاب فيها قهوة في مزيج الحليب والسكر.. فأبيَّ
منها هي إنها كُلُّها جميعها معًا.. لم ينسى طعمَ القبلة التي طبعها على
ثغرها الوردي وقد أخفت الزرقة منه الرقة والعذوبة..

ومضى يحلم وإياها يتراقصان فوق أمواج الألوان.. ملثم في حبها
كما زهت آخر ألوانه وقدرَ لها النجاة وتداركتها بوابة النجاح بين
ألوانه.. ومداعبته للقسمات، جعلها في خدرها فواحةً يستلذ بتقبيلها
وقت الصحوة ودلوك الليل..

أجفانه التي تعلقت بحمرتها التي لوحتها حواشي الصحراء والندى
يغفو على خديها في المرسم..

جعلها شقية تتلاعبُ على نغمات قيثاره أحلامه.. صخب واقعه..
تتراقصُ بفطرتها دون أكاذيب وزيف مدنيته..

شاع صيئها في فلورنسا.. فغدت محباً للمغرمين ومعقلاً لسواقي
العاشقين، جعلها ولوحتها نظرها تمدُّ يدها من بين جدران ورقية..

لُخرج بماءٍ دافقٍ جمالية الخريف، شاخصة للعيان وبين يديه
صورتها.. يرسمها بأحاسيسه حبه.. عشقه لها، طوّحت رأسها في
الهواء لتتملّ كتفها العاري، وقد انشق عن فتيل من صدرها تقاسيم
عنقها الممشوق، شعرها الأحمر يتهدل مغزلاً لقلبه..

لكنّه ما كان وحده من غازلته فطرئها بساطئها.. هيمان روحها..
عقها من سراب الصخب كان ماثلاً بأمواله من بين الصفوف.. يقبلها
يحضئها في تجاويف نفسه.. المنكسرة تحت وطأة أمواج نقوده..

قيدها في قلبه.. في ملكيته.. لحظة رآها.. لعلها تضيف لمتاعه
الغارق في عتمته صباها وأوانها..

تقدم الصفوف وقد انشقت برنين خطوته.. عيناها معلقتان بصورتها
والأصل.. ألقى بالمال عند قدميها.. آلاف من الأوراق النقدية ثمنائها،
ورسمها في سوق النخاسة المليء بالألوان..
مدّ يده فتلاصقت من غير إرادة منها.. بيدها لفها.. بذراعه ومضى
وياها..

وانجوليان حبيبها يرمقها.. هجرته بواقعة فجورٍ أمام عينيهِ، وهو
يرسم رسمها من بين طيات قلبه التي حفظها..

لكنّها ما نظرت إلى الوراء كما عبرت الشاطئ أول مرة، ما نظرت
لخيمتها حيث ربضت أجسادٌ تغنيها..

فارقتهم ساعية وراء حفنة ماءٍ.. تحرقها لسعات السراب.. دون أن
تجدها ما حفلت بوهن منعته الخيام.. وقد جردت في كلّ ساعةٍ
حريتها أمام قوافل السيوف والقتل والتشريد..

لكنهم مع هذا ظلوا ينتظرون حفنة الماء لتسقيهم منها سجايا..

لكنّها بعنفوانها تمردت باحثة عن حفنة ماءٍ لا تحرق جسدها، لقد
ألقت ملامسة الأجساد والتصاقها ببحر من القبل وخطر مسموم هي

ساكنته.. بائعةً لجمالها.. فطرتها.. ريقها من لبن الصحراء وسواقي
بساطة رماله الذهبية..

لقد تركت لوحتها ناقصة.. جعلها انجوليان معلقةً على جدارية
رمادية مهشمة.. تراود هشاشة قلبه..

الرمح النازف المعلق في قلبه.. ما استطاع نزعهُ ولا رشقهُ بألوانه،
مضت هي آنية في رقصات القصر المنيف..

يشف عن جسدها كُلُّ مفاتنه بإشراقه شمس ونعستها..

وقد تمردت على كُلِّ أستارٍ قد أحاطت نفسها فيها، سُقيت بلبن
الحرية وإن عُدبت.. فطمت على حفظ الشرف فيها..

لَمَّا كان هروبها من أن تُنتهب كمتاع.. من أن تُسرقَ حريتها
ومداعبة الرمال الذهبية..

من أن تُزفَّ لمارقٍ ما اطلع على تجاويف رغبته.. أنوثتها الطاغية..

لكنها سلّمت بكلِّ مقاليدٍ كانت تُثقلُ كاهلها.. ومضت تسقيها سواق
من مياهِ آسنةٍ غربلت كُلَّ مفردةٍ فيها..

وإن تجردت عن عشيقها انجوليان.. من دبّ الحياة فيها وشاءت
الأقدارُ أن يبعثها من جديد لكتها هجرته لاهثة وراء آخر وآخر..

يقتاتون بجسدها الغض وجمالها.. عُرِيَّها ويتمُّ فطرتها.. سجيئها
المتمردة..

ومضى هو باحثًا عن حوريةٍ أخرى ممدّةً على رمال الشاطئ
ليدفنها.. ليغطي فطرتها برمالٍ تغسلها الامواه المتمردة.. من جبروت
أمواج البحر.

[رجوع للفهرس](#)

قارورة الزمن

"ها أنا أنكمش جسدا ضئيلا في مهب الريح، لا شظايا الثرى تهشمني ولا أقنعة منهم توصلد طرقاتي، لكني أقعيت ضمخة بنوازع مني قد بترت، أرمق الأفق بغشاوة قد أضحت سبيل رؤيائي، على سفينة الغرقى دسست جسدي وبه نفخة من الآلام، وأوصالي مرتجفة تحت معطفي البرتقالي ذي الكم الأخضر.

ووجهي صفيقا تذروه لسعات البرد المعشقة برذاذ الماء، لاهية على صفحته وأنا مغمضة العينين، شعري الأحمر منس تحت قبعتي الصوفية ذات الألوان السبع، متراقصة أناملي بكفين قد قطعت أطرافهما، فغدت يداي حاملة أسفارا من شتات الألوان..والبحر يجرنى بجريرة السوء فيّ على غير هدى اضبط بوصلتي.

..قاربي السريع هو ما لاذ بي من أزمة، اقتضبت تيه ترفي، ولكني لم أؤخذ على حين غرة غافلة عن كفن قد حكته لذاتي العميقة، التي

أفردت لها مصابيح الدجى وانتشلت اقباس من اطراد، ما تراءت
لبشر سواي ولكنه ظن فيّ كان من توجسني بقالب من شمع، من
سرق مفاتيح اليقظة وألقى بها بعيدا في غيابت الجب، وأتى لي
بالسيارة ليبيعت فيها الحياة !

إني هاربة اليوم يتلاطمني الآذى، وما ارتفع بي الموج لتتخاطفني
اغماضاته عن عشقي إياه لوهلة، وتعجزه موجة السخط لتقلعني
من صخر لصخر، وما أنا الطود ولا بي الصواري، قاربي نحيل يا
آلهة البحر وما لي بالمداد، ووهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا
وأنا اليافعة غضة فاغفر لي سوءتي.

أست يا بحر مطبب الجراح؟؟ أأست مسقط الشعراء ومهوى
العاشقين؟ فغيض ماءك عن سراييلي، واضمحل تُسيرُ قاربي بطوق
نجاهة، واقلعي يا سمائي رحمة، وانفضي عني غمامة الجزع،
واستبشري طفلتك عائدة إليك، فلا تبكي فلا بعد اليوم رواح ولا
أماسي رمادية، دع فيض من شعاع يغلب على وجنتيك حمرة،
ولتمشطي غدائك بمشط من مرجان، دع الحب فيك يستيقظ

واجعليه عرابا لي، يوم أحملُ على أذرع الريح تُطوفني بريح
المسك والعنبر.

ما هي إلا لحظات وأغادر إليك عروسا بلا عرس مجروحة،
يتقاطرني الدم قانيا بلا جراح في ولا سقام..

أعلم أنك ستذكرني لكني لن أمر بذكراك عابرة حقنة النسيان، وتعلم
أني لن أتوقف عن حروف أربع أترنم مُقدِّسة ذكراك.. محياك.. نور
عينيك.. عشقتنا.. أتلوها وإن سرق الموت نبضي.. أ.. ح.. ب..ك.."

شاطيء كاليفورنيا .. آب. ٢٠١٤

Dary dary look what I found its pirate bottle with .

"..a map .."

بين الشاطيء ورماله تقافزت قدما الطفل الصغير، ذي العينين
الزرقاوين الصغيرتين، المنغمستين بوجه طفح محمر مليء
بالنمش، وقد تهدل شعره الأشقر على كتفين ملفوفين وجسد مكتنز،
وجنتاه اللتان انغمست فيهما غمازات البحر تتموج بزرقتها
الصافية، ينهب بقدميه الصغيرتين راكضا إلى حيث المظلة

البنفسجية، تؤوي جسد أبيه البرونزي مستلقيا على كرسية الطويل، وهو يضع قبعة القش على وجهه ما يغطي جسده سوى سروال قصير، جسده الذي انغمس بقمحية الصيف، صدره الذي تتناثر عليه شعيرات سود على استحياء، رفع قبعته عن وجهه فتح عينيه السود الكحيلية سرعان ما امتدت يداه لتضع نظارات سوداء، وجنتاه ناهضتان لحية متناثرة على جنبات وجهه بعشوائية، أضفت عليه جمالا.. حاجباه الكثان، شفتان بنيتان تخفيان أسنان صفراء، شعر أسود قد خط البياض حفافيه، مارا بخصلات متناثرة على صدغيه وخطوط أوغرت الكثير من أسافينها عند العينين اللتين ترهلتا وغارتا حيث تؤويهما نظارته السود، احتضن طفله الصغير.. بلوعة وخوف شديدين.. نطق بتمتمات متقطعة...

"What's up Joly?"

"Look dary what I found?"

"Let me see, it's a bottle."

No dary it's a pirate's bottle it contains a map
"inside it."

"Oh, that's real let me see then ..."

وحاول أن يزيل قطعة الفلين التي رصت بقوة جعلتها تطفو
بأسرارها، لم ينجح فكسر فوهتها وأخرج الورقة التي اختبأت في
ظلالها، فتح الورقة وما أن سقطت عيناه عليها حتى أخذ نفسا
عميقا مغمسا بحشجة أصابته بجزع، وفاضت إلى عينيه دمعات
ترقرت آذنة بحرق ما تناثر على وجهه، الذي امتقع حزنا وأسى..
أثار الفضول الصغير جولي، ونطق وقد امتلئ صوته بخوف
مرتجف مغطس بدموع حارقة على أبيه.

"dary what happened?? please dary talk to me."

وناهض نفسه على التجلد أمام عبارات بريئة، أنطقت عيني طفله
ابن السنين الثلاث، بلهفة امسك جولي، ضاغطا على كتفيه..

"Please Joly tell me where did you find it?"

"Come on dary, I will show you.."

وبعد بضع وثبات على الرمال الذهبية التي تناثرت حول أقدامهم
المهرولة..

It's here between these small rocks in the north
"side of the beach."

تمتم بوميض من كلمات: " .. إذا هنا أرسيت ذكراك جوليان، وآثرت
أن تموتي لنلا تبوحي بحب عتيق.. آه يا حبيبتي، لو تدرين كم
افتقدك!! وشاح الليل يظلني بين حواشيه، وأنت تحلقين في ملكوت
حريتك..ها أنا أجلس أقارب بين قلبينا القتيلين في نار تلظى، هاهي
الرمال تلهبني ندما وقد تقطع قلبي أسفا على ذكراك، لقد غادرت
إلى الموت وأنا أعلم ذلك لكني كنت أنانيا، لبيتك سمحت لي
بمرافقتك.. أنا نذل حبيبتي .."

وغاص بين كتفيه يغمره موج البحر بمدده وهو حاضن تلك
القصاصاة..ودموعه المالحة تغذت بأجاج البحر دفقا من لوعات..

على مقربة منه وقفت حسناء شقراء، يغطي شعرها الأشقر
المتهدل بتموجات عذبة قد ذوبت فيها ذهب من نسيج الشمس،
جسدها العاري إلا من بضع قصاصات تغطي مفاتن جسدها
البرونزي بمنزر على الخاصرتين، لفته بيديها الساحرتين التفت
إليها وغاص بعينيها الزرقاوين، تقبله بحضنة صدرها الممتلئ، قام
متمهلا بمشيته كسفا من ركام..

everything will be okay darling don't worry I'm

"here."

وأمال جبله المتهدم إلى حضنها وهو ينصهر بدفئها، تلفحه الشمس
بلهبها وهو في مبرد طفله الصغير يحتضنهما..

...جلس إلى مكتبه في شقته المظلة على صفحة البحر، وأخذ
يحدق في القصاصات، اقتحمت أستار سكونه رائحة القهوة، تحملها
زوجته الحسنة بفستانها الوردي الشفيف وضعت فنجان القهوة
وطبعت على وجنتيه قبلة ساخنة، جلست قبالة وأخذت ترتشف
القهوة وهي تنثر ابتسامتها على محياها، رفع رأسه وطوحه إلى
الوراء وأخذ زفرة طويلة، ثم أخذ بيديه المرتعشتين فنجانه.. رشف

رشفة طويلة وتناول سيجارته وأشعلها لتتطاير أفاع ملتوية في أجواء الحجرة الأرجوانية التي يتوسطها مكتب بسيط مغطى بقشرة البلوط، ومقاعد سوداء تتحولق حوله وقد توسد إلى ظلال مكتبة امتلأت أحشاؤها بالكتب، أخذ نفسا طويلا لمظ شفثيه و فتر عن ضحكة بائسة: "أدرين ممن هذه الورقة؟؟"

هزت رأسها وكتفيها باستغراب..

قال بخنوع وعيناه محذقتان في سماء الحجرة: "إنها من جوليان.."

أمالت جسدها بخطفة وكأنما انتشلت حواسها من بئر عميقة، وبلكنة ثقيلة قالت: "جوليان صديقتك الصحفية؟؟!"

أوما برأسه وأردف: "هي ذاتها، رسالة أمنتها موج البحر ليوصلها إلي وأنا في بيروت، وها أنا استلمها بعد فقدانها بثلاث سنين.."

ضحك ضحكة عالية ما لبثت أن اختفت بحرقة، تناول سيجارته بين أصابعه وكأنما أخذها نفسا واحدا، ليزفر سحابة من دخان ضاعت في السراب

"tell me what she wrote in it??.."

"هل تريدان سماعها بالعربية أم بالانجليزية؟"

"مش مشكل حبيبي، أنا بدي أسمع أنا بعرف آخر القصة، لكن حابه
اسمع من الأول.. احكي شوقتي.."

وتبدأ الحكاية:

كانت البداية في مكتب صحيفتي الشرق بمبناها القديم في أحد
أحياء بيروت، كنا أول طلعتنا خمس عشرة عاما لم تبهرني، كما
هي الخمس سنوات التي انتقلت فيها جوليان للعمل لدي، فتاة غاية
في الجمال جسدها المكتنز ساقاها الممتلئتان تنورتها القصيرة
قميصها الحليبي يثير جنون الممتلئين شهوة لأنوثتها الغامرة،
عنقها المكشوف فتحات قميصها الثلاث تبوح بأسرار موغرة في
أصول الجمال، وجهها قطعة القمر بحمرة على الوجنتين، عيناها
الخضراوين، شفاتها المكتنزتان شعرها الكستنائي، مشيتها التي
طوحت كل من عرفها، لكنها كما كانت تقول: "أنا متحررة من قيود
الجسد، لكني عاقلة في أولويات حياتي." فلم تكن لقمة سائغة بل
مرة كالعلقم، أول تحقيق صحفي من جعلني أناضل لألمس روحها،

قارورة الزمن و قصص أخرى لرولا حسينيّات

وهي تلوح الكون من حولي جمالا، ولجت إلى مكتبي الكئيب كنسمة عابرة، وأنا أطارده سحب الدخان من حولي، أوراقى المتناثرة حولي متكدسة، أدرجى الممتلئة بالملفات.. سماعة الهاتف التي لا تفارقني، كل ما فيّ مشغول لكنى أمامها وهنّ على وهن، أتكالب على نفسي بقناع الجمود.. عيناى الغائرتين تحت عدسات نظارتى السوداء.. شاربىّ اللذين يغطيان شفقتين بنيتين، الشعر الأجدد كلها مقومات ما تجذب أنثى ساحرة.

وضعت ملفا أخضر أمامي واقتربت بعطرها تطوحنى كلى بعدوبة، لقد أعلنت رهبانيتى منذ أمد بعيد، وصرت عابدا ناسكا بين أوراقى فى محراب النشر والتوزيع، مطاردة غيلان البؤس فى كل مكان أخذت تفتح صفحاته وبصوتها العذب تراصت حروفها، ملف ساخن جدا تحقيق صحفى للوحتها الربانية صرت عاشقا، أترانى عشقت كليهما أم أنى فاضلت أحدهما على الآخر؟؟ لكنى أحببتها كلها بكل ما فيها.. أنصت للحنى ونسيت عذوبة نطقها وهى تجسد معاناتها

ضحكت وضحك معها قلبى، جاهز للنشر منقح.. بقلم جوليان، وخرجت وأنا أوقع على نشره ومن هنا دخلنا عالم الشهرة، جريدة

الشرق أصبحت في منحنى العالمية بفضل تحقيقاتها الجريئة... عندما حدث تدمير الـ "EMPIRE STATE" تغيرت الدنيا وأضيفت قائمة الإرهاب الدولي التي طالت كل عربي ومسلم، ١١ سبتمبر ليس إرهابا على USA لكنه على العالم، تغير الخارطة بتنظيم القاعدة. كتبت: "تنظيم القاعدة بأفراده تمكن من تدمير رمزية أمريكية، وخلق إرهابا عالميا اقتيد إليه العربي والمسلم كضحية لمقصلة منتقم، أسنا ضحايا في كوكبة القتل؟؟".

لتك اللحظة كنت أجهل ولعها بي، ولكني تقاسمت الأيمان أني لا أطيق أن يهمس أحد باسمها سواي، بت أجد في السهر لكي أتابع نشر موضوعاتها، أبهرتني قدرتها ومحاكاتها الواقع بصلادة..ومنذ ذلك الحين ما هدى هاتفي، بعضهم اتهموني بالتححرر وجعلت في مصاف لائحتهم السوداء في الاغتيالات، لم تعجب مواضعنا العديد من السياسيين الذين تجاهلوا تماديا على سلم ما يسمى الحرية على اعتبار أننا أعداء تحرر المرأة من سلطة الرجل وضد حق المرأة في التعبير عن رأيها، وصنفت جريدتنا على القائمة السوداء المروجة لانتهاك حقوق الإنسان.

أذكر حينها عندما دخلت علي المكتب وفي صوتها حشجة لم أفهمها، هي القوية التي أثارت غضبي قبل بضعة أيام عندما لمحتها تحدث زميلها بكل رومانسية، لكني اليوم شقوق ولعي بها جعلها ترتمي علي صدري، وكأنما كتلة من لهب تحرقني بكل مفاصلي، أغمضت عيني ورحت أمسد علي شعرها بفيض من حرقتي، رفعت رأسها المهندس في صدري وكأنما خلعت معه قلبي من بين ضوالمعه صوت روحها أسمعني نشيجا بغصة: "إني لا يهمني شيء ليقول العالم ما يريد له لأصنف كما يريدون لكني سأسمع صوتي للعالمين،... لكن ما يؤلمني أن أمي تحتضر وهي علي فراش الموت، وأنا لا أطيق البعد عنك أعني عن الجريدة." وانتزعت جسدها من أحضانها الغارقة في الهيمان، وذرفت دموعها وهي مطأئنة الرأس، تقدمت منها وهمست: "وأنا لا أطيق البعد عنك."

السماء مكتظة بالغيم الأسود ودوامة من الريح تعصف بأغصان الشجر العاري، وما تبقى أي من أعشاش البابل، لكن المدفأة الصغيرة التي كانت في مكتبي جعلت الكثير لي لأتأمله، الشارع السياسي يختنق والأزمات الاقتصادية التي تعاني منها المجتمعات،

أسفرت عن العديد من المشاكل الاجتماعية.. الاغتصاب، السرقة،
العهر، بيوت الدعارة، بيع الأعضاء البشرية الأيدز وأنفلونزا
الخنزير وأزمة المياه كلها بوابات جهنمية تقتل ما تبقى من
أوكسجين قد خالطته جزيئات هائلة من ثاني أكسيد الكربون ،
صفحات عديدة يمكن أن تدر الكثير من الأموال على الصحيفة،
لكنها يا "رامز قدرى" تحتاج طائلا من الأموال، وقلبا هصورا لا
يهاب. وماذا بعد؟؟ نظمي والشيكات التي يتحفظ عليها، يهددني بين
الحين والآخر بتقديمها إلى المحكمة وأعضاء الحزب الذين
يناصرونني أعدادهم تتضاعف، ببساطة يتهمونني بإقامة علاقة
مريبة مع مارونية.

لكنه الحب إلا يعرفونه؟؟ إلا يمثلون لسلطانه؟؟ يعرفون بقرارة
أنفسهم أنهم يكابرون، كل منا عنده نقيصة، إذا كان الحب أحدها فلا
أعدم وجوده.

لكن يا رامز أنت مسلم ومن طائفة لا تقبل هكذا تدليس، وهل يمكن
للمنطق أن يتغير؟؟

إنه دين السماء الذي اختص الله فيه نفسه بالرحمة، أليست
الرحمة طابعا للحب؟؟

لما تمتد غرائبية البشر وشروورهم لتطال ذاتي صفحتي المخبئة
تحت نواقيس الهديان!؟!

إنه النزر الأخير المتبقي لي لأمضي به ..

كفى يا رامز كفى، أنت تهلك نفسك.

نعم، سأفعل ما أريد لدي قلمي ودفاتري، وسأقاتل حتى النهاية.

دوامة دواخلي تتوثب تلاعبني لعبة الكلمات والأحاجي..

..رامز بيك.. رامز بيك..

انتفض الجسد كاملا..وكأني العصفور المنتفض قد رفع عنه حكم
الإعدام..

.. أنا.. أنا أعتذر عم عامر اعذرني..

.. ولو يا ابني يا رامز، أنا ما أنجبت الولد وأنت تعرف أنك بمثابة

ابني، منذ أول يوم وضعت قدمك في الجريدة، ياه أيام جميلة!!

... تفضل القهوة الحلوة ربع ملعقة سكر، اعرف أنك لا تحب
الحلاوة لكن الحياة حلوة بس تفهمها..

..هههه.. آه .. يا عم عامر تعال اقعد، نتذاكر الماضي، أريد أن
اسمعه منك حكاياتك المعتقة بنفحاته تطربني، تجعلني أحن لسماء
رحبة ليست كسمائي اليوم طروبا بالقنابل والألغام..

بتذكر يا رامز السيد أيوب الله يرحمه، ويعطيك طول العمر صاحب
الصحيفة قد تراكت عليه الديون..

تعيش عم عامر..

تعيش هني، كان صحفي مخملي يعني للطبقة الراقية ولم يكتب إلا
الأخبار المغطسة بالشيكولاتة السويسرية، عمليات التهريب
أصبحت خدمة للوطن والمواطن، تجارة البودرة والهيروين التي
تمرر إلى البلاد، مجرد ادعاءات من أصحاب القلوب السوداء، وأما
السهرات وبيوت الدعارة فكانت سياحة داخلية، ياخي وبقي على
هذا المنوال حتى لم يبق على أحد ليشتري الصحيفة وما كان في
اليد، بح طار) ونفخ على كفه الذي قد بسطه أمام فمه) والصحفيون
طاروا وبقي لوحده حتى قبض عليه رجال الأمن، بتقدمة بلاغات

قارورة الزمن و قصص أخرى لرولا حسينيات

ضده من أصحاب القلوب السوداء، كما كان يسميهم، ظل يتصل ويتصل ولكن أقفلت في وجهه كل الطرق، المخجل أن ما حدث معه بالضبط يا ابني، كما حدث مع العملاء الملاحين الذين باعوا الوطن وأسراره بالليرات الخضراء ولما حقق اليهود كل شيء من اغتيالات، آه وروحوا الناس الشرفاء الله يرحمهم هيك (وضرب الكف بالكف) ودمروا كل شيء وهربوا نواحيهم، لكن اليهود عاملوهم مثل الكلاب، شو بدي احكيك يا ابني عن الماضي، قد ما كان حلو كان مؤلم..

طيب عم عامر ما رأيك بزواية أيام زمان في الصحيفة..

كثير منيح ابني رامز، أنت حربوق وبتعرف شغلك..

لكن أنت من سيكتبها..

أصابته المفاجأة وعاد بجسده البدين إلى الخلف، وقد تكور بطنه أمامه وأخذ يبرم شاربه الأبيض الكث، ويميل رأسه يمينا وشمالا وقد أطبق عليه الصمت.

فرقع بأصبعيه رامز أمام وجهه وقال: عم عامر .. أين ذهبت؟؟

يعني أنا بقدر أكتب؟؟!!

ولم لا..

لكن أنا كتابتي ضعيفة!!!

لا يهم ستتولى أمرك صحفية نشطة اسمها أسمهان..

الله على الطرب أسمهان وفريد الأطرش..

عم عامر.. أسمهان لا تعرف الغناء بل تعرف الكتابة، أريدك أن
تركز في استحضار الماضي من أول ما خلقت، يمكن أبعد من هيك
يعني كل شيء تعرفه عن لبنان، عن بيروت عن الجنوب عن
صيدا، عن كل مكان في لبنان.

وسهرات أم كلثوم ست الطرب على الإذاعة..؟؟

أكيد لا تنساها..

مشى رامز إلى باب مكتبه ببضع خطوات، وأطل برأسه باحثاً عن
أسمهان كتلة جسدية صغيرة، ترتدي نظارات طبية سميكة وتربط
ذيل حصان، لكنها تتميز بالنباهة والذكاء جال بنظره الصالة

المكتظة بالمكاتب الخشبية الصغيرة، والضوء العويل يرتج أمام ناظره أخذت ظلال الجنود والقذائف تطرق أذنيه..

ابقَ تحت السرير رامز.. لا تطل برأسك..

ووقع الانفجار وسقط رامز على الأرض وقد ارتطم رأسه بالبواب، فشرخت نظارته ذات الإطار الأسود السميك وطارت عدة أقدام قبل أن تستقر عند قدمي جوليان، التي كانت تراقبه بنظراتها وهي تسير في الممر الطويل، عند آلة صنع القهوة والشاي، لم تقو على رؤيته يطوح نظراته بعيدا عنها، لكنها شعرت أن أمرا ما كان قد جعله يفقد السيطرة عندما رأت جسده يتهاوى، ألقت بكوب القهوة الساخن أرضا، وتطايرت لتتلقفه إلى حضنها لكن البلاط الأبيض كان أسرع منها، تناولت نظارته ودستها في جيب معطفها الجلدي الأرجواني وصبت طائل غضبها على ألم ساقها الذي ما كانت لتتخلص منه.

انقشعت الغيوم من السماء وأفواج من الطيور المهاجرة، أخذت جزءا كبيرا من صفحتها الرائقة وأشعة الشمس الذهبية مكسوة بالندى تمللت بحذر تكسر حلقة حجرة المشفى، وقد ارتدى رامز

وقد تعصب رأسه بضماط طبي أبيض، على سرير اتخذ النافذة جارة يحاكي فيها أضواءها المشتعلة وفوانيس الليل، وها هو الصباح الندي يشرق على وجهه القمحي ولمعة خافتة دنت من شاربيه الرقيقين وقد توسدا شففتين اكتملت فيهما فحولة الرجولة، أخذت أناملها البيضاء كأملود السكر تداعب وجهه برقة، تتمعن بتفاصيله الكثير منها ما كانت لتراه، فقد اختبئ تحت عدستين سوداوين، لم يكن رامز ليخلعهما إلا عند النوم، عندما تطفئ الأنوار..

ماذا كان يخفي رامز؟؟ لقد عرفت الآن أنه كان يخفي الكثير.. تكتمت في غيابت الجب، مررت أصابعها عند جفنه الذي ارتطم بحافة زمنية عتيقة، غيرت لونه بدا أكثر عتمة، وندبة عبرت من خلالها إبرة جراح منذ سنين خلت، ماذا كنت لتخفي عني أيضا رامز؟؟؟

أي ماضي يعذبك؟؟

ليتك تبوح كما البلابل على الأدواح، لكنك آثرت الصمت الحب البعيد .. أحنت جسدها لتلامس شففتها الحمراءوين المكتنزتين وتطبع

قبلة حارقة على خده، وقد اصطبغت بها بصيلات الشعر البيضاء
وقد طالعها السواد على استحياء، مقتحمة وجهه الأمر.

حرك دفنها جسده ليكتسي بحرارة، فتح عينيه غشاوة بيضاء
قاربت بينه وبين الولوج إلى الماضي عندما أصابته شظية قنبلة،
حطمت بيته بل ردمته وقتلت أمه وأباه وهو قد دفن بقبر الحياة
مصابا بعينه، ذاته المشهد أمامه عندما كشف الطبيب الضماد
عنها، كان قد أخفى بتقاسيم وجهه الكثير..

عينك سليمة.. لكن عليك أن تتأكد من قدرتك على الاستمرار
بالإبصار..

كانت غشاوة بيضاء مجرد صفحة بيضاء، ليثها كانت الدنيا كذلك
بلا حروب بلا قتل ولا تشريد أغمض عينيه ثانية كما فعل، كانت
صرخته في الماضي لكنه لن يقوى عليها اليوم، أغلق عينيه ثانية
جلست إلى قربه على السرير الأبيض بمعطفها الأرجواني، كوردة
معشقة بالحياة أمسكت يديه بحنان وقربتهما من قلبها.

وقالت: افتح عينيك..

حاول جاهداً، ذاته الخوف من أن يفقد بصره ثانية، لكنه في الماضي قد حصل هبة من طبيب فرنسي لمعالجته وعدد من أطفال حيهم في شقة بيتهم المظلة على الزقاق الضيق، الملاصق لمخيم الفلسطينيين، حيث كانوا يلعبون كرة القدم يركلونها بأقدامهم الصغيرة، تطرق ضحكاتهم الصمت المطبق قبل أن تهب العاصفة، الطيران الإسرائيلي يقصف نواحي بيروت، وبيت جدتي في الضيعة يحتبس أنفاسه الصامتة برهبانية، ولم تنه الميلشيات حتى ذلك الوقت لعبتها في حصاد الحرب الأهلية، سنوات مظلمة والمشهد اللبناني هو الميلشيات اللبنانية والانتحاريين الفلسطينيين والقصف الإسرائيلي المبتور، كلها قنابل وصواريخ توقعني في شرك إلى الهديان طفل الثانية عشرة هرم منذ نعومة أظفاره، وها أنا أقصف أوراق الخريف المتهاوية بين جدارني الحبيسة، المقفلة على ويلات وصراعات طائفية وحزبية على خارطة الوطن بمسمى شظايا إنسان، أتمها الطبيب الفرنسي بقدرة وإلهام وهبتها له السماء، لتزرع لي قرنية جديدة من ضحايا الحرب، ولتبقى بصمة تجوب معي مستقبلي تشوه خلقي في البقايا المحطمة.

هل أفتح عيني الآن، وأعلم أن جوليان الحبيبة التي تسلم نفسي و
تدنو إليها، على لقيها راغما سأجتو على ركبتى وأحبو، كاسرا كل
القواعد والمواعظ لأسلم نفسي للعبة القدر.

وماذا ستظن بي؟؟؟ مسخ إنسان أخفيه بنظارة سوداء يتعرج الأفق
بين انحناءاتها من أكون اليوم أمامها بلا نبض؟؟.

طببت على يديه وقربتهما من صدرها، وقالت: لا عليك أحلى ما
فيك هو أنت، كما أنت. فتحتهما عنوة رغما عن أبجديات البشرية
ما كنت امرؤ سوء وما اقترفت الخطايا، ولم تتعدى عدة أيام حتى
تماثلت للشفاء والتأمت جراحاتي، رويدا رويدا توثقت علاقتنا أكثر
فأكثر، بت لا أطيق فراقها.

عبرت قناديل الليل برعشات العويل والغربان تنعق على الأدواح
العارية وقد هجرتها البلابل وحل الليل ببهيميته على الأرض
المحترقة، ودوي القنابل قد أجج سعير البيوت العتيقة وقد تهادر
ركامها لتسوى في الأرض، لملم السكون المطبق على الصحيفة في
خريف ٢٠٠٨ وقد حمل أوزار الأطفال الذين وأدتهم القنابل
الإسرائيلية في سني عمرهم الشقي، غزة تحت القصف كما كانت

بيروت تحت القصف كما كانت سينا والجولان في السبعينات
والفلوجة في الألفية الثانية تحت القصف، حرب الاستنزاف وحرب
الميليشيات وحرب التنازلات وحرب القهر، ثمنها بخس.. آلاف من
القتلى تتمدد جثثهم جيفا لآكلات الجيف لتنهشها الضباع، وتتسابق
إليها كل الهوام إلا البشر.

كانت أصواتهم منعومة حولي لكني كنت موقنا أنني في الجنة مع
الحدود العين، كل ما حولي مغطى بالبياض لكني ما زلت اشتم ريح
أمي وخبز الطابون، وجدتي وأبي.. دفاتري وأقلامي رسوماتي
القتيلة، دفنت وإياي كنت أرى الملائكة بأجنحتها من نور ترفرف
حولي، تُسكن عليّ وحدتي حشري تحت الأتقاض، أنفاس من برد
جعلت الملائكة تمسكني من أطرافي، وتحملني إلى الأعلى، لم أكن
اعرف قبض الأرواح وما رأيت قبلا ملك الموت، أحاديثنا الطفولية
كانت عن المرح عن سميرة الحلوة بنت الجيران، من يعشقها هاني
ابن الأستاذ نبيل مدير مدرستنا البهاء الابتدائية، وعن لعبة القل
الزجاجية.

عندما كنت أسمعهم شيئاً من قصاصات الجرائد التي تقع بين يديّ مما تحزم به الخضراوات عندما كان أبي يأتي بها من عند الخضرجي أبي جميل، ثم يمسك المذراع البني الكبير وقد جعل كالبيت الخشبي، بلهفة وحرص يدير مقبضه باحثاً عن إذاعة صوت العرب، ثم يستند إلى الأريكة الخضراء وقد أراح قدما على الأخرى، وأخذ يطوح برأسه مبعثراً النوتات الموسيقية من بين أنامله كقائد اوركسترا ينشد سيمفونية ل موتزارت، لكنه كان يلحن لحن الأخبار، دوماً كان يردد: "أخبار من غير بلدك هي الأصدق وقت الحروب."

نعم، الأكثر شفافية لأنها تفرض حزاماً ناسفاً على الخيط الرفيع، الذي يقبع ذليلاً بين المواطن والحكومات، خيط قد أصابه الترهل والعوز والجوع وعانى من التقشف وويلات التضخم والاحتكار، خيط انعدمت شفافيته ليحل العذاب، "استعدادات الحرب.. يا طفلي الصغير المصريون سيقاتلون اليهود وسينتصرون، عبد الناصر هكذا يعد شعبه ونحن مع عبد الناصر.." ويسير في البيت الصغير في الحجرة المجذوبة الأطراف، وما يلبث الصياح يملئ البيت كنت

ابن الثلاث سنوات، ألهو مع لعبة المسدس مرتديا زي الجيش
جسدا ضئيلا ينغمس بالأكام الطويلة، بلونه الأخضر وقد تبعثر
الأسود عليه بعشوائية، أتذكرها بغشاوة كما هي غشاوة الغازات
المسيئة للدموع كما اليوم، وأمي تقبلني وتمسح ما علق بها من
عروسة الزعتر.

بسمتها رقيقة وحمرة تعلق وجنتيها كنت أحبها أُمي، كنت أشتهي
ساعات التعلق بيدها صغيرا وأحلم بها بين يدي أراقصها عندما
أصبح رجلا كأبي تماما، كأبي أريد أُمي أن تعلق يدها بيدي ونسير
فوق النجوم ونرسم أبقارا وضرعها تدر حليباً على الكون، ليسبح
ببحر أبيض من نقاء كما كانت جدتي تقول: " لو رضع الناس
الحليب لكانوا أتقياء."

السؤال الذي حيرني طيلة سني عمري إلى أن أدركت يوماً، أنها لا
تقصد الحليب والرضاعة من أئداء النساء، لكنها كما كان الأستاذ
نبيه أستاذ اللغة العربية يشير لنا بعصاه القصيرة على السبورة
قائلاً: " إنه المجاز يا أولاد عندما تريد أن توضح صورة، لكنك
لسبب ما لا تريد ذكرها بغض النظر عن السبب، لكن تبقى الرسالة

التي تريد إرسالها، فتقول: النهار عندي قهوة وسيجارة ووطني هو ذلك.. " ونحن نتضحك..ليثور صائحا : " بس يا ولد السجائر ممنوعة، أنا أقول لو فرضنا.. فالوطن هو الشيء الذي تعشقه.. تحبه تثور به تقتحم الجنون من أجله فهو مجاز، إن الوطن هو النهار ومعشوق بالقهوة والسيجارة.."

نعم، لنرسم أبقارا ولترضع من ضرعها البشرية حليبا صادقا، يطهرهم من النجاسة لكنهم قتلوا الأبقار في (تشارل نوبل) في روسيا بالإشعاع النووي، وامتنع العالم أجمع عن الاستيراد وعندما وشى لي صديقي أبو مزين الجزائر: " أن لحوم العجول قد غزت الأسواق.. " لم أصدق حينها لكنه أقسم : "أنها تتعرض لدرجات حرارة عالية ثم تفرم ونبيعها ببساطة للمواطن المسكين.."

وأقسم أغلظ الأيمان: " أن الحليب الذي يرضعه صغارنا اصطناعيا هو حليب نووي.. " كنت بدايتها شابا في مقتبل العمر في السلك الصحفي، صحفي مبتدء مغمور سيثير فضيحة على مستوى الوطن، وتسلمت إلى مصنع كبير من مصانع الألبان ورأيت حينذاك ما لم تره عيناى ولكنى بعدها بقيت أسبوعا عالقا على إحدى

الطرقات الجبلية البعيدة وأنا فاقد الوعي، لم يمنع هذا من أن أكتب أول تهديد لي بالقتل، لكن حياتي لن تساوي الكثير أمام حياة الملايين من البؤساء من الأطفال الصغار.. وطردت من الجريدة وبقيت في الأزقة باحثا عن شربة ماء بلا مأوى..

كما قال لي أبي وأنا صغير: " شرد الفلسطينيين من أرضهم، بل وذبخوا في دير ياسين وغاصت الطرق بالباحثين عن طوق نجاة، كما البحر غدت الصحراء، وما عاد هناك من رطب ولا يابس كله قد حرق، وأووا إلى مخيمات ينتظرون صفح الآلهة من البشر."

رنت كلمة الآلهة في أدنيّ لأول مرة عندما تهجأت حب الآلهة، وهل هناك آلهة؟؟ قال لي جوني ابن الجيران عند الحافة الحادة في أول الطريق الإسفلتي، الذي رُصّت البيوت على جنباته.

قلت حينئذ وكأني من خلقت الكون: نعم، هناك آلهة.

قال مبهوتا وقد فغر عينيه على اتساعهما: آلهة أعطني واحدا.

قلت: أنا آلهة..

لا أدري حينها ما قلت، كنت أعلم أنني قد أخطئت وأني سأطرد من رفقة أطفال الحي، لكنني ما كنت أدري أن أبي سيضربني بالفلقة، لقد ربط قدمي النحيلتين إلى خشبة ووثقهما بحبل طويل، كانت أمي تحتفظ فيه لنشل الماء من بئر الحي عندما تنضب المياه من الأواني والبرميل الأزرق المكون إلى جنب باب البيت الحديدي الأسود، وقد وضعت عليه علبة نحاسية ملأتها بالتراب من حديقة أم بهاء الدين الكبيرة الخضراء، وبيتها من الطوب المبرر ويعتليه القرميد الأحمر، كانت أمي تحب الذهاب إليها كل خميس لمساعدتها في عمل مئونة البيت من معقود ومخللات، كانت أمي تتقن عمل الأشياء، عندما كانت تساعد الخالة أم بهاء الدين كنت أنا أعبث بأروقة البيت من الخارج، وقد أوصدت الأبواب الكبيرة أمامي، ذات المقابض النحاسية ذات الرؤوس المدببة وأنا أنبش الخزائن المغلقة، تعثرت بحذاء قد رصف جلده اللامع كحجارة الشطرنج ذي شرائط سوداء، صرت أتابع نقل نظراتي الحائرة بينه وبين حذائي ذي الجلد المهترء وشرائطه المقطعة، لكنه كان يحملني في الطرقات العابرة لبيروت والجنوب ليتوقف عند المخيمات

الفلستينية التي تحاكي الجهة الجنوبية لبيروت، حيث تقبع صفوف البيوتات اللبنانية.

من براءة الطفولة اختلت به طاووسا في بهو البيت الكبير، الذي تميز عن بيوتات بيروت مزهوا به وأنا أشنكل أصابعي بصدرיתי الخضراء، التي تستر جسدي وسروالي الكاروهات بمكعبات حمراء وخضراء الذي يتماشي مع قميصي الأحمر، كانت أمي تعشق الألوان كم تمت أن ترسم لوحات ولوحات لكنها كانت ترسم لوحات في البيت من كنس وتنظيف وتزيين الأثاث البسيط وتجميل الأكلات.

لم تكن الفلقة حينها لابن السابعة قوية كهذه الفلقة التي أدمت القدمين، كان الثمن هناك إعادة الحذاء والاعتذار الشديد من أم بهاء الدين، تلك السيدة التي دوما كنت أرى شعرها المذهب الطويل وعيناها السوداوين، كغابات سوداء طافت في بحر من قشطة وبشرتها المخملية، لقد كانت وريثة الباشوية وتصرفت بأخلاق، قدمت لي الحذاء كهدية وهي تبتسم وتربت على ظهر أمي بعطف، عندما حضنتني شعرت لأول مرة بنغزة تسري في جسدي، جسد آخر غير جسد أمي له عطر خاص واكتناز جميل.

تبعثرت الكلمات فوق السطور غزة تعيش بعزلة عن العالم أطفال العراق في محرقة الأمريكي الصراع الطائفي على أرضه والقاعدة تسود خارطة الطريق، كما كانت لبنان لسنوات طويلة لعبة خشبية تحركها الأيدي في لعبة الزمن المر، مخرجين كثر وكثرت الحبكات، السيناريو السوري يزاحم السيناريو الطائفي، وآخر يفرض الوجود الفرنسي، وغيره يناهض الوجود الأمريكي، القوى المتصارعة من الجبهة الفلسطينية والمليشيات اللبنانية ثم السيناريو الإسرائيلي وتصفية الحسابات، لكن الصورة ما عادت في فلسطين ولبنان والعراق ولكنها امتدت على خارطة الجغرافية الإسلامية لتغادر أفغانستان شريفة بقتلاها، حرب دينية وتشريد الأقليات وزعزعة التعاهد الديني مع المسيحيين.

جوليان مارونية وأنا مسلم اقتران عصب بين ديني المحبة والسلام الإسلام والمسيحية، لكنه حب الرب لذات العشق...

"بيض الحمام حسبهن أني أردد سجعهن"، وهن الهادلات على أوراق الربيع والندى يتصفد على جبين الورود النضرة، بتول التفتحات وتغاريد العصافير وصلت إلى أجواء وأرجع لها الصدى

إلا في جوقة الحزن، التي أطبقت على صحيفة الشرق فقد نعت عددا من صحفيها وهم يحملون شارة الكلمة المسموعة: "الحق في أن تعلم الحقيقة ببساطة"، قتل بالقصف الأمريكي لمدينة الرمادي عندما تلطخ الفرات ودجلة ببحر الدم، كان يحمل قطعة من الخبز لتسد أفواه الجياع، إن الصحفي هو الإنسان أينما كان رسول السلام، لكن الرغيف الأسمر تخضب بدمه أحمر قاني ذوب بالدم للأيتام، لتأكله الأفواه الجائعة في فسيح الجنان، قنبلة طائشة ترصد إرهابي النظام السابق، ثم بعد ذلك لجنة تقصي الحقائق تبين "أنه ملجأ للأيتام قطعت به سبل النجاة".

أعترف أنني ولدت من رحم المعاناة وفي قبب المساكين، ما كان لدي الكثير من النقود فقد ترهلت الودائع المالية، كثرت الصحف وتعددت وسائل انتشار الأخبار وتغير ذوق الناس، ما عادت هناك أهمية للكلمات المطبوعة، ما دام تناقلها إلكترونيا بشيفرات من نبضات الأشلاء المبتورة، لكنه العالم من حولنا من ثار بزوبعة لا تنتهي.

تحت الضوء العويل تمددت إلى جانبي دفء جسدها أذاب قسوة الزمن وحمصني كحبة قهوة خضراء نضرة تمج ربيعاً لا ينتهي، لأول مرة استشعر الحب عن قرب بدواخل بركاني الخامد مللت جرجرة الحروب، وصور الأدميين الجثث التي تتبارز عليها النسور والجوارح، اختناق فيّ منعي من استنشاق الأوكسجين منذ سنين، تعودت أن أنفث الدخان ليتلوى على مقصلة وجودي ثم اجتره إلى نشوة الحياة، لكنها تلك الليلة تكومت بجانب شعلة من حنان لأول مرة ما نظرت لمستقبلي فهو ورأي بكل صعاليكه، هاتف قد اصخب سحابة الحب الشتوية إلى قطرات من دموع..

" أنت وضعت نفسك في طريق الموت مع هال...إلي عندك.."

"أنا ما بسمحك.."

" زمنك انتهى رامز بيك.."

لم تكن رياحي بأفضل من تلك التي الصفراء التي عصفت بالعالم، ومنعتني من اصطحاب جوليان إلى المطار لتطمئن على صحة أمها في أمريكا، لكنها قد تصاب ب h1n1. وماذا بعد؟؟ حلقت الطائرة

مع أسراب القطا وقد حملت معها نطفًا من عالم جنون الأنفلونزا في القارات السمراء والبيضاء..

مشى الهوينى يللم حاجياته أوراق انهزامه.. فتح درج مكتبه درج الزمن العتيق، حيث الذكريات والكنز الدفين تحت الضوء العويل، وأخرج أوراقه العتيقة من درج مكتبه ملف الزمن القديم، تناول ملفًا أخضر أخذ يمسح الأغبرة المتراكمة، قربه لوجهه اشتمه تأرجحت المقل في مآقيها وعزف الوداع الأخير ينزُّ في صدره، نحيب خافت على الذكريات الضائعة، بيت الجدة في الجنوب هو الجوكر الذي سينقذه من السجن.. الديون المتراكمة.. رواتب الموظفين.. تعويضات أسر الشهداء.. رهن البنك سيُصفدُ الشياطين من الجن والإنس لينوء بجسده إلى البعيد، حيث لا أهل ولا جدران لا ملح.. لا تراب ولا حب بلا أسقف ولا تعמיד وبلا روح فروحه غادرت مع جوليان، حين كان الملح يحرق وجنتيه ويأخذ معه بواقيه..

رن هاتفه الخلوي كان قد اشتراه لتحديثه جوليان، من بلاد العم سام رج ومعه أرتج قلبه أرتدت دموعه متجمدة إلى بواطن

أسرارها، صوتها المرتجف أوقع من بين يديه ماضيه وإرثه..
أوراقه تناثرت.. " أنا هربانه.. لا تقاطعني حبيبي حصلت على
معلومات.. عن.. عن الحرب الجرثومية تبذلت للصدفة حقائبنا.. أنا
وعالمة كانت في ذات الرحلة.. لا تتصل بي سأحاول أن أمرر
المعلومات.. لكنني واثقة أنني سأقتل.. لا تبحث عني.. أحبك.. "

عصفت رياح صفراء مشبعة بحمى المرض، لتحصد الأرواح من
كل بواعث الحياة.. الفساد.. الدمار.. الربيع العربي الذي انتهى إلى
حيث لا رجعة بلا انتصارات بل وابل من حمم بركانية تقتل بعبثية
كيفما تشاء، وريحي مازال بها فتيل من نبوءة الطود العظيم
وسفينة نوح، لا بد أن أنقذ الحب الوحيد وعين أملي تنوس ضريرة
بلا قدد ولا أقباس، سأتدرج قمم السراب وأرمي نفسي من هناك،
من أعلى قمة بشرية لأنال اللقاء الأخير..

صفيت أعمالى وهربت نعم، هربت إلى حيث لا يعرفني أحد، لتاريخ
في داخلي أحبسه.. أقلم أظفاره كلما شممت ريح البيت العتيق
وعظامه تهدم حجرا حجرا بلا منطق لبقاء التاريخ، حطت قدماي
أول خطوات الطريق الطويل شعرت كما أرمسترونج وسطح القمر

عالم مجنون.. يدور حولي، الكل يسير ويسير يقطع الدروب وأنا
أمتثل لقانون الزمن حيث تضيع نقطة الصفر، وتصغر الزوايا
وتدقق الخطوط وينعدم الوزن.

شعرت بذاتي تضمحل تدور وتدور وتضاعلت إلى حيث لا أرى،
وسقطت إلى حيث لا يعرفني أحد، حين أفقت في المشفى كنت إلى
جانبي هيري ولم تكن جوليان فقد اختفت حتى هذا اليوم من
ذاكرتي.

رجل خائن بنظرك.. عامودي الفقري يتزلزل بفقراته حيث تصغر
قامتي، أمام إخلاصك وخيانتني لحافظ أسراري لقلبي المنهزم، قدمت
لي كل شيء الصدر والحب الدفاء والحنان.. العمل الوجود والكيان،
وكأنك كنت تواعديني بأحلامي طوال ماض طويل بغابات الأشجان.

أهو قدري هيري أن أفوز بالحب.. أمي.. جدتي.. جوليان و.. أنت
هيري..؟؟؟ حبي الباقي الذي لن يزول تحت وابل المطر..

سأتقدم إليك أنحني فقبليني ورج قارورة الزمن لتبدأ حياتي من

جديد... [رجوع للفهرس](#)

عصفت رياح صفراء مشبعة
بحمى المرض، لتحصد الأرواح
من كل بواعث الحياة
.. الفساد.. الدمار .. الربيع العربي
الذي انتهى إلى حيث لا رجعة بلا
انتصارات بل وابل من حمم
بركانية تقتل بعثية كيفما تشاء،
ور يحي مازال بها فتيل من نبوءة
الطود العظيم وسفينة نوح، لا بد
أن أنقذ الحب الوحيد وعين أملي
تتوس ضريرة بلا قدد ولا أقباس،
سأندرج قمم السراب وأرمي نفسي
من هناك، من أعلى قمة بشرية
لأنال اللقاء الأخير.

الحب وجود والوجود معرفة

EVÎN HEBÛNE û HEBÛN NASÎNE

Komcivîna Zanyarên Azad

تجمع المعرفيين الأحرار

bo gelên yên diaxivin bi herdû zimana Kurdî û Erebi

للشعوب الناطقة باللغتين الكوردية والعربية